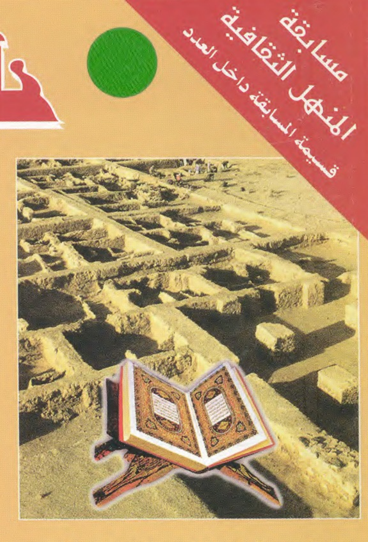
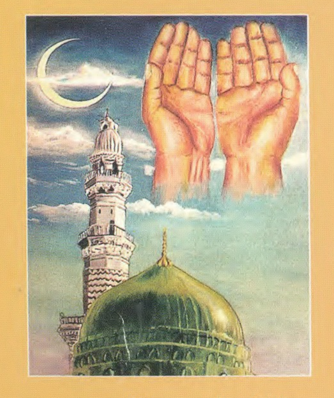
المنهل
AL MANHAL
مجلة العرب الأدبية الثقافية
العدد (٥٩١) المجلد (٦٦) العام [٧٠] الربيعان ١٤٢٥ هـ - مايو ويونيه ٢٠٠٤ م

مسابقة المنهل الثقافية
قسيمة المسابقة داخل العدد





القبائل البائدة كما أرخها القرآن الكريم

بواكير الحركة التنويرية في الأدب الحديث

الاسلوب النبوي (دعاء السفر نموذجاً)

الاجتهاد ضرورة حياتية

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

ملكها ورأس تحريرها

المغفور له

نبيه عبدالقدوس الأنصاري

من العام ١٤٠٣ هـ/ حتى ١٤٢٤ هـ

غلاف العدد



مما قال

الصحافة الاسلامية

«الصحافة الإسلامية تختلف عن الصحافة العالمية الحاضرة، فالصحافة العالمية الحاضرة.. صحافة تؤمن بالخبر.. دون أن تراعي فيه الحق أو الخير أو المصلحة العليا.. وهي صحافة غير ملتزمة إلا بالمنبع.. أو المصلحة الذاتية.. وهي مصلحة الناشر أو مصلحة من يلتقي معه في حدود معينة.. ومن أجل تحقيق أهداف خاصة.

الصحافة الإسلامية هي صحافة ذات مبدأ.. وذات التزام بالقيم والعقائد والمثل والمبادىء والخوف من الله سبحانه وتعالى .. وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمصلحة العليا.. ومصلحة الإنسان كإنسان لا يجوز معها الغش والخداع والمكر والإيذاء والإضرار بالغير، وظلم الناس، وما شابه ذلك مما يكون أحياناً في الصحافة العالمية الحاضرة التي تسعى في سبيل المنافع.. ولا تراعي حقاً أو عدلا.. ولا ترعى مصلحة أو خيراً.. الصحافة الإسلامية مطالبة اليوم بأن تؤدي رسالتها كاملة في تحريك الهمم.. وإيقاظ المشاعر القومية لكي تهب الشعوب الإسلامية، وتحرر أرضها، وتتمسك بعقيدتها وحقوقها.. يجب على الصحافة الإسلامية أن تنادي بالوحدة الإسلامية.. والتضامن الإسلامي وتحرير الأرض والمقدسات.. يجب على الصحافة الإسلامية أن تنادي فوراً بالسلام، وتؤدي رسالتها لإجلاء الغاصب المحتل من لبنان.. ولاسترجاع الأرض المغتصبة وتحرير القدس الشريف والمقدسات الإسلامية في فلسطين والمسجد الأقصى، وتحرير الأرض العربية المغتصبة، والوقوف في مواجهة العدو.. يجب تحقيق مبدأ الوفاق والمصالحة الوطنية بين أبناء الشعب الواحد.. يجب على الصحافة الإسلامية أن تؤدي رسالتها.. والالتزام بالقضايا القومية العليا.. والارتباط بمبادىء الحق والعدل والحرية والكرامة للإنسانية جمعاء.. ولخير الإنسان في كل زمان ومكان».

من كتاب عبد القدوس الأنصاري
(من رواد الأدب والفكر العربي الاسلامي)
لـ (أكرم جميل قنبس) ص ٣٦ - ٣٧

«عبدالقدوس الأنصاري»

المركز الرئيسي

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥
رمز بريدي ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣
تليفون: ٦٤٢٧٨٣١ ٦٤٣٩٧٦٥
٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧
الرياض: ص.ب ٢٩٠
تليفون: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر جنيهان
تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم
البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

أما بعد

من التسوية .. الى التصفية..

رأوا أن يجلسوا الى الفلسطينيين.. ليوقعوا معهم (تسوية)..!
يأخذون بموجبها كل شيء.. ولا يعطون الفلسطينيين شيئا..
هكذا الفكر اليهودي الصهيوني .. يبيعون للآخرين السراب.

(التسوية) عند اليهود، أمر مرحلي.. أمر تتطلبه المرحلة (الآنية).. أما الغد فله حديث آخر.. وعمل آخر..

واذن، لا غرابة عند اليهود ان يتنكروا غداً لكل ما اثبتوه بالأمس، فالأمر عندهم تكتيكي! جاء (نتن ياهو) وقال لا اعترف بأى اتفاقية سابقة.. وكل شيء عنده وليد لحظته الآن..! وظل يناور ويراوغ ويخادع.. ويكذب.. أما شارون.. فلا يعرف (تسوية) وانما هي (التصفية) وهذه هي الحل الامثل لكل القضية.. في نظره..

ويؤكد هذا أن آخر اجتياح له للفلسطينيين وأرضهم اسماه (الحل الجذري).. نعم.. الدبابات والطائرات والمدرعات والصواريخ.. قتل الاطفال والنساء والعجزة.. هدم الديار واقتلاع الاشجار.. كل هذا عند شارون هو (الحل الجذري).. رجل عمل.. لا وقت عنده ينفقه في المحادثات والمداولات والجولات، والتوقيع على الاوراق..!!!

من التسوية الى التصفية.. تلك هي مرحلة شارون.. وهي نفسية اليهود الصهاينة جميعهم.

أما الفلسطينيون، فانهم (أهل تسوية)، والتسوية عندهم (استراتيجية) مركزية.. وهي ذاتها عند اليهود (تكتيكية مرحلية)..

انهم يبيعون لنا (السراب ونحن نشتري..!!)
ما أتعسنا ..

المحرر

المشرف العام
أ.د/ عبدالرحمن الطيب الأنصاري

رئيس التحرير
المدير العام
زهير نبيه عبدالقدوس الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

العنوان البريدي :
E-mal: AL-Manhal@Al-manha.Com.sa
عنوان موقع الإنترنت :
URL: WWW.AL-Manhal.Com.Sa

فهرس العدد

الاشتراكات

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
قيمة الاشتراك السنوي للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

وكلاء التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات:
يراجع بشأنها
الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ـ جدة تليفون : ٦٣٩٦٠٦٠ ـ فاكس : ٦٣٩٤٠٩٥

العدد ٥٩١ ـ المجلد: ٦٦ ـ العام: ٧٠

فقرات مستقلة

الكتاب.. إلى أين؟!

يقول الجاحظ في فضل الكتاب: (الكتاب هو الجليس الذى لا يُطْرِيك، والصديق الذى لا يغريك، والرفيق الذى لا يَمَلُّك، والمستميح الذى لا يستَريثُك، والجار الذى لا يستبطيك، والصاحب الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملق، ولا يعاملك بالمكر، ولا يخدعك بالنفاق، ولا يحتال لك بالكذب.. والكتاب هو الذى إن نظرت فيه أطال امتاعك، وشحذ طباعك، وبسط لسانك، وجوَّد بنانك، وفخَّم الفاظك، وبجَّح نفسك، وعمَّر صدرك، ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك، وعرفت به في شهر، مالا تعرفه من أفواه الرجال في دهر).

ويواصل وصفه للكتاب (والكتاب هو الذى يطيعك بالليل كطاعته بالنهار، ويطيعك في السفر كطاعته في الحضر، ولا يعتلُّ بنوم، ولا يعتريه كلالُ السهر) الحيوان للجاحظ ج١ ص ٥١.

الى آخر ما وصف به أبو عثمان عمرو بن بحر الكتاب مبيناً أفضاله ومؤكدا على مدى أهميته.

تذكرت هذا كله وأنا أقف على حال الكتاب اليوم وما وصل اليه من تدهور، لو عاصره الجاحظ وأمثاله لماتوا كمداً وحزناً أو عاشوا وعيونهم تنزف دماً على حاله وما آل اليه..

تذكرت هذا كله وانا اطالع وألمس خبر ما آل اليه معرض الكتاب الأخير في القاهرة، وغيره من معارض الكتاب في عالمنا العربي.. وكيف وصفت الكتب فيه وفي غيره من المعارض بأنها (كانت ضيوفاً ثقالا على الأرفف) تتطلع في حسرة الى عيون القليلين الذين قدموا للفرجة فقط وانصرفوا تاركيها لمصيرها المجهول.

وأعدت ترتيب الامور في ذهنى باحثاً عن علل هذه الكارثة الثقافية.. وإلام تعود ..؟! إلى سيطرة الكلمة المسموعة والمرئية ؟!.. أم إلى تغلغل الـ (سي دي) و(الانترنيت) واستحواذهما على الساحة أم .. أم ..؟!!

والسؤال الذى يطرح نفسه بقوة الآن .. الكتاب الى أين ؟؟

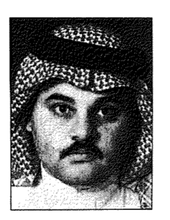
ما مصير الكلمة المكتوبة ؟؟

بالعربي الفصيح .. نحن في حاجة الى وقفة سريعة وجريئة لاستعادة ما كاد يضيع في هذا الخضم ووسط هذا الزخم أو ما ضاع فعلا..!!

بطبيعة الحال، نحن لا نستهين بمعطيات التقنية الحديثة في العلم والتعلم.. إذ لا غنى عنها في الحصول على المعلومة، من أي مصدر على وجه الكرة الارضية.. بل نجد (الانترنيت) قد اختزل لنا المسافات والأزمنة والأمكنة.. إذ يضع بين يدي مستخدمه وقارئه، كل ما يود الاطلاع عليه في لحظة. أو جزء من اللحظة..

تكتب، وتراسل، وتقرأ ، وتقتبس، وتجمع، وترتب معلوماتك كما تود، وتوثقها وتبوبها.. كل هذا وأنت جالس على كرسيك لم تغادره..

من منا يستطيع الاستغناء عن هذه الخدمة المعجزة..؟! لا أحد..



زهير نبيه عبدالقدوس الأنصاري
رئيس التحرير

لكن يبقى السؤال: هل كل هذا يغني عن الكتاب؛ تمسكه بين يديك وأنت متكيء على أريكتك؟٠٠ تتفحص أسطره، ترددها في ذاكرتك٠٠ تعلق عليها بقلمك٠٠ بل تشم رائحة الحبر المعتق في صفحات ذلك الكتاب٠٠؟!

في حوار مع الأديب الفيلسوف الاستاذ أنيس منصور، سأله المحاور ان كان يتعامل مع الكومبيوتر والانترنيت، وان كان هذا الأخير قد أغناه عن الكتاب٠٠؟! فأجاب (٠٠٠ أن امسك كتاباً بين يديَّ، أقرؤه من الغلاف الى الغلاف، وأنا متكيء على أريكتي، فتلك متعة حياتي ونعيمها٠٠)٠

وأنا هنا لا أود أن أقيم مقارنة بين الكتاب نقرؤه على صفحة (الانترنيت) وبين الكتاب نقرؤه ونقلب صفحاته بين أيدينا٠٠ ولكني وددت الاشارة الى ان خصومة (بدرجة من الدرجات) حدثت بين القارئين والكتاب٠٠ برغم التقدم التقني الذي جعل العلم سهلا ميسوراً تناوله، إلا أنا نرى الجهل قد اتسعت رقعته٠٠ لقد انشغل كثير من الناس بكل شيء عن كل شيء، إلا العلم ٠٠ لم يشتغل به إلا محبوه ومريدوه٠٠ وهم قلَّة٠

هنا، في بلادنا، على سبيل المثال: جيل الرواد كان جيل تحدٍّ، كان تحديه في ان يقرأ ويطلع ويستوعب، ليعلم نفسه بنفسه٠٠ هذا رغم شحّ الامكانات آن ذاك٠٠ فقد كان المال قليلا بين أيديهم، وكان العثور على الكتاب كالعثور على كنز ثمين٠٠ ورغم كل ذلك تخرج في ذلك الجيل علماء أجلاء، بنوا وطنهم بعلمهم وجهدهم٠

اليوم : لا نقول ان العلم قد اختفى، ولا نقيم مأتماً على العلم والعلماء، إذ لا نزال بعلمائنا ومفكرينا وأدبائنا٠٠ لكنهم أقل بكثير مما كان ينبغي٠٠ ذلك: لتوفر الكتاب، وتوفر المال ٠٠ وتوفر الوقت عما كان سابقاً٠٠ وفوق ذلك كله ما توفره التقنية الحديثة٠

بالأمس القريب كنا نشكو (الأمية)٠٠ أميّة القراءة والكتابة، واليوم نشكو أميّة من نوع آخر، اسماها الدارسون والمختصون بشئون المجتمع (الأميّة الثقافية)!!

الطالب الجامعي بالأمس، كانت مكتبة الجامعة أشبه بأن تكون بيته ومستقره، يستذكر الكتب، ويستنطق المصادر والمراجع، يستوعب ويستنبط٠٠ وهو سعيد كل السعادة بما يبذل من جهد٠٠

يراجعون أساتذتهم ، ويناقشونهم، ويبادلونهم الرأي، ويجتهدون فوق اجتهادهم٠٠ وأساتذتهم ومعلموهم سعداء بهم وبجهدهم وباجتهاداتهم٠

واليوم : استبدل الطلاب أو كثير منهم، الكتاب بالمذكرة٠٠ وحتى المذكرة ذاتها لا يقرؤونها كاملة، بل يختارون بعضها ويتركون الآخر٠

الأساتذة يقولون: فقدنا الطالب الذي يناقش، ويحاور، ويقول رأيه٠٠ لقد أصبح هذا النوع من الطلاب عملة نادرة٠

عمداء المكتبات: يشكون قلة الطلاب المراجعين للمكتبة٠٠ شيء محزن٠٠

إذن ٠٠ نعمَ الجليس الكتاب ٠٠ ونعم الأنيس الكتاب ٠٠ بل نعم المرشد والهادي الى السواء الكتاب٠

قال معاذ بن جبل في التعليم والتعلم والقراءة: (تعلموا العلم، فان تعلمه لله خشية، وطلبه عباده، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو الانيس في الوحدة ، والصاحب في الخلوة ، والدليل على الدين ، والمصبر على السراء والضراء ، والوزير عند الاخلاء ، والقريب عند الغرباء ، ومنار سبيل الجنة ، يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم .. أدلة في الخير تقتص آثارهم ، وترمق أفعالهم ، وترغب الملائكة في خلتهم ، وبأجنحتها تمسحهم .. ويقول : العلم حياة القلوب من العمى ، ونور الابصار من الظلم ، وقوة الابدان من الضعف ..)

(إحياء علوم الدين ج / ١ / ص ١١ ..)

هذا هو الكتاب عندهم بالأمس

وهذا هو الكتاب عندنا اليوم !!!٠٠

جائزة الملك فيصل العالمية في دورتها السادسة والعشرين للعام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م



سمو الأمير سلطان في لقطة تذكارية مع الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٢٤هـ

على مدى (٢٦) عاماً ظلت جائزة الملك فيصل العالمية تؤدي دورها الفاعل المؤثر في كل مجالاتها.. مما اكسبها المصداقية والحيادية.

وكان ولا يزال لها زخمها الديني والعلمي والأدبي، تحقيقا وتوثيقا، لموضوعات الجائزة، واحتفاءاً وتكريماً وتقديراً للعلماء والمفكرين والأدباء.. كل ذلك في حيادية صادقة، غير متأثرة في تقييمها بأي متعلقات أخرى غير جدية الموضوع المقدم للجائزة، ومدى إفادته وحيويته.

والفائزون بالجائزة لهذا العام كانوا كالتالي:

** جائزة الملك فيصل لخدمة الاسلام:

فاز بها المشير عبد الرحمن محمد حسن سوار الذهب السوداني الجنسيـة، ومنح الجائزة تقديرا لجهوده العظيمة من خلال رئاسته لمجلس أمناء منظمة الدعوة الاسلامية في السودان التى شيدت كثيراً من المدارس والمساجد والمستشفيات والمستوصفات ومراكز الطفولة وملاجيء الايتام كما حفرت كثيراً من الآبار ومحطات المياه في افريقيا، اضافة الى مساهمته الفعالة في الدعوة محليا وعالميا، وتحليه بالصدق والوفاء بالوعد.

** جائزة الملك فيصل للدراسات الاسلامية:

وموضوعها: (الدراسات التى عنيت بالقواعد الفقهية).. وقد فاز بها مناصفة كل من: الدكتور على احمد غلام محمد ندوي الهندي الجنسية.. والدكتور يعقوب عبد الوهاب الباحسين السعودي الجنسية، وذلك لجهودهما العلمية المقدرة في مجال القواعد الفقهية.

** جائزة الملك فيصل للغة العربية والأدب :

فاز بها الدكتور حسين محمد نصار المصري الجنسية.. وكان موضوع الجائزة (الدراسات التى تناولت التدوين اللغوي في نهاية القرن الخامس الهجري).

ومنح الجائزة تقديراً لجهوده العلمي الرائد في مجال الدراسات المعجمية وما تميزت به كتاباته من غزارة العلم وسعة الاطلاع والنظرة الشمولية لتطور التدوين اللغوي بعامة والمعجم العربي بخاصة.

** جائزة الملك فيصل للطب :

وموضوعها (طب القلب التدخلي) وفاز بها الدكتور (اولرس سغفارت) السويسرى الجنسية أستاذ ورئيس قسم امراض القلب بجامعة جنيف.

** جائزة الملك فيصل للعلوم:

وموضوعها: (علم الحياة.. البيولوجيا) فقد فاز بها الدكتور سمير زكى البريطاني الجنسية استاذ علم الحياة العصبية في كلية الجامعة بلندن ومنح الجائزة تقديراً لدوره المتميز في تطوير علم بيولوجيا الرؤية من خلال دراساته الرائدة في كشف النظام الوظيفي في جزء الرؤية من دماغ الانسان.

الانترنت.. أسطورة العصر

مستحدثات الأزمنة والأعصر متلاحقة، ومتداخلة لدرجة يصعب معها إحصاؤها. وآخر تلك المستحدثات (شبكة المعلومات العالمية) الانترنيت.. أو الشبكة العنكبوتية، لتداخل خيوط بيت العنكبوت.

هذه الشبكة الأسطورة جعلت من العالم جميعه في كل أنحائه، جعلت منه غرفة زجاجية صغيرة، كل يرى ويسمع ما يفعله الآخر، في كل دقائقه وتفاصيله.

وإذا كان أهل الغرب قد أفادوا من هذه الشبكة (الاسطورة) أفادوا منها في كل ما يودون الافادة منه: في السياسة.. الاقتصاد.. المجتمع.. التبشير.. العلوم.. ترويج وتسويق ثقافاتهم.. الخ.

إذا كان أهل الغرب قد صنعوا بتلك الشبكة ما صنعوا، فماذا صنع أهل الشرق..؟!!

فريق (انبهر) و(اندهش).. وأُخِذ بغرابة الصنعة، ويظل يعبث بأزرارها، حتى أزرى به عبثه..!!

وبعض العلماء قالوا: هذا فساد وفسق وفجور، ينبغي الابتعاد عنه.. كما قالوا عن الفضائيات من قبل.

وآخرون غيرهم قالوا بضرورة الافادة من هذا الجهاز.. لأهميته وعالميته.. وهذه فرصة هيَّأها الله سبحانه وتعالى لهم، وعليهم اهتبالها واغتنامها لصالح الاسلام والمسلمين.

الاسلام دين السماحة في حاجة الى نشره على العالمين بلغاتهم، وتبيينه لهم، ونشره بينهم.. وكثير من الخلق يبحثون عن أيّ معلومة عن الإسلام تزيل ما اختمر في أذهانهم من أكاذيب وأغاليط حفرت في أذهانهم عن الاسلام والمسلمين.

ومن ناحية أخرى، فان دوائر السياسة الغربية الآن قد الصقت بالاسلام والمسلمين ما هم منه براء.. كل هذا يستوجب على علماء المسلمين المستنيرين العمل الجاد.

أولا: لازالة الشبهات والاكاذيب عن الاسلام والمسلمين.

وثانيا: العمل على نشره بتبيين قواعده ونظمه وأسسه التى يقوم عليها.

في هذا الاطار نجد مجموعة من المواقع قد أنشئت، منها ما يتبع لهيئات علمية أسسها بعض علماء المسلمين.. وقد أدت دورها ولا تزال.. ومواقع أخرى في الانترنيت لافراد من العلماء والمثقفين.

وملحظ هام لابد من تسجيله هنا، له سلبياته، وهو الخلافات المذهبية، بين هذا العالم وذاك، وبين هذه الطائفة وتلك، مما ينعكس أثره سلباً على الدين ذاته.

ومن أعظمها سلبية الخلافات الحادة بين مواقع ما عرف بـ (الجماعات).

إذن، نصرة للدين، واظهاراً للحق، ينبغي مراعاة ضرورات هذا الدين الحنيف واظهاره كوحدة متكاملة غير متنافرة، وهو كذلك.. واذا كان هذا الجهاز وهذه الشبكة على تلك الدرجة من الاهمية لعالميتها فانه ينبغى على المسلمين الافادة منها بوعي صادق.

جامعة البنات

في كل أنحاء المملكة العربية السعودية تنتشر «كليات البنات»، وهى لها دورها الفاعل تعليمياً وتربويا.. وكانت الرغبة تتوق إلى ايجاد «جامعة للبنات».. وبفضل الله تعالى وتوفيقه تحققت تلك الرغبة العلمية والاكاديمية التى أسعدت الطالبات وأسعدت القائمين على التعليم، إذ أعلن صاحب السمو الملكى ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز اطلاق العمل في (جامعة البنات) في الرياض.

وهذه المكرمة السامية تعد أهم انجاز تحقق لكليات البنات الجامعية، بل للتعليم الجامعي للفتاة السعودية بصورة عامة، فلا شك أن قيام هذه الجامعة يعد نقلة نوعية متميزة على مستوى التعليم الجامعي للفتاة، تحقق لها مستوى جامعيا أعلى وأفضل، سواء في الآداء الأكاديمي المتمثل في الخطط والبرامج الدراسية، أو في الإمكانات التى ستوفرها الجامعة، والتى ستضعها في مستوى أداء وإمكانات الجامعات السعودية الأخرى. فضلا عما ستتيحه هذه الجامعة من فرص التوسع في القبول والتوسع في مسارات الدراسات العليا لدرجتي الماجستير والدكتوراه.

وهذا الانجاز ستتبعه انجازات أخرى في نفس التوجه تؤكده وتدعمه، وترفع من فاعليته.

حليب الإبل يفيد مرضى السكري والبدانة

اكدت دراسة مصرية جديدة أن حليب الإبل يساعد الأشخاص المصابين بمرض السكري ويعين على نقص الدهون لدى البدناء.. وأوضح باحثون في كلية الطب البيطري بجامعة القاهرة أن حليب النوق يحتوي على بروتينات تشبه في عملها هرمون الأنسولين المنظم لسكر الدم الى جانب العديد من الأملاح المعدنية المفيدة كالفسفور والمنغنيز والحديد والبوتاسيوم.

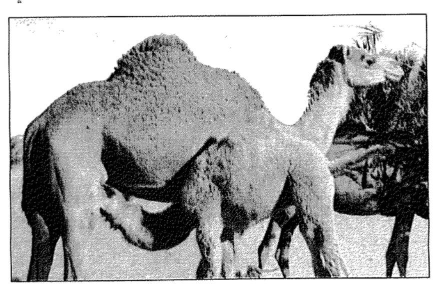
وأضافت أنه يعد من المصادر الفقيرة بالكولسترول والغنية بفيتامينات (ب١) و(ب٢) و(سي) كما يمتاز بمقاومته للأكسدة وفساد الدهن، لأن سماكة أغلفة حبيبات دهنه أكبر من أغلفة حبيبات دهن حليب الأبقار والأغنام والماعز.

ونبه الباحثون الى أن لحليب الإبل خصائص طبية كثيرة تجعله مناسبا لعلاج أمراض الاستسقاء واليرقان ومشكلات الطحال والسل والربو والأنيميا والبواسير، وتحسين وظائف الكبد، وأمراض الربو، ومرض السكري، وعلاج نزلات البرد والنزلات الشعبية، إضافة الى قرحة المعدة والسرطان وأمراض الكبد والتهاباته.

وتمنح التركيزات العالية من فيتامين (سي) والأملاح المعدنية المهمة والحيوية في حليب النوق للجسم تأثيرات واقية للجهاز التنفسي وأمراضه المختلفة، فضلا عن خصائصه الخافضة للوزن، بسبب انخفاض محتواه من الطاقة والدهون.

وأشارت الدراسة الى أن ألبان الإبل تعد بديلا غذائيا مهما للفواكه الطازجة والخضراوات، نظرا الى غناها بالفيتامينات والمعادن اللازمة لسلامة صحة سكان البادية، ويزداد تركيزها في الحليب حيث تبلغ نسبتها ثلاثة أضعاف ما في ألبان الأبقار ومرة ونصف عما هو في حليب الأم.

وأضافت أن ألبان الإبل سهلة الهضم وسريعة الامتصاص في جسم الإنسان، لأن نسبة بروتين «كازيين» فيها تصل الى ٧٠٪ من محتواها البروتيني.



(الخبر من موقع الجزيرة نيت)

قراءة الأفكار

قديماً قالوا (سرك في بئر)..

لكن مع مستحدثات العصر، يبدو أننا سوف لا نجد (بئرا) يبتلع أسرارنا.. أي: ستكون أسرارنا وافكارنا التي في اعماق أعماقنا مكشوفة على الملأ.. وربنا يستر..

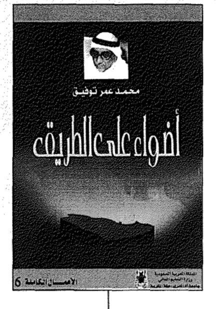
(ناسا) وكالة الفضاء الامريكية التي استطاعت الصعود الى ملايين الاميال في الفضاء الخارجي، تود (الصعود في أعماق الدماغ البشري) بغرض قراءة ما يدور في داخل أدمغة البشر، من أفكار وآمال، وأحلام، ورؤى..

وخذ حذرك من أن يختزن دماغك أي أفكار إجرامية أو إرهابية..!!!

واذا كان كبار المجرمين الخطرين على مستوى العالم يهربون من جرائمهم بالانكار، فان الأمر بعد هذا الكشف ـ إن تم انجازه فعلا ـ سيتغير تماماً..

ولعل (قراءة الافكار) سوف تدخل في حيثيات القضاء كشاهد اثبات.

فكرة هذا المخترع الجديد تتمثل في جهاز صغير بالغ الدقة والحساسية يوضع تحت الذقن وعند الحلق، يقوم الجهاز بتحليل اوامر شرايين الحلق، ويسمح بظهور الاشارات البيولوجية عند القراءة الصامته بدون حركة الشفاه.. و... ياربّ سترك..



**** أضواء على الطريق :**

مجموعة من المقالات التى كتبها ونشرها متفرقة في أوقات شتى وعن مناسبات متكررة على مدار السنين الأستاذ/ محمد عمر توفيق (عليه رحمة الله).

يقول الأستاذ/ محمد سعيد طيب واصفا تلك المقالات وكاتبها بأنها «مقالات متفرقات سكب فيها ذاته على الورق، بعد استغراق وتأمل وبحث ومكابدة وتصوير وتسجيل للتجربة والخاطرة بكل أبعادها، استمتع بها حين كتبها .. متعة البوح ومتعة الشعور بها، ليستمتع بها القارىء بالاستقراء لشوارد المعاني والعبارات المشرقة بنجوى الروح، المترعة بوميض الفكرة المتوهجه بضوء الحقيقة».

والأستاذ/ محمد عمر توفيق - عليه رحمة الله - في كتابه هذا (أضواء على الطريق) تناول موضوعات كثيرة متنوعة الأغراض منها: (عظمة الرسول - حق المسجد الحرام - أمة محمد إلى الخير - الايمان بالعقل - شرف القرآن الكريم - العالم الواحد - عهد الجمل - معنى الايمان - نسخة مغلوطة من القرآن الكريم - الحقد الطبقي - ليلة القدر - هل المعركة عربية أو اسلامية ... الخ).

والكتاب يعد مجموعة من التجارب والقضايا الهامة في ثوب أدبي بليغ وهادف صدر هذا الكتاب عن وزارة التعليم العالي - جامعة أم القرى - مكة المكرمة - الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م وهو من الحجم الكبير يبلغ عدد صفحاته أكثر من أربعمائة صفحة.

**** (زكي المحاسني .. المربي الأديب والشاعر الناقد)**

علماء ومفكرون معاصرون لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلفاتهم (٢٣)
زكي المحاسني
المربي الأديب والشاعر الناقد
تأليف
سماء زكي المحاسني
دار القلم

«عُرفَ الدكتور زكي المحاسني في الوطن العربي من خلال كتاباته ومؤلفاته التى أمدت المكتبةالعربية بدراسات وبحوث قيمة، فقد كان باحثا وأديبا، وكاتبا وشاعرا، واسع الثقافة، متمكنا من اللغة».

بهذه العبارات استهلت كاتبة كتاب «زكي المحاسني .. المربي الأديب والشاعر الناقد» مقدمة كتابها الذى تناولت فيه جوانب كثيرة عن نشأة المحاسني ونبوغه المبكر ودراسته وممارسته تدريس الأدب العربي في الجامعة السورية.

كما تناولت جانبا هاما من أدبه هو الشعر، وبينت خصائص هذا الشعر وموضوعاته وأشارت الكاتبة في كتابها هذا عن اهتمام المحاسني بالملحمة العربية الاسلامية وذكرت أنه كان من القلائل الذين صوروا البطولات العربية في شعرهم.

وانتقلت الأستاذة/ سماء زكي المحاسني كاتبة هذا الكتاب للحديث عن مؤلفات والدها من الكتب فقدمت تعريفا لكل منها وما تناوله بالبحث والدراسة من آراء وأفكار .. وذكرت أن الدكتور زكي المحاسني قد ألف كتبا عن أدباء وشعراء ومفكرين كان لهم شأن كبير في مسيرة الأدب العربي منهم المتنبي، وأبي العلاء المعري، وأبى نواس، وغيرهم من الشعراء المبرزين في تاريخ الشعر العربي القديم.

وللدكتور زكي المحاسني - عليه رحمة الله - مؤلفات كثيرة ومقالات وبحوث أثرت المكتبة العربية منها (أبو العلاء ناقد للمجتمع - شعر الحرب في أدب العرب - النواسي شاعر من عبقر - ديوان الشريف العقيلي - المتنبي - نظرات في أدبنا المعاصر - عباقرة الأدب عند العرب - وغيرها الكثير من الكتب المطبوعة والمخطوطة المعدة للطبع).

حرصت المؤلفة على تزويد كتابها بـ (ببليوغرافيا) ضمت أعمال الأديب الشاعر الدكتور زكي المحاسني من مقالات وبحوث مع قائمة بالمراجع شملت ما كُتب عنه.

الكتاب من اصدارات دار القلم - دمشق، من الحجم الوسط، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

آراء في الهمّ العربي

هذه زاوية نفتحها لقراء المنهل ومحبيها.. يسجلون فيها أفكارهم وآراءهم ومقترحاتهم، في الشأن العربي العام، إذ هو همّ الجميع، وهو الوطن الاكبر للجميع.. الجميع يحلم أن يراه فوق الثريا..

القتل .. صناعة يهودية
لماذا قتلوا الشيخ أحمد ياسين ؟!!

حقاً .. إنه صناعة يهودية .. أجادوا صناعته، وبرعوا فيه، واستهوته أنفسهم بل، أشربوه واستلذوه..

اليهودي لا يغمض جفنيه إلا على خديعة أو مؤامرة، أو اغتيال..

من قديم، قديم الزمان اتخذوا القتل وسيلة فاعلة لكل من لا تهوى أنفسهم.. وحتى يومنا هذا..!!

ولا قداسة لأحد عندهم قط.. لا لنبيّ مُرْسَل، ولا لرجل صالح يود خيرهم وبرَّهم..

القرآن الكريم سجل لنا مؤامرات اليهود، وخداعهم، وغشهم.. وسجل لنا عشقهم للقتل .. قتل كل من يخالفهم.

ونستعرض هنا بعض آيات القرآن الكريم في جرائمهم تلك.. ولا شهادة فوق شهادة الحق سبحانه وتعالى.

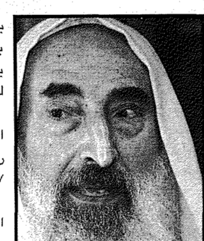
يقول الحق سبحانه وتعالى عنهم: {كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق} (البقرة/ ٦١).

{..أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون} (البقرة/ ٨٧).

{.. قل فلمَ تقتلون أنبياء الله} (البقرة/ ٩١).

{سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق} (آل عمران/ ١٨١).

{فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق} (النساء/ ١٥٥).



بل يفتخرون، ويتباهون بأنهم قتلوا الانبياء.. يسجل الحق عنهم وعلى لسانهم.

{.. وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله} (النساء/ ١٥٧).

ليس هذا فحسب، بل اليهود يقتل بعضهم بعضا، ويحكى لنا القرآن الكريم قصة ذلك الذي قتلوه وانكروا قتله، بل نسبوا الجريمة لآخر.

يقول الحق سبحانه: {وإذ قتلتم نفساً فادَّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون} (البقرة/ ٧٢).

إذن، بعد كل هذا، فلا غرابة أن يغتال اليهود شيخاً على كرسيه..

فإنْ كانت اغتيالاتهم السابقة لكل المدافعين عن أرضهم وعرضهم جريمة بشعة، فإنَّ اغتيالهم لشيخ مقعد على كرسيّ أبشع جريمة..

الشيخ المجاهد أحمد ياسين، رحمه الله وأحسن إليه وجعل الجنة مستقره ومثواه، كان طالب شهادة في الله تعالى.

منذ زمن طويل باع نفسه من أجل وطنه وأهله.. منذ صباه أصيب بشلل كامل.. وكان لمثله ان يقعد مع القاعدين، ولا جناح عليه إن فعل.. لكنه .. لم يجلس ولم يستكن.. ولم يهن.. وهو على كرسيّه، كانت همته وثَّابة، وروحه وقادة، وعزمه متألقاً فوق الذرى.. أكمل دراسته الجامعية في جامعة الأزهر وهو فقير مقعد.. ورجع الى وطنه

فلسطين ليؤدي واجبه بكل قوة الاقوياء، وشدّه الأشداء، وجسارة أهل العزم.

وهو على كرسيّه ، كان أشهر خطيب في قطاع غزة تجمعت حوله القلوب والمشاعر قبل الابدان، كان قوياً في الحق غير هيّاب ولا وجل.

وهو على كرسيّه كان يحدث الناس عن الارتباط بالدين والارتباط بالارض والوطن.

وهو على كرسيّه أسَّس (حركة المقاومة الاسلامية حماس).

لكل هذا تتبعه الأمن الاسرائيلي، واعتبروه من العناصر الخطرة على اسرائيل وأمنها.. اعتقلوه عدة مرات.. حكموا عليه بالسجن، حاربوه وآذوه.. وهو جالس على كرسيّه.

ولما لم يُجْد معه السجن والترهيب والتخويف والتعذيب بكل انواعه وأشكاله، قرر اليهود ممارسة (هوايتهم المفضلة) وصناعتهم التى يجيدونها ويتقنونها.. قرروا قتله.. ظنا منهم ان اخفاء الشيخ المجاهد احمد ياسين سوف يريح اليهود من هذا القلق الدائم.

هكذا ، وهموا .. وظنّوا ..

واختفى جسد الشيخ المجاهد تحت قصف مكثف بمجموعة من صواريخ الغدر اليهودي.. ولكن.. في سماء كل فلسطين، وفي كل شبر من أرضها تبقى روح الشيخ المجاهد.

أبو احمد ـ السودان

الدكتور / عبد القادر طاش .. في ذمة الله

انتقل الى رحمة الله تعالى الدكتور/ عبد القادر طاش الاعلامي والصحفي المعروف وأول مدير عام لقناة (اقرأ) الفضائية مساء الأحد ١٤ صفر ١٤٢٥هـ الموافق ٤/ابريل ٢٠٠٤م.

ولد الدكتور عبد القادر طاش ـ رحمه الله ـ في الطائف عام ١٣٧١هـ ونال شهادة الليسانس في اللغة العربية من كلية اللغة العربية جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ١٣٩٥هـ ثم حصل على الماجستير من جامعة (أكلاهوما) بالولايات المتحدة الامريكية عام ١٤٠٠هـ ـ ثم نال الدكتوراه في الاعلام من جامعة (الينوى) بالولايات المتحدة الامريكية عام ١٤٠٣هـ.

تقلد الفقيد مناصب عدة من بينها: رئيس تحرير صحيفة (المسلمون) ومدير عام قناة (اقرأ) وعين مدير عام الاعلام برابطة العالم الاسلامي.

هذا بالاضافة الى عمله أستاذا للصحافة بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ورئيسا لقسم الاعلام بها لمدة سبع سنوات (١٩٨٤ ـ ١٩٩١م).

كان يشارك رحمه الله في الكتابة الصحفية المنتظمة في عدة مطبوعات عربية وكان له عمود يومي في صحيفة المدينة المنورة. كما أنه شارك في العديد من المؤتمرات الدولية والندوات الاسلامية في العالم العربي الاسلامي وفي أوروبا وأمريكا.

والدكتور/ عبد القادر طاش ـ عليه رحمة الله ـ كان يمتلك حسا إعلاميا وخبرة صحفية عالية وكان يتمتع بالخلق الحسن والأدب الجم والغيرة على قضايا دينه وأمته ووطنه.

ترك الفقيد مؤلفات كثيرة منها:

(رؤى على طريق الدعوة ـ الصور النمطية للاسلام والغرب في مرآة الاعلام الغربي ـ أزمنة الحضارة الغربية ـ المسلمون في الاتحاد السوفيتي ـ دراسات اعلامية ـ الصورة النمطية للاسلام والعرب في مرآة الاعلام الغربي).

رحم الله الفقيد رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

و (إنا لله وإنا إليه راجعون).



ثورة الطب الأخضر

الموروث العلاجي الشعبي بين القديم والحديث:

يحكى في قديم الزمان وسالف العصر والأوان أن الماركيزة فرنسيسكان، التى عاشت عام ٦٣٠ للميلاد، مرضت مرضا شديدا وعجز الأطباء عن شفائها واتفقت آراؤهم على أنها حالة ميؤوس منها وموتها محقق بعد ثلاثة أيام.

عم الحزن وفقد الجميع الأمل إلا زوجها الذي سعى جاهدا لعلاجها فدعا رجلا كبير السن متخصصا في العلاج بالأعشاب وكان يعتكف في صومعة في جبال الأنديز، يسعى إليه من يريد الشفاء. طلب الماركيز سرعة استدعائه ولما حضر الى القصر قال له: «لو شفيت زوجتي لأعطيتك كل ما تتمناه» فقال الشيخ العجوز: «سأشفيها لوجه الله» وأخرج من كيسه الممتلىء بالأنواع المختلفة من الأعشاب بعضا منها غلاها في الماء وصنع منها شرابا تناولته الماركيزة المريضة فنامت في استرخاء وظن كل من بجوارها أنها فارقت الحياة ولكن الرجل العجوز أكد لزوجها أنها شفيت. وكان ما قاله صحيحا لأن قشور الشجرة التى صنع منها الشراب هي شجرة «سكونا لاجريانا» وهو الاسم العلمي لقشور لحاء أشجار الكينا التى استخرج منها العلماء المحدثون بعد ذلك مادة الكينين التى ظلت تعالج بها حالات حمى الملاريا لأكثر من ٣٠٠ عام تقريبا.

وهكذا بقينا نسمع عن البحث الدؤوب وراء الزهرة البرية في أعالي الجبال أو العشبة السحرية في

أعماق الوادي أو الشجرة التى تحمل جذورها الشفاء في الغابات البعيدة. قصص كلها تجد فيما أودع الله سبحانه وتعالى في الطبيعة خلاصا وملاذا ونجاة.. ويبقى أمامنا السؤال قائما يستجدي بحثا نستقصي من خلاله مصداقية هذه القصص وإلى أي مدى استطاع طب الأعشاب أن يكون الساحر الشافي بمشيئة الله تعالى؟! وهل استطاع أن يقف ثابتا في وجه منافسه العصري (طب العقاقير الكيميائية) أو انحنى أمامه بحياء؟! .. اسئلة كثيرة نطمح أن نجد إجابات مقنعة لها في هذا البحث المتواضع.

تنافس الكيمياء والطبيعة :

يبدو أن الثقة المطلقة التى وضعها الطب الحديث في العقاقير والأدوية الكميائية تفسح الطريق أمام العلاج بالأعشاب وثمة أعداد متزايدة من كبار الباحثين تتحول من المختبرات الى الطبيعة لتدرس النباتات والأعشاب البرية وتستخرج منها المواد العلاجية لأمراض عجز الطب الكيميائي عن مواجهتها ومعالجتها.

واللافت في الأمر، أن التحول البارز في حقل الأبحاث الطبية قد أعطى على الرغم من حداثة عهده نتائج إيجابية لم يكن المتفائلون يأملون الحصول عليها خلال هذه المدة الزمنية القصيرة وهكذا استعادت «وصفات الأقدمين» مكانتها العلاجية وبات مقدار كوب من عشبة البابونج المغلية أكثر فائدة في مكافحة حالات

د. عز الدين المفلح

سوريا

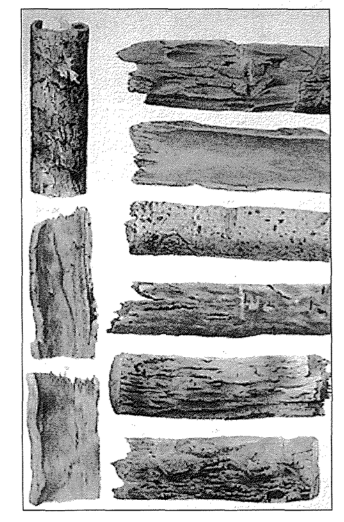
عسر الهضم والنزلات الوافدة من أي دواء نجده في الصيدلية، وذلك باعتراف الأطباء أنفسهم حيث إن معظم العلماء يعترفون حاليا بأن نسبة البشر الذين يموتون نتيجة خطأ في التركيبة العشبية أو كيفية استعمالها، أقل بكثير من نسبة البشر الذين يموتون نتيجة لمضاعفات الأدوية الكيميائية التى يتناولونها ويؤكدون أن معالجة الأمراض بالأساليب الطبيعية أسهل بكثير من معالجتها بالعقاقير الصناعية التى تعد سلاحا ذا حدين، وقد أثبتت الدراسات الطبية أن لها مضاعفات سيئة بل خطيرة أحيانا كثيرة وخاصة عندما يتناول المريض جرعات كبيرة من هذه الأدوية، أو لفترات طويلة وأقل هذه التأثيرات الضارة ظهور أعراض الصداع أو القيء أو المغص أو الإسهال أو ضيق النفس وأحيانا الإصابة بالربو الشعبي أو الالتهابات الجلدية وفقر الدم أو اضطرابات الجهاز الهضمي والكبد.

وهنا نجد أنفسنا أمام حقيقة هي أن الأدوية الكيميائية تعالج الإنسان من مرض خطير، لكنها في الوقت نفسه ربما تصيبه بمرض آخر وبذلك تعددت الآراء حول العلاج بالأعشاب وعدمها، ووجدنا أنفسنا أمام دعوتين:

المعطيات والآفاق

الأولى: تنادي بالعلاج بالأعشاب، ومازال صداها حتى اليوم من أجل عدم التعرض للآثار الجانبية الضارة للعلاج بالكيماويات.

الثانية: تدعو إلى عدم الرجوع الى الوراء بعدما حقق الطب الحديث نجاحه بفعل المستحضرات الطبية الحديثة. ونحن طبعا لا نريد العودة الى الخلف والابتعاد عن تكنولوجيا العصر ولكن إذا كان هناك عقار يعالج المرض ويترك آثاراً سيئة في جسم المريض أو مضاعفات جانبية فلماذا لا ننتج بديلا عنه مستخلصا من الأعشاب والنباتات الطبيعية بأسلوب عصرى حديث؟! وهل هناك ما يمنع من الاستفادة من الوصفات الشعبية العلاجية بعد التحقق العلمي من تأثيراتها وفوائدها من أجل التخلص من الآلام والأمراض؟.



نبتة السنكونا

نقطة البداية في الطب الشعبي :

كثير من القصص التى سمعنا ومازلنا نسمع عنها.. وصايا تتناقلها الأجيال أشبه بالخيال وكلها تهدف الى حماية الإنسان أو علاجه من مرض ألم به.. فهم يحكون أن الأم كانت ـ حسب العادات ـ تعلق على رقبة طفلها خيطا يضم بذورا براقة مستديرة لنبات (UOB) (أحد أنواع النباتات العشبية التى تحمل خواص علاجية مختبرة جيدا) وذلك وفق ما جاء في الوصية القديمة لتخفيف آلام الطفل قبل ظهور أسنانه.

ولقد سمعنا الكثير عن القوة الخرافية الهائلة لكيس (اسافيتيد) ـ نوع من الصمغ ذي الرائحة الكريهة جدا ـ الذى يطرد الأمراض خلال أشهر الشتاء البارد.



نباتات علاجية

وعلى الرغم من صعوبة اقتناع العقل العلمي

بهذه القصص التى تعد مجموعة من الخرافات القديمة التى تناقلتها العامة فيما بينها والتى تظهر مدى اقتناعهم بقدرة الأعشاب على تخفيف آلامهم وأوجاعهم، فإن الطب الحديث قد أثبت جدواها.

إن ما يزيد من قناعتنا بها أنها كانت نتيجة خبرة ومراقبة طويلة للطبيعة وخاصة للحيوان، فاكتشاف مادة الكافئين كان نتيجة مراقبة رعاة اليمن لماشيتهم التى كانت تنشط وتمشي طويلا ولا تتعب كلما تناولت من شجيرات البن. فمراقبة الحيوان وأفعاله دفعت بأجدادنا لوضع حجر الأساس للطب الشعبي في استخدام النباتات العلاجية.

وهكذا نجد أن قدرة الله سبحانه قد جعلت من الطبيعة صيدلية واسعة مكنت الإنسان والحيوان من استخدام النباتات والأعشاب للوقاية وعلاج الأمراض والمحافظة على صحتهم وقواهم. وبما أن الإنسان والحيوان في حركة دائمة فقد فتحت الصيدلية الطبيعية فروعها في كل مكان واستطاعت الأحياء المريضة أن تجد لنفسها الدواء الضروري للعلاج.

الموروث العلاجي الشعبي بين القديم والحديث :

قامت النباتات والأعشاب والوصفات العلاجية الشعبية، منذ القديم، بدور هام في الحفاظ على صحة وعلاج الأمراض، وظل هذا النوع من العلاج دعامة الطب لفترات طويلة، وكانت هذه المعلومات عن الوصفات العلاجية الطبيعية تنتقل شفويا من جيل الى آخر من خلال العادات والتقاليد والأساطير والحكايات بل والأغاني والأمثال والحكم الشعبية لدى الكثير من بلدان العالم وفي مقدمتها مصر الفرعونية والهند والصين وبابل وآشور واليونان القديمة على امتداد آلاف السنين قبل الميلاد، حيث جاء في البرديات الفرعونية التى عثر عليها العلماء في مدينة «منف» التى ربما يرجع تاريخ كتابتها الى نحو (٥٠٠٠) سنة قبل الميلاد، قائمة طويلة تحتوي على (٧٠٠) نبات تتضمن عقاقير مسهلة مثل السنامكي والخروع ووصفات أخرى لعلاج أمراض القلب من إحدى النباتات من فصيلة بصل العنصل (بصل الفأر).

أما بردية إيبرز الطبية الفرعونية فسجلت عليها أكثر من (٨٠٠) وصفة علاجية مكونة من الأعشاب والنباتات، كذلك اكتشف العلماء عدة ألواح في أطلال مدينة نيبور السومرية - يرجع تاريخها الى نحو (٤٠٠٠) سنة نقشت عليها وصفات علاجية مكونة من النباتات والأعشاب.

وإذا كانت القدرة على تخفيف الألم. هي أعظم انتصار حققه الطب الحديث فقد تحقق ذلك منذ آلاف السنين على أيدي الفراعنة الذين عرفوا العديد من أنواع العقاقير النباتية المزيلة للآلام مثل البنج والأفيون، وكذلك أهل الصين القدماء الذين عرفوا هذه الأنواع من النباتات، كما عرفوا العديد من الوصفات العلاجية لحالات الألم والربو ومن ضمن ما يروى أنه في عام ٢٧٠٠ ق.م وصف أحد أطباء الصين (٢٥٠) نوعا من النباتات وفوائدها العلاجية وسجلها في أول كتاب صيني عن العلاج بالأعشاب.

وعندما ظهر الفيلسوف اليوناني (ثيوفراست) في الفترة ما بين (٣٧٢ - ٢٨٧ ق.م) وضع كتابا عن تجاربه العلاجية في النباتات والأعشاب ومن بعده الطبيب الروماني (ديسكوريدس) في القرن الأول الميلادي الذي وضع مؤلفه (المادة الطبية) وهو يحتوى على عدد كبير من النباتات وخواصها العلاجية ثم جاء بعده الطبيب اليوناني الشهير (جالينوس ١٣١ - ٢٠٨م) واستطاع استثمار هذه المعارف الطبية عن

خواص النباتات وسجلها في عدة كتب شكلت تراثا طبيا عظيما عن طرق العلاج بالأعشاب التى احتكرها الرهبان في أوربا لفترات طويلة.

ومع العصر الوسيط وقبل نهاية القرن التاسع الميلادي كتب شيخ النباتيين العرب والعالم المسلم «الدينوري» مؤلفه عن النباتات الذي يقع في ٣٢٣ صفحة صنفت فيه أنواع النباتات ووصفها بدقة متناهية متعرضا لخصائصها وفوائدها. ثم تبعه بعد ذلك الطبيب البيروني (٩٦٣ - ١٠٤٨م) الذي عاش في الهند وكتب معظم مؤلفاته باللغة العربية وعددها ١٨٠ كتابا بين مطبوع ومخطوط.

والذي يهمنا من هذه المؤلفات كلها كتابه الشهير (الصيدلية في الطب) الذي يعده الخبراء أول كتاب عن العقاقير في حالتها الطبيعية حيث أورد فيه نحو ٨٥٠ عقارا نباتيا، محددا أسماءها باللغات المختلفة وحدد خواص كثير منها وقواها العلاجية وجرعاتها المختلفة.

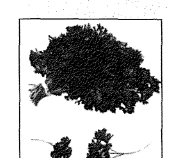
ثم جاء ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧م) بمؤلفه الخالد (القاموس في الطب) الذي تكلم فيه بإيضاح وتركيز عن العديد من النباتات والأعشاب المفردة والمركبة وفوائدها العلاجية.

وفي القرن الثاني عشر الميلادي كتب الطبيب العربي (أحمد الغافقي) من قرطبة مؤلفه عن زراعة وفوائد النباتات والأعشاب.

وفي مصر اشتهر ابن البيطار (١١٩٧ - ١٢٤٨م) رئيس العشابين بمؤلفين هما كتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) وهي مجموعة من الوصفات العلاجية البسيطة المستخلصة من النباتات، والكتاب الثاني (المغني في الأدوية المفردة) الذي حدد فيه تأثيرات وفوائد كل نبات على حده وهو يحتوي على مئات الأنواع من الأعشاب.

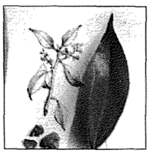
وهكذا لم يكن لهذا الموروث العلمي أن يندثر فقد حمل من المقومات ما جعله قادرا على الصمود والاستمرار حيث استطاع العلماء في بداية القرن التاسع عشر الميلادي استخلاص المواد الفعالة من النباتات والأعشاب المكونة للوصفات العلاجية الموروثة، وفي مقدمتها، المورفين، الأتروبين ، الأفيدرين، وغيرها من المستحضرات الطبية، ولكن مع بداية القرن العشرين وبفضل التقدم العلمي والتكنولوجي لصناعة الأدوية استطاع الإنسان تدريجيا الاستغناء عن الأعشاب في العلاج واستبدالها بالعقاقير الكيميائية.

وعلى الرغم من التقدم العلمي في علوم الطب والصيدلية كافة، إلا أننا كثيرا ما نسمع بين حين وآخر عن نجاح بعض الوصفات العلاجية الشعبية القديمة


بقدونس


التمر الهندي


الزيتون


ورقة الكافور

في عـلاج أو تخفـيف مـشكلات بعض الأمـراض مـثل قـرحـة المعـدة أو القـولون أو الذبحـة الصــدرية أو الأمراض الجلدية.

لذلك كان على الأطباء عدم رفض الاستفادة من تلك الوصـفـات الشـعبـية في العـلاج بصـفـة قاطعـة أو الحكم على عدم فوائدها مسبقا لأن الأسلوب العلمي في الحكم على مثل هذه الأمور يخضع دائما وقبل كل شيء للتـجربة التى تشكل الدليل القـاطع: فـفي عـام ١٩٦٢م لاحظ رئيس قسم العـقم بكلية عين شـمس أن أحد المرضى كان يتردد على العيادة الخارجية للعلاج من حـالة عـقم شـديدة لا يزيد فـيـهـا عـدد الحـيـوانات المنوية عن عـدة آلاف/سم مكعب، بينمـا يبلـغ العــدد الطبيعي لها نحو /٦٠/ مليون سم مكعب، وعلى الرغم من العـلاج المسـتـمـر لم تتـحـسن حـالتـه فـفـقـد الأمل واختفى المريض ليعود فجأة بعد ستة أشـهر بتـحسن واضح وصل الى نحو ١٠ ملايين سم مكعب ، ولما سئل المريض عن سر هذا التحسن، اتضح أنه استعمل لقاح النخـيل - بناء على وصـفـة أحـد العطارين ولمدة ثلاثة شهور.. وبالأسلوب العلمي تم تجميع كميات من هذه المادة وضعت في داخل كبسولات طبية واستعملت في عدة حالات وصلت فيها نسبة النجاح الى ٦٠٪ فقد ثبت من التحليل المعملي لطلع النخيل أنه يحتوي على بعض المواد الهرمونية التى تشبه الهرمونات الجنسية في الإنسـان وإليـهـا يرجع سـر تحـسن هذه الحـالات المرضية.

إن الأبحـاث العلمية الحـديثة تؤكد مـن جديد أن مـعظم المواد التى تتكون منهـا الوصـفـات العـلاجـيـة لشعبية التى سجلها الفراعنة والعرب القدامى وأهل لصين والـهند والعــــديد مـن الدول الأخــــرى في ـــخطوطاتهم يكاد يكون ٩٠٪ منهــا آمنا وهنـاك مـحـاولات جـادة لإعـادة الاعتـبـار الى الطب الشـعبي كبديل للعقاقير الصناعية التى لا تخلو من المضاعفات والأضـرار الجـانبـيـة الخطيـرة وضـرورة المحـافظة على هذا التراث الطبي الشعبي الهائل والاستفادة منه لأن مثل هذه الوصفات الشعبية هي بمنزلة معـارف وكنوز طبـية ربما تؤدي الى تحـقيق إنجازات علاجـية رائعة لكثير من الأمراض، لكن كيف يتسنى لهذه الوصفات أن تبوح بأسرارها؟.

الاجـابة على هذا السـؤال تكمن في عـدم رفض الأطباء الاستفادة منها وضرورة التوفيق السريع بين التراث الطبي الشعبي وبين الطب الحديث.

النباتات الطبية في العلوم الصيدلانية :

بعد كل هذا نجد السؤال يطرح نفسه، ترى كيف نستخدم النبات دواء؟ وللإجابة عنه لابد من أن نعرف أن اسـتـخـدام النبـات في المسـتـحـضـرات الصـيـدلانية يعـتـمـد بشكل رئيس على التـحـاليل الكيـمـيـائيـة لهـذه النبـاتـات، وهذه التـحـاليل مـعـقـدة جـدا في كـثـيـر من الأحـيـان، أضـف الى ذلك أن كـافـة التـجـارب للمـواد المسـتـخـرجـة تتم على الحـيـوانات وعلى عـينات خلوية وبكترية وفطور مختلفة، وبالنتيجة فإن الوصفة الطبية، هي عـبـارة عن نبـاتـات مـجـففـة ومـعـالجـة ومـحـضـرة لتناسب الوصف أو مستخرجة من مواد أساسية ذات منشأ نباتي محض، تؤخذ مباشرة أو بشكل مستحضر بسيط كعلاج أو يتم تحضيرها وإضافتها بمعالجات الأدوية ومـخـابرها، فـقـد تكون على هيـئـة سـوائل مـثل المغليات أو المنقوعات أو خليط من الزيوت أو غرغرات، أو على هيئة صلبة مثل المساحيق وغيرها أو مراهم أو دهانات نصف صلبة مثل البلاسم الخام والراتنجات والعصارات اللبنية أو على هيئة غازية مثل استنشاق

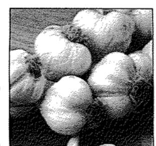
بخار الماء المشبع بالأبخرة العطرية وكذلك بالتبخير كحرق البخور الطبي.

وتستخدم بعض التركيبات النباتية مثل المعلقات والمغليات أو المهروسات أو اللعوقات أو المراهم أو الدهونات أو المساحيق وغيرها لعلاج بعض الأمراض وتذاب في الماء أو الزيت أو العسل أو في بعض المشروبات أو في بعض الدهون النباتية أو الحيوانية.

وهنا لابد من الإشارة الى أن قيمة العقار تظهر من خلال تحديد جودته، فالصفات الظاهرة لأي نبات تعطي مؤشرا ذا قيمة كبيرة في تحديد هذه الجودة ففي نبات البابونج مثلا، يجب أن تكون الرؤوس بقطر ووزن معين ولون أبيض مصفر قليلا.. وهكذا فالمواد الفعالة في النبات تتكون أساسا من مجموعات كيميائية مختلفة ذات خصائص معروفة تكون مسؤولة عن استعمال العقار في المعالجة الدوائية.

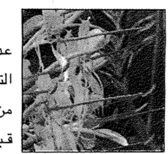


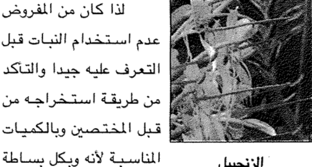
نعناع



التومة

وقد تترك هذه المعالجة بعض الآثار السيئة في حال الخطأ في استخدام أو في عدم معرفة نوعية النباتات أو جهل بخصائص بعض النباتات.





الزنجبيل

لذا كان من المفروض عدم استخدام النبات قبل التعرف عليه جيدا والتأكد من طريقة استخراجه من قبل المختصين وبالكميات المناسبة لأنه وبكل بساطة يمكن لزيادة الجرعة العلاجية أن تسبب مشكلات لذا تبقى استشارة الطبيب هي الأسلم والأنفع.

وفيما يلي نسلط الضوء على بعض الأمراض الشائعة وأساليب معالجتها بالأعشاب الطبية:

* أمراض الجهاز العصبي :

- الأرق : بنفسج ، خشخاش ، حندقوق.
- تعب الأعصاب : زعتر بري ، كرفس.
- الكآبة : كرفس - لاوند.
- آلام الأعصاب: البنج، سحلب، لاوند، البصل، بابونج، بنفسج.

* أمراض العين :

- الرمد : أقحوان، بابونج، هندباء برية، زنجبيل.
- الماء الأبيض: بصل، بنفسج، ختمية، زعتر بري.

* أمراض الأذن والأنف والحنجرة :

- الزكام: بابونج، بصل، مريمية، **نعناع**.
- آلام الأسنان: **ثوم** - زعتر، قرنفل فلفلي، مريمية.
- آلام اللثة : جرجير، **زنجبيل**.
- الأذن : بابونج، ترنجان، ثوم.
- البلعوم والحنجرة: بابونج، بصل، سمسم، شمر، صبر، عرق سوس، زعتر، خبيزة، ختمية.

* أمراض الجهاز البولي :

- حبة البركة، نعناع، ورد نسرين، بصل ، عرق سوس، ختمية، ثوم، متة، هندباء... الخ.

* أمراض الجهاز الهضمي :

- ضعف الشهية : بصل، ثوم، حب الهال، خردل.
- سوء الهضم : جرجير، شمر قراص، لاوند، يانسون.
- الإسهالات : بابونج، ثوم، بصل، ريحان، سحلب، **قرفة**.
- الإمساك : حبة البركة، حلبة، خولنجان، شمر ،

كراوية.

* الأمراض الجلدية :

- التحسس الجلدي: أقحوان، بنفسج، **زعتر** بري.

- التقرحات الجلدية: بابونج، ثوم خبيزة، لبلاب، حبة البركة، ذنب الخيل.

- الحروق: جرجير، ذرة، صبر، قراص، لبلاب.

- الجرب : أقحوان، تبغ، ثوم.

* أمراض الغدد الصماء :

- السمنة : مريمية.

- الداء السكري: بصل، ثوم، جرجير، **حلبة**، قراص، مريمية.

- تضخم الغدة الدرقية: طرخشقون.

* أمراض جهاز الدوران والقلب:

- ثوم، خردل، أقحوان، حرمل، سحلب، لاوند، زعتر، سمسم.

كيف نجمع النباتات الطبية؟

علينا أن نعلم أن لا جدوى من جمع النباتات الطبية في فترات الرطوبة أو المطر حين تكون مبللة أو رطبة العود. ومن الأهمية كذلك أن نهتم بطريقة معالجة النباتات ونقلها مع توخي الحذر الشديد كي لا تفقد خواصها ومثال ذلك: إن نزع الأوراق قد يؤثر كثيرا على المادة الدوائية الفعالة في بعض الأعشاب كما أن وضع هذه النباتات بملامسة المعادن يؤدي الى إتلاف فيتامين C لذلك فإنه من الضروري أن تجمع النباتات والأعشاب بشكل كامل أو أن نجمع جزءا منها بشكله الكامل ويجب أن يتم قصها بالمقص أو السكين الحادة بعد جفافها. كما يجب ترشيد جمعها للحفاظ على وجودها ولمنع انقراضها، لذا علينا أن نترك دوما ثلث النباتات في مواقعها حتى تترعرع وتنمو من جديد وفي بعض الأحيان يكفي قطع زهورها وبراعمها وبهذا تبقى النباتات عنصرا منتجا لمزيد من الفروع والأغصان الجديدة بما يفيدنا ويفيد غيرنا.

توجه وإقبال :

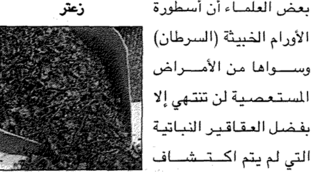
لقد حفلت السنوات الأخيرة بتوجه ملحوظ نحو الأعشاب والعلاج بها حيث اغتنت المكتبة العربية بالأبحاث والمقالات والموضوعات العلمية والكتب المهتمة بهذا الموضوع مما ساهم في تثقيف الناس بهذا الجانب من العلوم وهذا ما شجعهم على زيادة الاهتمام بالنباتات الطبية والبحث عنها. فهذا العلاج أرخص تكلفة وأقل خطرا، وقد أصبحنا نرى أطباء متخصصين بالعلاج الطبيعي وامتلأت الصيدليات بالعقاقير العشبية الطبيعية.



القرفة

ويبقى الأمل بجهود لا تعرف الكلل تبذل في البحث العلمي والتوسع السريع لتكون هذه العلاجات منافسة للعلاجات الكيميائية حيث يؤكد بعض العلماء أن أسطورة الأورام الخبيثة (السرطان) وسواها من الأمراض المستعصية لن تنتهي إلا بفضل العقاقير النباتية التي لم يتم اكتشاف أسرارها بعد.

زعتر



حلبة



الأسلوب النبوي (دعاء السفر) نموذجاً

أميٌّ .. لا يقرأ ولا يكتب .. جاءه الوحي وناداه: إقرأ ! فقال : ما أنا بقارىء (لا أعرف القراءة).

ولكنه فصيح، غاية في الفصاحة.. رضع من حليمة السعدية .. تربى في مضارب بني سعد .. تعلم لغة قريش أفصح لهجات العرب .. سمع أفصح الكلام، دخل إلى أذنيه وإلى قلبه ووجدانه.. سمع الشعر العربي واستعذبه.. تأمل في ملكوت الله في غار حراء .. استرجع ذهنه وقلبه مخزون اللغة وألوان الكلام .. عاش مع جده عبد المطلب، ثم مع عمه الشاعر أبي طالب .. تلقى الوحي من ربه بأروع الكلم وأعذبه وأبلغه.. أدبه ربه فأحسن تأديبه.

أوتي جوامع الكلم : صفاء في اللغة، وطلاوة في الأسلوب، وبلاغة في التعبير، وحكمة في البيان، ودقة في الوصف .. تكثيفاً في المعاني، وإيجازاً في الكلمات.. وإذا قلت من أبلغ القائلين بعد كلام الله العزيز الحكيم، رددت العرب في أصقاعها ورددت السموات والأرض: إنه حديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، لا يجاريه أديب، ولا يدانيه خطيب، ولا يضاهيه بليغ.

هو الذي قال: «رفقاً بالقوارير»، وهو الذي قال: «إياكم وخضراء الدمن» وهو الذي قال: «في كل كبد رطبة أجر» وهو الذي قال: «إن امرأة دخلت النار في هرة حبستها، فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض». واقرأ أحاديث الرسول {صلى الله عليه وسلم} كلها فلا تجد إلا بيانا ساحراً وبلاغة آسرة.

ولكن .. هل ركبت الطائرة، واستمعت الى صوت الربّان وهو يتلو حديث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} في دعاء السفر، هل استمعت إليه وهو يردد:

«سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا الى ربنا لمنقلبون»

اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى

ومن العمل ما ترضى

اللهم هوّن علينا سفرنا هذا

واطْو عنّا بُعْدَه

اللهم أنت الصاحب في السفر

والخليفة في الأهل

اللهم إنّا نعوذ بك من وعثاء السفر

أحمد صدوق صافي

- الكويت -

وكآبة المنظر

وسوء المنقلب في المال والأهل والولد»

(رواه مسلم)

ما هي المشاعر التى انتابتك، وما هي الأحاسيس التى سيطرت عليك؟ إنه الأمان كله .. إنه الجلال كله .. إنها العذوبة والتدفق العاطفي الجميل .. إنها الثقة بالله كاملة تسري في النفس فتشتعل بالإيمان، وتضاء بكل معنى سام وعظيم.

ما هو السبب ؟ إنها الكلمات يصوغها الرسول الكريم {صلى الله عليه وسلم} في دعائه الجليل، بأسلوبه الأخاذ الذي يجعلك ترتبط بالنص ارتباطاً وجدانياً وثيقاً، وبكل ما يتضمن النص من معان وأسماء وقيم.. يسكنك النص وتسكن به .. ولكن ما هي مقومات النص الأدبية التى تجدها في هذا الدعاء؟.

الحديث الشريف الذي يورد هذا الدعاء رواه مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن الرسول {صلى الله عليه وسلم} كان إذا استوى على بعيره خارجاً الى السفر كبّر ثلاثاً ثم قال: (الدعاء المذكور آنفاً) وإذا رجع من السفر قالهن وزاد عليهن «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون».

إن أول ما يلامس نظرك ويصافح أذنيك ويدخل قلبك ووجدانك هو مقدمة النص واستهلاله؛ فبقدر ما

يكون الاستهلال قوياً وناصعاً ومناسباً، فإنك ترتبط بالنص من أول وهلة، فكيف إذا كان الاستهلال بآية قرآنية معبرة تعبيراً دقيقاً وموحياً، آية تعبر أصدق تعبير عن الحالة الراهنة والموقف الذي هو فيه {**سبحان الذي سَخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين**} (الزخرف/ ١٣، ١٤).

بداية لنلق الضوء على كلمة موحية ومعبرة في هذه الآية الكريمة وهي كلمة مقرنين: أي مطيقين، يقال: أقرن الشيء إذا أطاقه، قال ابن هرمة:

وأقرنت ما حملتني ولقلما
يطاق احتمال الصد يا دعد والهجر

قال الزمخشري : «وحقيقة أقرنه وجد قرينته وما يقرن به، لأن الصد لا يكون قرينة للضعيف»، وقال الأخفش وأبو عبيدة: «مقرنين ضابطين وقيل متماثلين في الأيدي والقوة، من قولهم فلان قرن لفلان أي ضابط له وأقرنت كذا أي أطقته، وأقرن له أي أطاقه وقوي عليه كأنه صار له قرناً قال الله تعالى: {**وما كنا له مقرنين**} أي مطيقين، وقال آخرون: وفي أصله قولان أحدهما أنه مأخوذ من الأقران يقال أقرن بقرن إقراناً إذا أطاق أو أقرنت كذا إذا أطقته وأحكمته كأنه جعله في قرن وهو الحبل فأوثقه به وشده، والثاني انه مأخوذ من المقارنة وهو أن يقرن بعضها ببعض في حبل تقول: أقرنت كذا بكذا إذا ربطته به وجعلته قرينه. فسبحان الله الذي سخر لنا الركوب وذللها لنا فأطقناها أو فاستطعنا ربطها ووثقها وشدها مع أن حجمها أكبر وشراستها أكثر[١].

تعجّب وانبهار من هذا المخلوق العجيب وتلك الآلة الخارقة التى تنقلك من مكان إلى مكان.. مسخّر لبني الإنسان الذي كرمه الله تعالى، لقد سخر هذا.. تعبير يصلح لكل زمان ومكان، هذا البعير.. وهذه الناقة.. وهذا الحصان .. وهذه الباخرة.. وهذه الطائرة.. وهذا الصاروخ.. ينقلنا إلى مكان بعيد ما كنا بالغيه إلا بشق الأنفس، وفي نهاية المطاف وفي بداية المطاف، ولا ندري في أي مرحلة من مراحل المطاف، إلى الله راجعون، وإليه ذاهبون، وإليه المصير.. ربط الدنيا بالآخرة.. وربط المادة بالروح.. وربط الخلق بالخالق، حسب المنهج الرباني القويم.

استمع إلى الآيات التى تسبق هذه الآية الكريمة، يقول الله تعالى: {**الذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون * والذي نزّل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تُخرجون * والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنَّا إلى ربنا لمنقلبون**} (الزخرف/ ١٠ ـ ١٤).

وهنا تدرك البلاغة والحكمة من اختيار هذا الدعاء من هذا الموضع من السورة القرآنية، حيث تتحدث الآيات عن نعم الله وفضله في الإقامة والسفر والترحال، فمهد الأرض لعباده، وأنزل الماء من السماء ليقيم الناس المدن حيث الزرع والثمار، وحيث الأنهار، ويخلق الأزواج من الأنعام، ويجعل الفلك للركوب كوسيلة من وسائل السفر.

وفي آيات أخرى في سورة أخرى حديث طيب عن السفر من المفيد والممتع أن نورده في هذا السياق، حيث يقول الله تعالى: {**والأنعام خلقها لكم فيها دفء**

ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم * والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون * وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء ربكم لهداكم أجمعين} (النحل/ ٥ ـ ٩).

قصد السبيل : أي بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه الى جنات النعيم، ومنها جائر: طريق مائل عن الحق منحرف منه لا يوصل سالكه إلى الله، وفي الحالتين فإن المعنى يراد به أيضاً الطريق الذي يسلكه المسافر في سفره، والسلوك الذي يتبعه فيه، وفي التعبير القرآني **{ويخلق مالا تعلمون}** إشارةالى ما قد يهدي الله البشر في المستقبل من وسائل حديثة للسفر غير الخيل والبعير والحمير، كالسيارة والباخرة والطائرة وغيرها كما هو واضح، وكما أورده المفسرون.

استهل بالآية القرآنية تواضعاً لله بأن بيانه هو البيان الأعظم، وإعلاناً بأن لا صوت يعلو فوق ذكر الله في كتابه المجيد.. استهل بالآية القرآنية التى هي دعاء بحد ذاتها، فلم يخرج، حين استشهد بها، عن صيغة الدعاء، والتسبيح صيغة من صيغ الدعاء.. **{وإنا إلى ربنا لمنقلبون}** وهنا السر العظيم في هذا التعقيب القرآني المعجز في آخر الآية الكريمة، ومضمون هذه الجملة ودلالتها، وهي في محل نصب حال، «إنه كم من راكب دابة عثرت به أو شمست أو طاح عن ظهرها فهلك، وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا، فلما كان الركوب بحد ذاته أمراً شديد الخطورة، مجهول المغبّة، مستهدفاً لأنواع المتالف وصنوف المخاطر كان من حقه أن لا ينسى أنه هالك لا محالة، وأنه منقلب إلى الله، ولن يتاح له الإفلات من قضائه إذا حُمّ، ومن قدره إذا حَلّ، والغاية من كل ذلك أن يكون منتبها إلى نفسه، غير مُؤْثر لدنياه على آخرته»[٢] فاجعل اللهم خاتمتنا إلى خير، والطف بنا حين ننقلب إليك.

ثم دخل النص في كلام المبدع: رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، بعد أن قدم بكلام البديع جلّ وعلا الذي لا بديع معه ولا بديع قبله ولا بديع بعده، دخل النص في حالة السفر الذي نحن بصدده والذي استعد له وباشر فيه: «اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى».

هذه هي الدفقة الثانية من النص بعد الآية القرآنية.. الدعاء الذي يخص السفر، ليس دعاء عاماً، ولا عبارات تجريدية، إنه طلب محدد ورغبة محددة، والله يحب من عبده أن يخص بالدعاء ويطلب الحاجة ويسميها، فالرسول {صلى الله عليه وسلم} يسأل ربه في السفر .. وأي سفر «**في سفرنا هذا**» الذي نقصده وإلى الوجهةالتي يعلمها الرب جلّ وعلا .. وما سؤاله؟ هل مقصد من مقاصد الدنيا؟ من الطبيعي أن يتضمن السفر مقصداً من مقاصد الدنيا وغرضاً من أغراضها، ولكنها وسائل الى غاية عظمى هي رضى الله وطاعته.. نسأله في سفرنا البر والتقوى..وما البر يا رسول الله؟ وما التقوى يا رسول الله **{ولكنَّ البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، وآتى المال على حُبِّه ذوي القربى واليتامى والمساكين وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صبروا وأولئك هم المتقون}** (البقرة/ ١٧٧).

وهكذا ترى أن البر الموضح في هذه الآيةالكريمة **يتضمن مقومات السفر** وزاد المؤمن خلال السفر،

فالإيمان هو زاد المؤمن في كل ساعة من عمره، وفي كل حركة من حركاته، وهو في السفر زاده الأوفى والأكثر حاجة، فهو بعيد عن جماعته المؤمنة وعن أصحابه الذين يتقوى بهم ويتواصى معهم بالحق ويتواصى بالصبر، وإقامةالصلاة الركن الأساسي للدين لا يغفل عنه المسلم في سفره ورغم مشاغله الكثيرة في السفر، والوفاء بالعهود والالتزام بها وعدم نقضها هي صفة المسلم وسمته، ويطلب إليه المحافظة عليها فيما ينظم من وثائق أو يعقد من اتفاقيات خلال سفره بقصد التجارة أو نحوها.. وكذلك الصبر في الشدة والمصاعب والأزمات التى تطرأ والتى يمر بها المسافر.. وفي ذلك الصدق مع الله والصدق مع النفس والصدق مع البشر مهما كانت ملتهم وأهواؤهم، وفي ذلك التقوى التى سألها الرسول {صلى الله عليه وسلم} من الله سبحانه وتعالى في دعاء السفر.

وهكذا فإن الرسول الكريم {صلى الله عليه وسلم} يريد من أصحابه حمل هذين المصباحين: **البر والتقوى**، ينيران لهم درب السفر ويربطانهم بهذين الرباطين المقدسين، هاتان الصفتان المتلازمتان اللتان يحملهما المسلم الصادق، يرجوهما الله منه ويطلبهما من جماعته المؤمنة في المجتمع المسلم، في حلهم وترحالهم، وهذا ما أعلنته الآية الكريمة **{وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان}**، فيشعر الرسول الكريم {صلى الله عليه وسلم} بسر هذه الدعوة الإلهية وكم هي لازمة وهامة وهو يتأهب للسفر مع صحبه الكرام، فيسأل ربه القدير الحكيم أن ينالوا هذا الخير العظيم وهذا الفضل العظيم.

وأما العمل الدنيوي الذي يطلبه المسافر في سفره ويسعى من اجله، فهو العمل الذي يرضي الله، ويكون وفق شرعه وحسب منهجه، وليس العمل الذي يجلب المنفعة الخاصة دون النظر الى رضى الله وطاعة الله، وبالتالي الى رعاية مصالح العباد، وعدم ظلم الناس وأكل حقوقهم، فالتجارة باطلة إن خالفت شرع الله، والسياحة آثمة إن شابها ما يسخط الله «**ومن العمل ما ترضى**».

والدفقة الثالثة من الدعاء: «اللهم هوّنْ علينا سفرنا هذا واطو عنّا بُعده».

فالسفر قطعة من العذاب، وفي دعاء الرسول {صلى الله عليه وسلم} أن يسهل الله العسير، ويهون الصعب، ويزيل العثرات، ويرفع الحواجز؛ والسفر طويل والمسافات بعيدة، ونطلب من ربنا أن يطوي البعد ويقصر المسافات بحيث لا يشعر المسافر بالملل وبوطأة الطريق الطويل، وأن يدخل في النفس المسرة والارتياح ويبعد الهم والكدر.

والدفقة الرابعة من الدعاء: «اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل».

مناجاة مع الله وهو يبدأ طريق السفر، بأن يكون الله صاحبنا، وهل خير من صحبة الله؟ فمن كان الله معه فلا يبالي.. وعندما تشعر بأن الله معك في سفرك فإن نفسك ترتاح، ويبتعد عنك الانقباض، وفي الوقت نفسه فالله هو الذي يخلف المسافر في أهله، وهو نعم الخليفة، وهل أجمل من أن يعرف المسافر ويشعر أن الله خلفه في أهله يحرسهم ويحفظهم ويرعى شؤونهم ويسترهم وييسر أمورهم ويفرج همهم خلال غياب وليهم؟ فالله وليهم ومولاهم.. صاحب في السفر وخليفة في الأهل.. هنا وهناك وفي كل مكان.. إيمان

ويقين بأن الله واسع عليم .. يسع العباد جميعاً {لا تأخذه سنة ولا نوم وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم} (البقرة/ ٢٥٥).



بلده، أو في ولده الذي يحتاج إلى رعاية خاصة منه، وقد تركه وسافر، ولا يدري أتطول غيبته أم تقصر، أيعود إليهم سالماً غانماً أم تتداركه رحمة الله.. فاللهم احفظ أهلنا وولدنا من كل سوء.

والدفقة الخامسة من الدعاء: «اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في المال والأهل والولد».

يستعيذ بالله، ويلجأ إليه، ويطلب منه الإجابة، من التعب الذي يسببه السفر، والعنت الذي يلقاه بتصديه للطريق ولأداة السفر، وللناس الذين يحتك بهم.. كما يستعيذ بالله من كآبة المنظر الذي قد يصادفه المسافر.. حوادث الطرقات.. والمناظر المؤذية التي تؤلم القلب أو التي تغضب الرب، أو التي تؤذي العين.. ويالها من لفتة رائعة حين يستعيذ من كآبة المنظر، إنها تنم حقاً عن شفافية مرهفة وعن نفس شاعرة.

كما يستعيذ من تغير الأحوال نحو السوء والشر والخسارة، سواء في ماله الذي يشتغل به في التجارة خلال السفر، فيطلب الربح والتوفيق والتيسير، أو في زوجه وأهله اللواتي يصحبهن أو اللواتي يخلفهن في

وندرك هنا كيف جاء تعبير «سوء المنقلب» محاكياً للتعبير القرآني الذي ورد في الآية التي استهل الرسول {صلى الله عليه وسلم} دعاءه بها وهو «وإنا إلى ربنا لمنقلبون» فما دمنا منقلبين وراجعين إلى ربنا، فلابد أن نستعيذ بالله من سوء المنقلب، وأن تكون نهايتنا وخاتمتنا ومصيرنا إلى رحمة الله وجنته ورضوانه.

الأسلوب :

يتميز الأسلوب في هذا النص النبوي بالسهولة والوضوح، فلا تجد كلمة غامضة يصعب فهمها، أو غريبة تحتاج للرجوع الى المعاجم لتفسيرها، ولا تعبيراً يحتاج الى بذل الجهد للوصول الى مرماه.. وإنك لتجد كلمة «**وعثاء السفر**» التي قد تكون غريبة، ولكن معناها مفهوم وتكاد تكون متداولة على ألسنة الناس، وهي المعبرة تحديداً عن المعنى المراد.

وفي المعجم: وعث الطريق: تعثر سلوكه، ووعث الأمر: فسد واختلط، والوعث: الطريق الخشن العسير، والطريق الأوعث: الذى يتعثر سلوكه، والوعثاء: المشقة والتعب والشدة، وهكذا فإنك تدرك من شرح هذه الكلمة في القاموس كأنما جاءت لتكون خاصة بالطريق وبالسفر؛ وأنت إذا أردت أن تستخدم كلمة تجمع سلبيات السفر فلا تجد غير هذه الكلمة، فهي تختصر عدة كلمات وعدة معان في كلمة واحدة.

ومع السهولة في الألفاظ تجد الفصاحة والقوة في التعبير فلا يوجد انحدار في اللغة بل رقيٌّ وارتقاء، فالكلمات جاءت كلها معبرة عن المعنى المقصود بالضبط، فلا تستطيع أن تضع كلمة أخرى بديلة تفيد المعنى في دلالته وإيحائه وفصاحته.

الصور الفنية :

النص هو دعاء لله تعالى هدفه التضرع إليه وسؤاله واللجوء إليه فلا مجال الى تزيين الكلام بالصور البيانية، والجنوح إلى الخيال، وفي أحاديث كثيرة للرسول (صلى الله عليه وسلم) تجد الصور الفنية من تشابيه واستعارات وكنايات لتوضيح المعنى وتقريبه الى أذهان المتلقين من المسلمين، بالأمثلة التى تؤخذ من واقع الحياة، أو مما يحيط بالإنسان من صور الطبيعة وألوانها، على أن هناك صورة واحدة في هذا النص، ضرورية لتصوير الوضع وبيان الموقف فهو يقول «**اطْوِ عَنَّا بُعْدَه**» وهذه الصورة هي استعارة مكنية، حيث شبّه المسافات الطويلة بين بلد المسافر والبلد الذي ينوي السفر إليه، بالنسيج أو الثوب الذي يمكن طيه ليصبح سهل التناول والحمل، فحذف المشبه به وهو النسيج أو الثوب وذكر صفة من صفاته وما يدل عليه وهو الطي على سبيل الاستعارة المكنية، أو شبه المسافات الطويلة والطريق بالكتاب الذي تطوى صفحاته، وهي صورة جميلة رائعة بحق توضح حالة السفر وبعد المسافات، مستعيراً هذا التشبيه من قول الله تعالى {**يوم نطوى السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده**} (الأنبياء/ ١٠٤)؛ أي كما يطوي الملف أو غلاف الكتاب الأوراق المكتوبة التى يضمها، ويقول ابن عباس في تفسير هذه الآية: أي كطي الصحيفة على ما كتب فيها، فاللام هنا تعني (على)؛ وقد أخذ الشاعر الكبير ابن الفارض الصورة التى جاءت في دعاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) وذلك في بيته الذي يستهل به القصيدة اليائية الشهيرة:

سائق الأظعان تطوي البيد طي

منعماً عرِّجْ على كثبان طي

و (طي) الأولى هي مصدر طوى، والثانية هي قبيلة (طيء) العربية.

ثم يقول في بيت آخر من القصيدة :

نشر الكاشح ما كان له

طاوي الكشح قبيل النأي طي

الموسيقى :

أهم ما يميز هذا النص هو الموسيقى الداخلية التى يصدح بها، وهذه الموسيقى تنبعث من انسجام الكلمات والحروف والألفاظ، وإذا أردت أن تستخدم مصطلح (كيمياء الكلمة) الذي يطلقه بعض الأدباء والنقاد، فإننا نجده متمثلا في هذا النص، وهو تآلف الكلمة إذا رصفت بجانب الكلمة، أو تناغم الحروف في الكلمة الواحدة.

«اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى» في البر والتقوى تناسق وتناغم، تنبعث منهما موسيقى جميلة، تأتي من تشديد حرف الراء وبعده حرف العطف ثم كلمة التقوى في الواو والألف المقصورة، ثم ترادف البر والتقوى، فلو قلت: التقوى والبر في هذا السياق فلن تتيسر لك العذوبة والجرس الموسيقي في التعبير، والحالة نفسها تجدها في تناسق كلمات (المال والأهل والولد) في هذا الترادف الذي يبعث الموسيقي دون تنافر ولا ثقل، بخلاف لو قلت: (المال والولد والأهل). «ومن العمل ما ترضى» تجد الموسيقى المتأتية من تناسق وتناغم الكلمات والحروف، وتجد كذلك الموسيقى الداخلية في التعبير النبوي «واطو عنا بعده» وغالباً ما يكون لصيغة الأمر في الأفعال المعتلة الآخر اضطراب وقلق لفظي كما لو قلت (اطو بعده) فالسكون في حرف الطاء والواو المعتلة بعده يجعل ثقلا في النطق، ولكن التعبير جاء سلساً منساباً بفضل الجار والمجرور والشدة عند اتصال النون بالألف (عنّا) التى جاءت بعد فعل الأمر تسنده وتزينه وتدخل إليه شيئاً من الموسيقى اللطيفة.

والموسيقى تأتي كذلك من السجع، ولكن ليس السجع الكامل الذي ربما يكون متكلفاً، فالسجع بين كلمتي (التقوى - ترضى) يكمن في الألف المقصورة. والسجع بين كلمتي (السفر - المنظر) يكمن في حرف الراء سواء سكنته أو حركته بالجر.

كما نجد الموسيقا الداخلية في الألفاظ التى وردت تترى في تتمة الحديث، عند العودة من السفر عندما يقول الرسول {صلى الله عليه وسلم} «**آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون**» تجدها في الصيغة التى وردت فيها التعابير الأربعة على شكل جمع المذكر السالم بإضافة الواو والنون في هذا الترادف الجميل، وحين جاء الحرف الثاني في كل كلمة واحداً وهو حرف (الألف)، وكذلك حين يقطع رتابة تركيبها فتأتي كلمة (لربنا) البليغة الرائعة قبل كلمة (حامدون) لتقطع رتابة توالي المفردات المتشابهة، ولتزيد في حلاوة موسيقا المقطع وجماليته.

حسن التقسيم :

في النص تعابير كثيرة يظهر فيها حسن التقسيم وهو أحد المحسنات البلاغية التى تعطي للأسلوب رونقه وطلاوته، وتزيد من حلاوة الموسيقى الداخلية في النص، وذلك بأن تأتي الجمل المتتابعة بطول واحد وصياغة متشابهة في تركيب الكلمة وموسيقاها:

(البر والتقوى - ومن العمل ما ترضى)

(الصاحب في السفر - الخليفة في الأهل) خبر وجار ومجرور

(وعثاء السفر - كآبة المنظر - سوء المنقلب) اسم مجرور ومضاف إليه

العاطفة :

حين ندرس العاطفة في هذا النص، فمن البديهي أن نشير إلى أنه نص يفيد الدعاء والالتجاء إلى الله، وأنه عاطفة توسل ورجاء وتضرع إلى القوي العزيز الذي بيده مقاليد كل شيء؛ وأساليب الدعاء عامة تكون ذات عاطفة صادقة، فما ظنك بعاطفة رسول الله {صلى الله عليه وسلم} نحو ربه الذي يتلقى عنه الوحي ويبلغ رسالته، فلابد أن تكون مثالا للعاطفة الصادقة الدافئة الحميمة، وإنك لتجد هذا واضحاً في كل كلمة فيه، تجده في ترديد كلمات التوسل مثل **(اللهم - نسألك -**

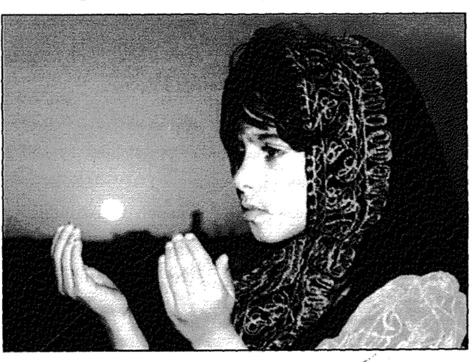
نعوذ بك) التى تضفي على النص الخشوع والوقار والجلال، وكل هذه المعاني التى تجدها أيضاً في تتمة الحديث، عند الإياب من السفر في قول الرسول {صلى الله عليه وسلم} «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون» كل هذه المعاني تتجمع تحت سمة النص العظمى (صدق العاطفة).

نص من النثر الفني :

أنت مع نص من النثر الفني، يملك كل مميزات هذا الجنس الأدبي، وإذا كان يمثل نموذجاً للنثر الفني في عصره، فإنه يتميز عنه بالفصاحة والبلاغة والشفافية التى تقرّبه من الشعر؛ كما أنه يتميز عن نصوص عصره بالوضوح والبعد عن الحوشي من الألفاظ أو التقعر في التعبير أو الصعوبة في الفهم، مما يجعله نصاً منسجماً مع روح هذا العصر وكل عصر، فأنت تقرأه ولا تحس أنه قيل إثر العصر الجاهلي، وإذا أردت أن تعترف بقصيدة النثر التى تشيع هذه الأيام، وأن تعترف بهذه التسمية التى أطلقت على النثر الفني، فهذه قصيدة نثر من الطراز الأول.. إن الرسول {صلى الله عليه وسلم} ليس بشاعر وما ينبغي له أن يقول الشعر **{وما علمناه الشعر وما ينبغي له}** (يس/ ٦٩)، ولكنك مع هذا الأسلوب وهذه الشفافية وهذه الموسيقى الداخلية وهذا التكثيف اللغوي تحس أنك تقرأ قصيدة متميزة من الشعر الحديث.

هذا الأسلوب اللغوي الذي رأيته في «دعاء السفر» والميزات الفنية التى يتميز بها تستطيع أن تسحبه على أحاديث الرسول {صلى الله عليه وسلم} جميعها، من حيث السلاسة والبلاغة والصور الفنية والموسيقا الداخلية، وارجع إلى الأحاديث الشريفة التى ذكرناها في بداية هذه الدراسة، لتجد مصداق ما ذهبنا إليه وما هو ثابت ويقيني في كلام المعصوم {صلى الله عليه وسلم}.

ومن خلال هذا النص يمكنك أن تقابل بين أسلوبين في نظرة واحدة: الأسلوب القرآني والأسلوب النبوي، وتلاحظ الفرق الشاسع بينهما، وكيف أن الأسلوب النبوي لا يمكن أن يرقى إلى البيان الرباني في بلاغته وفصاحته وتعبيره ودلالاته، وأنت عندما تقرأ الآية القرآنية الكريمةالتى استهل بها الرسول {صلى الله عليه وسلم} دعاءه في هذا النص كاملة وهي تقول **{والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان**



الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون} فأنت تجد، من الناحية الفكرية، أي من ناحية المضمون، الربط بين الخلق جميعاً والمخلوقات من الجمادات وبين الخالق المدبر، وأنت تجد، من الناحية الأدبية، من ناحية الشكل، الربط الحاذق الرائع بين الأسلوب التقريري وأسلوب الدعاء بحركة لغوية بارعة (لتستووا ـ ثم تذكروا ٠٠ إذا استويتم ـ وتقولوا) وبانتقال لطيف وخفيف بين عناصر اللغة وعناصر الخطاب.

وهنا ستجد الرد واضحاً على كلام بعض المستشرقين وأتباعهم ممن يرد كلام الله المجيد الى لسان رسوله الكريم {صلى الله عليه وسلم}، وأنه ليس هناك وحي ولا رسالة سماوية.. فشتان بين كلام الله وكلام رسوله كما هو واضح في هذا النص وفي كل النصوص.

ويمكن أن نورد في هذا الصدد مثالا آخر يتمثل في نصين يكادان يتضمنان فكرة واحدة ومنهجاً واحداً، لتجد الفرق الكبير بين الأسلوبين. فالله سبحانه وتعالى يقول **{يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله خبير عليم}**، والرسول {صلى الله عليه وسلم} يقول: «الناس سواسية كأسنان المشط».

على أن بلاغة الرسول وبيانه يمكن أن يقارنان فقط بسواه من البشر لنرى أنه أفصح البشر وأبلغهم وأصدقهم لهجة وأقواهم تأثيرا أوتي بحق جوامع الكلم ومثالية الفكرة.

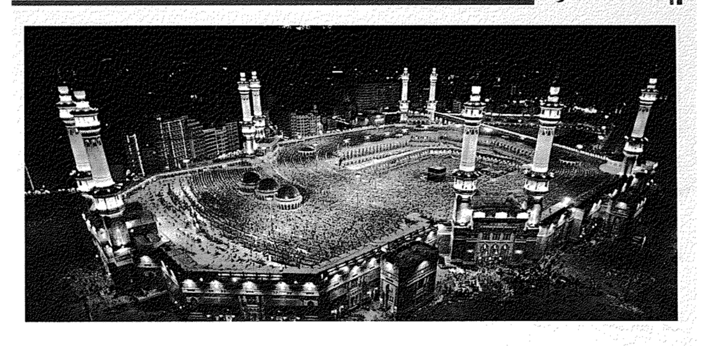
أما قول الدكتور/ زكي مبارك في كتابه (النثر الفني في القرن الرابع الهجري) بأن (الخواص الفنية في القرآن توجد كذلك في الآثار الأدبية التي عاصرته كالأحاديث النبوية وخطب الخلفاء والولاة والقواد الذين شهدوا عصر النبوة أو جاءوا بعده بقليل، ففي خطبة الوداع للنبي عليه السلام وكتب عمر بن الخطاب وخطب عليّ وزياد والحجاج روح ادبية تقارب الروح السائد في القرآن) فإننا نتركه للأدباء وعلماء اللغة كي يردوا عليه، ولعل أبلغ رد هو ما قاله الدكتور طه حسين حين صنف كلام العربية إلى ثلاثة أصناف (نثر وشعر وقرآن) وأن القرآن ليس شكلا من أشكال النثر الفني أو صورة من صور النثر الجاهلي كما يدعي الدكتور زكي مبارك، حتى يمكن ان نقارنه بما وصل إلينا من رسائل الولاة وخطب القادة، أو حتى ما ثبت عن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} من أحاديث شريفة وقدسية، وإنه وإن كانت الخصائص التى تتميز بها تلك النصوص هي من بعض خصائص النص القرآني، ولكن ليس لها الروح السائد في القرآن، ولو كانت كذلك إذن لاستطاع بلغاء العرب وفصحاؤهم أن يأتوا ولو بسورة من مثله.

وبعد: فما أجمل وما أنفع أن تستهل سفرك بهذا الدعاء الشريف، وهذا من الأمور المستحبة في شرعنا الحنيف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده» رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن، وليس في رواية أبي داود «على ولده».

الهوامش :

(١) كتاب إعراب القرآن وبيانه، تأليف الأستاذ محي الدين الدرويش، إصدار دار الإرشاد بحمص ـ سوريه.

(٢) المرجع السابق.



مكة المكرمة .. عاصمة المجد

هذه القصيدة مهداة إلى ثرى مكة الغالي، والى مجدها العالي، وربوعها الثقافية الإبداعية الأدبية.. عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤ ميلادي.. وعلى مدى الآباد.

يرنُو إلى أمــجــادها الفــخــرُ
ويغــارُ من تأريخــهـــا الدهرُ..!
وسـمتْ على سـمْك السـمـاء ومـا
أعطى عُـشـيـر عطائهـا القطرُ
صـبَّت على الدُنيـا مـدامـتـهـا
فـسـبى القُلوب وضـمَّـهـا الُكرُ
يا سُـعـدها.. هـامت بهـا وغـدتْ
في الحُب يشـهـدُ عـهـدها البـدرُ
والضـوء منهـا قـد تشـعـشع في
وجـه الوُجُـود.. فـراعـه الأمـرُ
تبـدي قـشـيب الثـوب ترفل في
حلى يزيد بهــاءه النحــر

قـد خـضـبت بالعلم أذرعـهـا
والعين كـحَّل هُدْبهـا البـشْـرُ
عــشـقي لهـا رُوح أعـيشُ بهـا
ويُنالُ عند وصـالهـا الأجـرُ!
يا خـيـر أرض أنبـتـتْ أدباً
وثقـافـة.. يُصغى لهـا العـصـرُ
مـا كنتُ أعـجبُ أن تفيء لهـا
شـتَّى العُلوم البكر.. والفكرُ
وبأنْ تسُـوس حـضـارة سُـقـيتْ
من زمـزم.. فـزكى به الثـغـرُ
فـغـدا ينافحُ عن عـقـيـدته
ويذُودُ مـا قـد حـاكـهُ المكرُ
تُوحي البـقـاعُ بهـا لكُل فـتى
مـجـداً يفـيضُ أمـامـهُ البـحـرُ..
ذي كـعـبـة غـرَّاء شـامـخـة
فـيـهـا يطيبُ الأنسُ والذكـرُ
قـد ردَّ عنهـا اللهُ أبرهـة
فـارتدَّ في أحـشـائه الشـرُّ

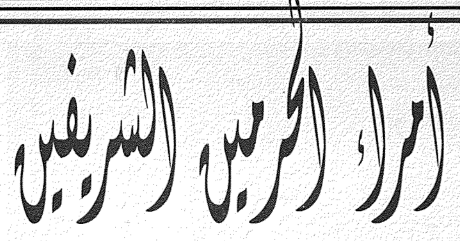
إذْ رامها بالفيل فامتنعتْ
منهُ القوامُ.. ولفَّهُ الذُعرُ
خوفاً من الجبَّار .. واعجبا!
والمرءُ يشحذُ بغيةُ الكبرُ!
وبمكة نبع المعينُ فيـ
ـه البرء من داء .. وما يعرُو
تُجبى الثمارُ إلى مساكنها
ويفرُّ منها الجُوعُ والفقرُ
يكفي بأنَّ الله حرَّمها..
أبداً، ففيها الأمن والخيرُ
وحراء يبعثُ في الدُنا ألقاً
من أحمد .. فعلومهُ زُخْرُ
نزل الكتابُ عليه فانتشرتْ
أضواؤهُ وتبسَّم الفجرُ
فاستلَّ سيف الحقِّ مُصطلماً
للبغي .. حتى ضمَّهُ القبرُ
صلَّى عليه اللهُ ما سطعتْ
شمسُ ؛ وصاغ فنونهُ حبرُ
إنَّ الثقافة منك قد بزغتْ
ونمتْ ، فأنت الوردُ والصدرُ
وإليك يسعى النثرُ مُعترفاً
طرباً .. ويطرقُ بابك الشعرُ
لولاك (مكة) ما سقى قلمٌ
أدباً؛ وصان تُراثنا سِفْرُ
إنَّ الثقافة منك قد نهلتْ
فالبحرُ أنت .. وغيرُك النهرُ
مازلت للإسلام عاصمة
قعساء فضلُ عطائها غمْرُ
أعطتْ لُباب لبابها وسختْ
بالعلم . ضمَّخ وجههُ عطرُ
قد علَّمتنا الشعر مُلتزماً
مُتحرراً..! ما شابهُ هُجْرُ

عبدالله موسى بيلا

- مكة المكرمة -

نشدُو به في كُل موقعة
تهتزُّ من تذكارها السُمرُ
آدابُنا ليستْ بعارية
للغرب .. يُثمل عقلها الخمرُ
آدابُنا عدلٌ؛ ومرحمة
وثقافة؛ وكواكب زُهْرُ
قد أسْمعتْ كُلَّ الورى دُرراً
فأصاخ من في أذنه وقْرُ
تدعو لكُل فضيلة وبُثتْ
ويلُوحُ في أبياتها النصرُ
للّه درُّك (مكة) فلقدْ
وصب العميدُ.. وملَّهُ الصبرُ
ما اسطاع نأياً عن حرارتها
فعسيرها في طرفه يُسرُ..!
ولها القُلوبُ توجَّهتْ وسعتْ
ولها تزُفُّ مُطيَّها السفْرُ
والله ما وفَّى المديح لها
شعرٌ؛ أو أدرك كُنْهها النثرُ
فخُرَتْ بها نفسي؛ وحُقَّ لها
فبمكة يُستجلبُ الفخرُ..
أسكنتنا ياربُّ منزلة
يعلُو بفضل جوارها القدرُ
فلك المحامدُ، والمدائحُ، والـ
ـعرفانُ، والإخلاصُ ، والشكرُ
فأغث ثراها بالبيان، وبالـ
إيمان حتى يخسأ الكُفرُ
دام السُعودُ بمكَّة أبداً
وسمى بأعذب شعرها الصقرُ





لقد تقدم فيما سبق في الحلقة السادسة عشرة أن الأمير شجاع الدين طغتكين المسعودى رحمة الله عليه. قد تولى إمارة البلدة المحرمة، وكانت ولايته في سنة ٦٢٩ للهجرة المباركة. وكانت توليته من قبل الملك الكامل بن العادل سلطان الديار المصرية.

فقد ذكر ولايته الإمام تقى الدين الفاسي في شفاء الغرام، وجاء في تاريخ العلامة نجم الدين عمر بن فهد الهاشمي إتحاف الورى بتاريخ أم القرى : أن الأمير شجاع الدين أبو بكر بن عمر بن محمد الطغتكيني الملكى الكاملي كان أمير الحاج والحرمين الشريفين في سنة ٦٣٨. وأنه أوقف رباطا لفقراء البلد الحرام بمكان ملاصق للميل الأخضر بالمسعى، وقد ورد في اسمه بعض الخلاف.

فقد ذكر الإمام الفاسي في تاريخه العقد الثمين فقال: إن الدغدكينى الذى ذكره بن محفوظ إنما هو طغتكين. فقد سماه غير واحد بذلك، وذكر أن ولايته كانت في شهر ربيع الأول سنة ٦٢٩ من الهجرة الشريفة، هذا وقد استمرالأمير شجاع الدين طغتكين في ولاية البلدة المقدسة بعد عودته من ينبع وتمكنه من إقصاء الملك المنصور صاحب اليمن مع الشريف راجح بن قتادة: حتى شهر صفر سنة ٦٣٠، ففيها عاد الرسوليون من جديد بعد أن استجمعوا قواهم واستولوا على الديار الحرمية ومعهم كالعادة السيد اجح بن قتادة دون أن يواجهوا قتالا ولا مقاومة تذكر.

هذا ما ذكره الإمام الفاسي في شفاء الغرام، ولكنه أشار في العقد الثمين إلى ما يخالف هذا الخبر: حيث أفاد بأن الأمير طغتكين لما عاد من ينبع ومعه قوة عسكرية كبيرة وكثيفة وكان على مقدمتها الأمير فخر الدين بن الشيخ. أعلن حقده على أهل مكة فنهب فيها وأخاف أهلها يعنى مكة المكرمة شرفها الله. وحاصروها وقتلوا ابن عبدات فيها، فعلم بذلك الملك الكامل رحمة الله عليه فغضب عليه وعزله واستدعاه الى مصر وارسل الى مكة المكرمة شرفها الله أميرا غيره يقال له: بن مجلي، وذلك في سنة ٦٣٠ للهجرة، وفيه أن عودة الرسوليين مع الشريف راجح بن قتادة كانت على الأمير فخر الدين الشلاح وليس على الأمير طغتكين كما جاء في شفاء الغرام، وعلى أية حال كانت مدة ولاية الأمير طغتكين على البلد الحرام: نحوا من سنة واحدة في مراحله الأخيرة. وقد تولى للملك الكامل ولاية البلد الحرام في هذه الفترة أيضا:

الأمير فخر الدين يوسف بن محمد بن حمويه المعروف بابن الشيخ :

وذلك في سنة ٦٢٩ للهجرة عندما استولى الجيش الرسولى على البلد الأمين كما ذكره الإمام الفاسي في شفاء الغرام، وقد ذكر نسبه وترجمته العلامة عز الدين بن فهد الهاشمي في غاية المرام وأفاد: أنه كان ذا رأى ودهاء، وعقل وفطنة، وشجاعة وكرم. وأنه كان وزيرا للملك الصالح نجم الدين ايوب رحمة الله عليهم. وأنه هو الذى قام بتدبير الأمور من بعده، ثم روى له شعرا حسنا يدل على أدبه وبلاغته، وهي قوله:

عصيت هوى نفسي صغيرا فعندما
رمتنى الليالى بالمشيب وبالكبر
أطعت الهوى عكس القضية ليتني
خلقت كبيرا وانتقلت الى الصغر


السيد ضياء محمد عطار

- المدينة المنورة -

وقد ترجم له العلامة عماد الدين بن كثير القرشي في تاريخه البداية والنهاية: أنه كان رجلا : فاضلا دينا مهيبا وقورا خليقا بالملك، وكانت الأمراء تعظمه جدا، ولو دعاهم إلى بيعته بعد الصالح (يعنى الملك نجم الدين) لما اختلف عليه اثنان. ولكنه كان يرى ذلك حماية لجانب بنى ايوب، ثم ذكر أنه: قتلته الداوية من الإفرنج. في شهر ذى القعدة الحرام بعد أن نهبوا امواله وحواصله وخيوله، وخربت داره ولم يتركوا شيئا شنيعا إلا وصنعوا به - رحمة الله عليه - هذا وكانت وفاته رحمة الله عليه شهيدا في شهر ذي القعدة الحرام سنة ٦٤٧ للهجرة بالديار المصرية وحملت جثمانه الى القاهرة ودفن بتربته بالقرافة كما جاء في غاية المرام، وممن تولى في هذه الفترة إمارة البلدة المقدسة بتولية من الملك الكامل الأيوبي:

الأمير أسد الدين جفريل بن عبد الله الكاملي رحمة الله عليه:

كما ذكره الإمام الفاسي في شفاء الغرام، وكان الأمير أسد الدين قد ورد إلى البلد الحرام قائدا للجيش الذى أنفذه الملك الكامل وكان قوامه الف مقاتل، وقيل كان عددهم أقل من ذلك، وكان عليهم خمسة أمراء يتقدمهم: الأمير اسد الدين جفريل فتمكن خلالها من الاستيلاء على الرحاب المحرمة، وطرد عنها عسكر الدولة الرسولية اليمانية، وكان ذلك في شهر رمضان من سنة ٦٣٢ للهجرة المباركة كما ذكره الإمام الفاسي في تاريخه العقد الثمين، فلم يزل عليها حتى شهر رجب الحرام من سنة ٦٣٥ للهجرة، فبلغه فيها أن: الملك المنصور الرسولي قصد مكة شرفها الله بنية انتزاع ولاية البلدة المحرمة منه، فخرج عندئذ من البلد الحرام ومعه جنوده، وذكر الإمام الفاسي في العقد الثمين: إنه الذى قيد الأمير الشهاب ابن عبدات وأرسل به الى مصر، وذكر أنه كان أشجع أمراء مصر في ذلك الوقت، وأنه بلغ المدينة الشريفة ايضا يعني بالولاية، فبلغه وفاة الملك الكامل وهو فيها، وقد دامت ولايته نحوا من ثلاث سنوات وسبعة ايام حسب تقديري، وقد خلفه عليها في هذه المرة:

الملك المنصور ابو الفتح نور الدين عمر الغساني الشهيد رحمة الله عليه :

وذلك في اليوم السابع من شهر رجب الحرام سنة ٦٣٥ للهجرة المباركة كما ذكره الإمام الفاسي في شفاء الغرام، حيث انه سار إليها بنفسه ومعه ألف مقاتل فدخل البلد الحرام وقد خلت له من وجود الأمير أسد الدين كما سبق. فدخل البلاد الحرمية. وكانت هذه الولاية الثالثة له. وكان قد تولى البلد الأمين قبل ذلك مرتين. فمرة تولاها مع الشريف راجح بن قتادة سنة ٦٢٩ للهجرة فكانت هي الثانية. وتولاها قبل ذلك في سنة ٦٢٠ للهجرة بتولية من الملك المسعود مباشرة فكانت هى الأولى. وقد دام عليها في ولايته الأولى حتى سنة ٦٢٥ للهجرة ثم عاد الى اليمن. وكان فيها قد قصده الشريف حسن بن قتادة بقوة عسكرية فتصدى لهجومه وقاتله وهزمه. كما وأنه في ولايته هذه أى الأولى جدد عمارة مسجد أم المؤمنين سيدتنا عائشة الصديقة رضى الله عنها وارضاها في التنعيم أو العمرة. كما جدد عمارة دار سيدنا أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه الواقعة في زقاق الحجر بالمسفلة بمكة شرفها الله. كما وأنه تصدى للهجوم الذى شنه عليه الأمير قاسم بن مهنا الحسيني أمير المدينة المنورة آنذاك. على ما ذكره العلامة نجم الدين بن فهد الهاشمي في إتحاف الورى. امتدت مدة ولايته الاولى هذه: نحوا من خمس سنوات وكانت للملك المسعود صاحب مصر. وولايته الثانية كانت ممثلة في السيد راجح بن قتادة وكانت مدتها نحوا من ستة أشهر. والثالثة وهى التى نحن بصددها: استمرت حتى سنة ٦٣٧ للهجرة المباركة فكانت مدتها: نحوا من سنتين. وله ولاية رابعة بعد ذلك في سنة ٦٣٨ للهجرة الشريفة. وله ولاية خامسة في سنة ٦٣٩ للهجرة. حيث سار إليها بنفسه أيضا فدخلها محرما بالعمرة في شهر رمضان المبارك من هذا العام. وقد خلت له مكة ..

- للحديث صلة -



«لا اجتهاد مع النص» و «الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما»

تحتل مسألة الاجتهاد مساحة واسعة من اهتمامات المفكرين المسلمين اليوم، بحسبانها المسألة المتعلقة بالتداخل والتشابك بين قضايا هويتهم وذاتيتهم وثقافتهم التاريخية من جهة، وبالعصر ومشكلاته ومشكلاتهم معه وفيه من جهة ثانية[١].

ولم تكن هذه المسألة لتطرح بهذه الحدة قبل القرن الثامن عشر، بحيث ما عادت مسألة «الاجتهاد المطلق» تظهر - بعد أن استقرت أمور المذاهب الفقهية المعروفة منذ القرن الخامس الهجري - إلا في ظروف خاصة، عند التأزم وانسداد الأفق. وفي القرنين الأخيرين اختلفت دعوات الاجتهاد والتجديد عن الدعوات السابقة، من حيث الأهمية والحدود والأهداف.. وباتساع مجالات التحدي، وإكراهات الواقع السياسي والثقافي والاقتصادي، اتسعت مجالات الدعوة إلى الاجتهاد، واتسعت الأهداف وتمايزت، بحيث أصبح موضوع إحداث التغيير في الأمة حاجة ملحة.. بل فريضة إسلامية وضرورة حيوية.. ومن ثم فلا مفر من أن تبرز إلى الوجود اجتهادات تجيب عن تلك المستجدات؛ الأمر الذي يحتم التجديد.

ومما لا شك فيه أن «التجديد» نابع من قدرة الفقه على الاستجابة للتحديات التى تفرضها تطورات الواقع المختلفة.. وينبغي أن تكون هذه الاستجابة منسجمة مع المقاصد التى جاءت الشريعة للحفاظ عليها. ومن ثم نحسب أن من دواعي التجديد أمرين أساسيين:

الأمر الأول: يتعلق بتغير الزمان والمكان، وهذا من سنن الله تعالى في الكون والمجتمعات والانسان.

الأمر الثاني: ينجم حين يصاب المسلمون عموما بأمراض في القلوب والنفوس والأخلاق[٢]، والمعبر عنه بفساد الزمان.

ومن نافلة القول أن نشير في هذا الصدد الى أن أنظار المفكرين المسلمين المحدثين والمعاصرين اختلفت في تفاصيل «الاجتهاد» و«التجديد» تبعا لاختلاف مواقفهم ومواقعهم في العصر وفهمهم لمتغيراته البارزة. حيث تراوحت هذه المواقف بين المنهج الانتقائي الذي يرى أن «المستجدات» يمكن احتواؤها والتعايش معها، وذلك باستحضار الأهداف العامة للدين والتشريع، ومن خلال إعادة النظر في بعض الأحكام الفقهية التى لم تعد مناسبة للحياة الجديدة. وبين المنهج السلفي الذي يرى أن «العصر ومتغيراته» خطر ماحق على الإسلام والمسلمين، ومن جهة ثالثة، بين المنهج أو الاتجاه التجديدي التغييرى الذي يدعو الى تغيير شامل في المفاهيم الإسلامية كلها، سعيا لإشراك المسلم في العصر من ضمن الموجود فيه.

د. بشرى الشقوري
دكتوراه في الفقه وأصوله وأصول الدين - الرباط

وهناك أخيرا الاتجاه المتردد بين الحرص على «المنظومة الرمزية» للإسلام وعالمه، والاعتراف بالمتغيرات الجديدة، والخوف من أن تكون دعوات التجديد الملحاح استسلاما للنظام الغربي في الدين والحياة والثقافة والاجتماع[٣].

انطلاقا من هذه المواقف وغيرها يسهل علينا أن نقرر أن مشروع تجديد منهج البحث في أصول الفقه يواجه اليوم عقبتين رئيستين[٤]:

الأولى : تتمثل في الضعف حيال الاتجاه الذي يتبنى المنهج الرائج في الدوائر العلمية.

الثانية : شيوع نزعة التقليد .. ذلك الاتجاه الذي يحاول استيعاب المتغيرات التى يشهدها المجتمع دون حدوث أدنى تغيير على بنيته الداخلية، بمعنى إقصاء أي اقتران للمتغيرات التى تطال الظروف والموضوعات والمسائل النظرية، في تركيب منهج الاستنباط الفقهي.. بيد أن ما هو مؤكد تاريخيا أن المنهج الفقهي مر بتحولات منهجية متعددة تستجيب للمتغيرات الزمنية، مما يؤكد أنه لا يمكن تحديد حركة الفقه في منهج خاص ونهائي.

جوهر المشكلة :

إن التجديد بمعنى، الإجابة الإسلامية عن التحديات المستجدة والاشكالات المتولدة في كل عصر، ما كان ليثير خلافاً حول مبدئه بالرغم من غناه من حيث تعدد الإجابات واختلافها حتى أمام الحالة الواحدة، أي إن كان التجديد ملتزما بثوابت الإسلام وقواعده.. ولكن الخلاف يكمن في نقطة جوهرية تتمحور حول سؤالين وهما:

١ ـ هل يجوز الاجتهاد والتغيير في الثوابت والأركان وفي النص المحكم؟ أي السؤال عن حدود الاجتهاد وضوابطه؟.

٢ ـ وما هي ضوابط تأويل نصوص القرآن والسنة عموما؟.

فالمشكل هنا يقوم حين يذهب بعضهم بالاجتهاد إلى حيث لا اجتهاد فيه «لا اجتهاد في موضع النص»، أو في الذين ينهجون نهج التأويل المخل الذى لا يخضع لأي حدود ولا ضوابط، ومن هنا إذا حسم موضوع أصول الاجتهاد وضوابطه وحدوده، إذا حسم موضوع التأويل بضوابطه وحدوده، فبعدئذ لا خلاف في أن يجتهد المجتهد ويجدد المجدد، بما في ذلك القبول بتعدد الاجتهادات وتنوع رؤى التغيير والتجديد[٥].

موقف المجتهد المعاصر من النصوص[٦]:

بعد ما وصل الفقه الإسلامي إلى ذروة التحرر المذهبي، وانتهت عصور التقليد.. لاحت في الأفق كتابات إسلامية معاصرة تنادي «بالاجتهاد المطلق» الذي لا يتقيد بأصول مذهب معين.. وأهم ما ميز هذه الكتابات أنها اتجهت الى النصوص اتجاها مباشرا في عملية الاستنباط بغية تكوين فقه جديد، أو نظريات إسلامية معاصرة (حتى فيما يسمى العلوم الإنسانية). في مقابل هذا الاتجاه، برز اتجاه آخر يدعو الى التقيد بالقواعد الكلية، والمقاصد العامة للشريعة المستمدة من النصوص صراحة أو استنباطا، ومن ثم توسيع نطاق تطبيقها على كافة مناحي الحياة.. ونحا اتجاه آخر منحى مغايرا، مقتضاه أن الأصل في أمور المعاملات هو الإباحة؛ حيث يشرع المسلمون ما يرونه محققا لمصالحهم ما لم يرد حكم منصوص عليه، ينظم مسألة ما (بخلاف الحال في

** (المنهج الانتقائي - المنهج السلفي - المنهج التجديدى) أهم ملامح الاجتهاد الفقهي.

العبادات حيث الأصل هو الاتباع)٠٠ وأخيرا نجد البعض الآخر لا يرى التقيد بروح النص ولا بلفظه٠٠ ويرى اطراح ذلك كله - في دائرة المعاملات - وإعمال العقل مطلقا، والتخلص من كل قيد إلا قيد مراعاة المصلحة التى يعتبرها هذا الاتجاه روح النصوص جميعا، محتجا بقول الرسول عليه السلام في مسألة تأبير النخل المشهورة (أنتم أعلم بأمور دنياكم)٠

يتبين لنا من خلال هذه المواقف التى تراوحت بين الالتزام المذهبي (٠٠) وبين التحرر من النصوص (٠٠)، أهمية رسم الحدود والضوابط التى ينبغي على المجتهد مراعاتها أثناء ممارسة عملية الاجتهاد٠٠ حتى يأخذ هذا الأخير طريقه الصحيح إلى التنفيذ الإيجابي والمثمر٠

الاجتهاد والنص[٧] : أي علاقة ؟

كان لإضفاء صفة حكم الله سبحانه وتعالى على الرأي الاجتهادي أثره السلبي على الفكرين الأصولي والفقهي، وكانت النتيجة إقرار مبدأ «لا اجتهاد في مورد النص» في مجال المعاملات والعلاقات الاجتماعية[٨] ٠٠ فشاع في الفكر الإسلامي ادعاء التناقض بين «النص» و«الاجتهاد»٠٠ وذاعت مقولة «إنه لا اجتهاد مع النص» بتعميم واطلاق ٠٠ تعميم في فهم النص ٠٠ وتعميم في الغاية من الاجتهاد مع وجود النص٠

ومنذ البداية ينبغي التأكيد على أن الأمر الذي يثير اللبس في هذا المقام إنما هو نتيجة منطقية لعدم التمييز بين النصوص الدينية التى تتعلق بالثوابت الدينية، وبين تلك التى تتعلق بالمتغيرات من الفروع الدنيوية٠

وإن كان مبدأ «لا اجتهاد في مورد النص» لا جدال فيه بالنسبة للعبادات، والنصوص المتعلقة بالأحكام الكلية التى تشكل مقاصد الشريعة ومبادئها العامة؛ إما لأنها تعلقت بثوابت دينية أو دنيوية فلا يجوز تجاوز أحكامها أو تغييرها٠٠ وإما لأنها تعلقت بالسمعيات الغيبية والأحكام والشعائر التعبدية، التى لا يستقل العقل الإنساني بإدراك الحكمة منها، والعلة الغائية من ورائها، فلابد فيها من الوقوف عند دلالات النص٠٠ فإن النصوص المقررة للأحكام الجزئية الخاصة بالمعاملات وتنظيم العلاقات الاجتماعية - في المقابل - قابلة للاجتهاد سواء أكانت دلالتها قطعية أو ظنية، إذ من المؤكد أن النصوص القطعية تبقى - أيضا - قابلة للاجتهاد إذا تغيرت الظروف، وأضحت لا تحقق المقصد الذي شرعت من أجله٠

فالنصوص المتعلقة بالمتغيرات الدنيوية ليست - كما تشهد بذلك بداهة الفطرة - مرادة لذاتها، وإنما هي مرادة لعللها وغاياتها ومقاصدها، وهي تحقيق مقاصد العباد٠٠ فهذه الأحكام المستنبطة من هذه النصوص تدور مع هذه *العلة الغائية* - المصلحة - وجودا وعدما٠ ويشهد على ذلك اتفاق أهل الاختصاص في فكرنا الإسلامي على ضرورة الاجتهاد مع الأحكام التى ارتبطت بعلة تغيرت، أو بعادة تبدلت،

أو بعرف تطور، حتى ولو كانت هذه الأحكام مستندة إلى نص، وانعقد عليها اجماع في العصر الذي سبق تغير العلة، وتبدل العادة، وتطور العرف.. إلا أن هذا الحكم المخالف للنص يتميز بميزتين أساسيتين وهما:

١ - أنه حكم «ظرفي» مرتبط بالظروف المتحققة وقت الاجتهاد، فليس فيه شيء من «معارضة» النص أو «تخطئته».

٢ - ارتباطه بالعلة، أي حكمة التشريع، يجعله منسجما مع مبادىء الشريعة، ويندرج ضمن وسائل تحقيق مقاصدها، أو مقصدها الأعم وهو تحقيق المصالح ودرء المفاسد[٩].

بمعنى أن الاجتهاد في هذه الحالة، أي مع وجود النص (القطعي الدلالة والثبوت، والمتعلق بالمتغيرات من الفروع الدنيوية) ليس معناه الاجتهاد الذي يرفع وجود هذا النص رفعا دائما ومؤبدا، فهو اجتهاد لا يتجاوز النص فيلغيه، وإنما يتجاوز الحكم المستنبط منه، وهذا التجاوز للحكم ليس موقفا دائما وأبديا.

إن مبدأ «لا اجتهاد في مورد النص» يسري على «الاجتهاد» الذي يقصد به «تقييم» أصل الحكم وما إذا كان «صوابا» أو «خطأ» وقت تقريره في النص. ولا يسري على الاجتهاد الذي ينطلق من الإيمان بسلامة أصل الحكم وقت وروده في النص، ولكن يرى أن الظروف المستجدة أصبح الحكم معها لا يحقق «المصلحة» التى شرع من أجلها، فيقترح تعويضه - مؤقتا وما دامت تلك الظروف قائمة - بحكم يحافظ على المصلحة الشرعية المقصودة في الحكم الأصلي، أو مصلحة أعم تفرضها مقاصد الشريعة[١٠].

وعلى هدي هذه الحقيقة المتعلقة بالعلاقة بين النص والاجتهاد، ميز المحدثون والأصوليون في نصوص *السنة النبوية* بين نوعين من *السنة*؛ *فهذا* الإمام القرافي في كتابه «الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام»[١١].. يميز بين قسمين من السنة النبوية:

١ - سنة تشريعية - أي من الشرع - تتعلق بالغيب وما لا يستقل العقل بإدراك علته، وبالثوابت الدنيوية.. وهذه أحكامها دائمة لا يجوز معها اجتهاد التغيير، وهي شاملة لكل تصرفات الرسول عليه السلام.. وللفتاوى الدنيوية التى هي بيان للرسالة وللوحي، أي أنها شاملة للوضع الإلهي وفي السنة الخارج عن إطار اجتهاد الرسول عليه السلام في فروع المتغيرات الدنيوية. فهذا القسم من السنة تتلقاه الأمة من المشرع دون واسطة، وتلتزم به التزامها بالرسالة.. وذلك دون توقف الالتزام والاقتداء على مصدر جديد وسلطة جديدة لاجتهاد جديد.

٢ - سنة غير تشريعية .. تتعلق باجتهادات الرسول {صلى الله عليه وسلم} في فروع المتغيرات الدنيوية، سواء في السياسة أو الحرب أو المال، وكل ما يتعلق «بإمامته» للدولة الإسلامية.. أو بقضائه في المنازعات .. وفيها ومعها يجوز *الاجتهاد* الذي يأتي بجديد الأحكام.

وصفوة القول: إن هذه

**** المنهج الفقهي مر بتحولات منهجية متعددة يصعب تحديده وتأطيره في صيغة نهائية.**

النصوص إذا وردت فيما هو معقول، يستقل العقل بإدراكه.. وتعلقت بحكمة ما وعلة ما، وخرجت عن نطاق الثوابت فإن أحكامها تدور مع هذه العلل وجودا وعدما؛ لأن الأحكام في هذه الحالة لا تراد لذاتها، وإنما للمصالح التى شرعت من أجل تحقيقها، بل إن النصوص نفسها ليست مرادة لذاتها، وإنما لمصالح العباد التى ما جاءت الشريعة إلا لتحقيقها.

دور الدلالة الغائية في تفسير النص الشرعي:

(١) تغير الحكم لتغير العلة:

إن قاعدة تغير الحكم بتغير العلة تطبق في الأحكام النصية، وفي الأحكام الاجتهادية من قياسية ومصلحية، ومقتضى القاعدة (أن الحكم الشرعي المبني على علة يدور مع علته وجودا وعدما)؛ بكلمات أخر، إن الحكم يكون معتبرا إذا وجدت العلة، ويختفي إذا اختفت العلة. وبهذا المعنى قال العز بن عبد السلام: «فصل في مناسبة العلل لأحكامها وزوال الأحكام بزوال أسبابها»[١٢]. وهناك من سمى حالة تغير الحكم لتغير علة النص بـ «تغير تفسير النصوص»[١٣] على أن المجال الواسع لإعمال قاعدة تغير الحكم لتغير العلة هو الأحكام القياسية والمصلحية.. لأنها تنبني على العلل والأسباب ولسرعة تغير العلل والمصالح فيها.

** الحكم يكون معتبراً إذا وجدت العلة، ويختفى اذا اختفت العلة.

(٢) بين العلة والحكمة:

بداية أود أن أشير - هنا - إلى أن شيوع كلمة التعليل وظهورها كمصطلح أصولي لم يظهر بشكل واضح إلا في عصر المذاهب الفقهية. وقد كانت للمباحث الأصولية التى تولى الإمام الشافعي إيضاحها في كتابه الرسالة، ونقده للتوسع في استعمال الرأي، وحصره الاجتهاد في القياس الأصولي حيث قال: «الاجتهاد هو القياس»، تأثيرها في دفع العلماء إلى البحث في التعليل، والنظر في ماهيته، والعمل على ضبط قواعده، وتحديد مسالكه وطرائقه لخدمة قضية القياس ثم المصلحة عند القائلين بها، لا سواهما.

عرف الأصوليون العلة بقولهم: (هي الوصف الظاهر المنضبط الذي يلزم من ترتيب الحكم عليه مصلحة للمكلف) من دفع مفسدة أو جلب منفعة.. وتستعمل العلة أيضا بمعنى الحكمة، وهي الباعث على تشريع الحكم أو المصلحة التى من أجلها شرع الحكم.

فالتعليل - بهذا المعنى - تبيين أو تفسير اجتهادي عقلي، يستخلص علة الحكم التى بني عليها؛ لأنها السبب المعقول لتشريعه، وذلك باعتبارها تتضمن المصلحة التى تتحقق عند الامتثال للحكم وتنفيذه.. هذه المصلحة التى يمكن اختصارها في دفع ضرر عن المكلفين أو مفسدة عنهم.

وقد اختلفت اتجاهات الأصوليين في تعليل نصوص الشارع على مذاهب، نجملها في اتجاهات أربعة[١٤]:

١ - إن الأصل عدم التعليل حتى يقوم الدليل عليه.

٢ ـ إن الأصل التعليل بكل وصف صالح لإضافة الحكم إليه حتى يوجد مانع عن البعض.

٣ ـ إن الأصل التعليل بوصف، ولكن لابد من دليل يميز الصالح من الأوصاف للتعليل وغير الصالح.

٤ ـ إن الأصل في النصوص التعبد دون التعليل.

ثم إن بين العلة في عبارة المناطقة والمتكلمين، والعلة في عبارة الفقهاء والأصوليين اختلافا بينا؛ فالعلة عند الأولين عقلية، وعند الآخرين شرعية، بمعنى أن العقل هو مصدر التعليل عند المناطقة والمتكلمين، في حين أن الشرع هو مصدر التعليل عند الأصوليين.

يقول الغزالي: «أما أصل تعليل الحكم وإثبات عين العلة فلا يمكن إلا بالدلالة السمعية، لأن العلة الشرعية علامة وأمارة، لا توجد الحكم بذاتها، إنما معنى كونها علة، نصب الشارع إياها علامة، وذلك وضع من الشارع، ولا فرق بين وضع الحكم وبين وضع العلامة ونصبها أمارة على الحكم»[١٥]، وكذلك فسر الرازي[١٦] العلة بالأمارة.

والغزالي هنا ينفي عن العلة حتى معناها اللغوي من التأثير والتلازم بينها وبين المعلول، وهو أمر مرتبط كذلك باتباع الأصوليين للأشعريين في تعريف السبب بأنه «ما يحدث عنده الشيء لا به»[١٧]. وإذا كانت العلة لا تنتج حكما تعذر تطبيق مبدأ «الحكم يدور مع علته وجودا وعدما».

وبالتأكيد فإن هذه القاعدة فقدت أهميتها بتفسير العلة بالأمارة التى بحكم طبيعتها غير قابلة للتغير، وهو ما أضفى صفة الثبات على الأحكام الاجتهادية وفق ما يشبه الواقع التاريخي، وتؤكده أغلبية الفتاوى الصادرة اليوم.

ومن الأمور المركزية التى تستوقفنا ـ أيضا ـ في هذا الموضوع، أمران كان لهما أثرهما السلبي على مبحث التعليل:

أولهما : ربط قضية التعليل بالقياس، وجعل القياس المستفيد الأول والأخير من التعليل، فكما صادر الإمام الشافعي الاجتهاد كله ـ للقياس ـ وحصره به، نجد بعض الأصوليين قد صادروا التعليل للقياس وربطوه به ربطا محكما، بحيث لم يعد الحديث عن دوره في التشريع خارج هذه الدائرة؛ أي دائرة القياس. وهذه المسألة لم تكن ظاهرة الفائدة في البداية، حيث كانت ظروف الحياة قريبة من ظروف عصر الرسالة، حيث يسهل وجود نص تقاس عليه الوقائع الجديدة، ولكن مع تطور الحياة برزت وقائع بعيدة كل البعد عن الاشتراك في علة حكم الأصل، ومن هنا بدأ التفكير في صورة جديدة من القياس أطلق عليها أصحابها القياس الكلي، أو القياس الواسع، أو القياس الإجمالي، أو قياس المصالح المرسلة إلى غير ذلك من الأسماء التى يجمعها جميعا محاولة التحرر من الشروط التقليدية للقياس خاصة موضوع العلة وأن يستعاض بالحكمة، ولكن دائما مع البقاء في إطار نقل حكم الأصل الجزئي الى الفرع الجزئي[١٨]. ولذلك

**** العلة عند المناطقة عقلية، وعند الفقهاء والاصوليين شرعية.**

نجد اليوم أن من أبرز قضايا التجديد في علم الأصول مسألة التعليل.

ثانيهما : ربط العلة نفسها - منصوصة أو مستنبطة - بالنص، وتقييدها بالضوابط المعروفة، والفصل بينها وبين الحكمة، باعتبار الأخيرة وصفا غير منضبط الأليق به أن يلحق في مجالات الفضائل، لا التعليل الفقهي المنتج، وبذلك عاد الأمر إلى النص ثانية ليصبح هو المنطلق، وبهذه الطريقة لم تعد قضية «التعليل» قادرة على بلوغ المدى الأخير بحيث تقود في نهاية الأمر الى بلورة الفكر المقاصدي الكلي، بحيث يكون القياس بعض تجلياته، أو واحدا منها[١٩].

**** الخلل في فهم المصلحة، والخلل في فهم النصوص ينتج عنهما التعارض بين (المصلحة والنص).**

(٣) الأصل في العبادات التعبد وفي المعاملات التعليل والقياس[٢٠] :

قاعدة قليل هم الفقهاء الذين تنبهوا إليها، وميزوا في الأحكام بين مجال العبادات والمعاملات؛ من حيث إن الأولى الأصل فيها التعبد[٢١]، بينما الثانية الأصل فيها التعليل والقياس، والمبدأ فيها أن الحكم مرتبط بها وليس له وجود مستقل عنها وهو المعبر عنه عند الأصوليين بقولهم إن «الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما».

أما «الشاطبي» فقد انتهى في تعريفه للمصلحة إلى أن أحكام المعاملات كلها «تعبدية»، حيث قال: «إن كون المصلحة مصلحة تقصد بالحكم والمفسدة مفسدة كذلك، مما يختص بالشارع لا مجال للعقل فيه»[٢٢]، ويبقى مذهبه هذا مردودا عليه لعدة أسباب من بينها[٢٣] ما يلي:

أ - لو كانت كل الأحكام الشرعية تعبدية، لتعذر تطبيق الشريعة نهائيا؛ لأن التطبيق متوقف قطعيا على فهم النصوص، واستخلاص معانيها، فإذا تعطل الفهم والعقل تعذر التطبيق.

ب - ولتعذر من باب أولى «القياس» الذي تقول به المذاهب المعتمدة، فالقياس بفرعيه الخاص والعام لا يمكن استعماله بغير وسيلة العقل الذي يدرك علة الحكم الأصلي ويقارن الفرع به، ويستقصي عناصر القياس وشروطه.

جـ - من ناحية ثانية هنالك الواقع الذي عايشه المسلمون منذ عهد الخلفاء الى نشوء المذاهب الفقهية وإلى ما بعد ذلك، هذا الواقع الذي يثبت دور العقل في فهم نصوص الشريعة، وربطها بالحكم الذي شرعت من أجله، ومن هنا قال الأصوليون أنفسهم: إن أغلب أحكام المعاملات قائمة على علة وأن الحكم الشرعي المبني على علة يدور مع علته وجودا وعدما. وعلى هذا المبدأ تبنى الأصوليون والفقهاء قاعدة ذات أهمية بالغة في مجال الاجتهاد والتطبيق وهي المتعلقة بربط الأحكام بمآلها.

ثم إن الشاطبي قد تعرض لمبدأ ارتباط الأحكام بمآلها ولضرورة تطبيقه - هذا المبدأ - من المجتهد باعتباره مقصودا للشرع؛ لأن «الأعمال إذا تأملتها - مقدمات لنتائج المصالح، فإنها أسباب لمسببات هي مقصودة للشارع، والمسببات هي مآلات

الأسباب»[٢٤]، وبعد أن استدل الشاطبي على صحة هذا المبدأ أشار إلى أنه تنبني عليه عدة قواعد منها: سد الذرائع والحيل والاستحسان.. واعتمادا على مبدأ ارتباط الأحكام بمآلاتها كذلك تحدث غير واحد من الفقهاء على تغير الفتوى واختلافها بتغير الأزمنة والأمكنة والعوائد.

وصفوة القول: إن الأحكام الشرعية في المعاملات أغلبها معلل، تهدف إلى تحقيق مصلحة أو درء مفسدة، وهذا ما يجعلها ـ على سبيل الاستثناء طبعا ـ قابلة للتغير محافظة على تحقيق مقاصدها، وأن هذا «ممكن» حتى بالنسبة لبعض الأحكام المقررة بنصوص قطعية الورود والدلالة. وهذا يتم عن طريق استعمال الاستحسان والمصالح والذرائع وما إليها.

التعامل المصلحي مع النصوص[٢٥] :

إن «الشريعة مصلحة والمصلحة شريعة»، قال الإمام الغزالي: «ونحن نجعل المصلحة تارة علما على الحكم، ونجعل الحكم أخرى علما لها»[٢٦] وحينما نقرر هذه القاعدة ينبغي أن نتعامل مع كافة نصوص الشريعة وأحكامها تعاملا مصلحيا إن على مستوى الفهم أو التطبيق. ومن أوجه هذا التعامل المصلحي مع النصوص، والذي يجنبنا فرضية التعارض بين النص والمصلحة، ما يلي:

١ ـ معيارية النصوص في تقرير المصالح:

حين نعتمد النصوص معيارا لتحديد المصالح ومعرفة قيمها ومراتبها، تتغير نظرتنا إلى موضوع المصلحة، وتتعمق وتتسع وتتوازن بفارق كبير جدا عما إذا اقتصرنا على النظرة الذاتية والعرفية للمصالح.

٢ ـ التفسير المصلحي للنصوص :

ومعناه النظر والبحث في مقاصد النصوص والمصالح المتوخاة من أحكامها، ثم تفسيرها واستخراج معانيها ومقتضياتها وفق ما لاح من مقاصد ومصالح.

٣ ـ التطبيق المصلحي للنصوص :

أي مراعاة مقاصد النصوص والمصالح المتوخاة منها عند التطبيق، وهو ما يقتضي تكييفا معينا لتنزيل النصوص، والتى تنطبق عليها هذه النصوص وتلك التى لا تنطبق، والحالات التى يتعين استثناؤها بصفة دائمة أو بصفة عارضة.

ومما لا شك فيه أن من أسباب التعارض بين المصلحة والنص، إنما مرده الى أحد أمرين: إما خلل في فهم المصلحة وتقديرها، وإما خلل في فهم النصوص وتطبيقها. كما قال ابن الجوزي: «والفقيه من نظر في الأسباب والنتائج وتأمل المقاصد»[٢٧].

دور الواقع في تغيير الأحكام :

من المؤكد أن الاجتهاد الفقهي هو التأطير الشرعي للواقع.. فما ينتجه الفقه والفقهاء يسير متفاعلا ومتلائما مع ما ينتجه الواقع من نوازل وتطورات.. فهناك إذن، علاقة متبادلة بين الواقع والفقه، فكما أن الواقع يحتاج الى الفقه الإسلامي ليضبط

**** الاجتهاد ضرورة حياتية، وليس ترفاً علميا أو فلسفياً.**

**** التجديد مرادف للتأصيل.**

سيره ويضمن له مشروعيته، فكذلك يحتاج الفقه الى الواقع ليغنيه وينميه ويسدده.. فللواقع أثر في تقرير الأحكام وتنزيلها، ويتم ذلك من وجوه[٢٨] :

(١) تحقيق المناط :

والمقصود به: معرفة المحكوم فيه على حقيقته، ومعرفة ما يدخل فيه وما لا يدخل فيه. وهذا يقتضي المعرفة الجيدة بالواقع ومكوناته، وبالأشياء وأوصافها، وبالأفعال وأسبابها وآثارها.. وقد أضاف الشاطبي إلى هذا القسم، قسما آخر، وهو الذي سماه (تحقيق المناط الخاص)[٢٩].. فالنظر الأول «نظر في تعيين المناط من حيث هو لمكلف ما»[٣٠] وأما النظر الثاني فهو «نظر في كل مكلف بالنسبة الى ما وقع عليه من الدلائل التكليفية» وهو نظر «فيما يصلح بكل مكلف في نفسه، بحسب وقت دون وقت، وحال دون حال، وشخص دون شخص»[٣١].

(٢) اعتبار المآل :

ومعناه النظر فيما يمكن أن تؤول إليه الأفعال والتصرفات والتكاليف موضوع الاجتهاد والإفتاء والتوجيه.. وهذا المآل يقتضي معرفة ما هو متوقع.

(٣) مراعاة التغيرات :

هذه التغيرات إذا أصابت أمورا هي مناط لبعض الأحكام فلابد من أن تتغير تلك الأحكام فلابد من أن تتغير تلك الأحكام التى تغيرت متعلقاتها.. وها هنا نتذكر تلك القاعدة التشريعية التى صاغها ابن القيم بقوله: «فصل في تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والبينات والعوائد»[٣٢]، والقاعدة التى صاغها الشهاب القرافي: «الأحكام المترتبة على العوائد تدور معها كيفما دارت، وتبطل معها إذا بطلت»[٣٣].

وما قيل في الأحكام المبنية على الأعراف يقال في الأحكام المبنية على الأوصاف. فإذا تغيرت الأوصاف التى بنيت على الأحكام، فإن تلك الأحكام تصبح عرضة للمراجعة والتغيير.. والاعتبار هنا إنما هو بالأوصاف الجوهرية التى عليها مدار الأحكام، فلا اعتبار للأوصاف الثانوية أو الشكلية، غير المؤثرة.

ومن هنا اشترط العلماء في المجتهد أن تكون له معرفة واسعة بالواقع ومعرفة تداعياته ومآلاته لتقرير الأحكام في ضوئها «وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل»[٣٤]. ومن هنا أدرك الفقهاء العلاقة بين تغير الفتوى والواقع.

الممارسات التغييرية للفتاوى :

بقي أن نعرف أن الفقهاء مارسوا مختلف الأنوا ع من تغيير الفتاوى، وذلك انطلاقا من الحاجات الزمنية وضغوطاتها. بما في ذلك تغيير بعض أحكام النص، وإن كانوا قد أنكروا من الناحية المبدئية أن تكون اجتهادات عملت على مثل هذا التغيير، وذلك دفعا لشبهة الوقوع في الاجتهاد في قبال النص، أو

**** النصوص القطعية تبقى قابلة للاجتهاد مع تغير الظروف.**

**** الشريعة مصلحة .. والمصلحة شريعة.**

الاجتهاد مع وجوده، أو العمل على ممارسة النسخ في الأحكام.

أما فيما يخص الممارسات التغييرية للفتاوى كما مارسها الفقهاء فهي تدخل ضمن ثلاثة أنماط[٣٥] وهي كالتالي :

(١) وحدة الدليل الاجتهادي :

وهو عبارة عن تبديل حكم بآخر مع وحدة الدليل، نتيجة لتبدل العرف والعادة غالبا. الأمر الذي يجعل من الحكم متغيرا تبعا لتغير الظروف.

(٢) تعارض الدليل الاجتهادي :

وهو الذي يحصل نتيجة وجود التعارض في الأدلة الاجتهادية، مما يقتضي العمل بالترجيح، مثاله أن الفقهاء يرجحون الحاجة العرفية والمصلحة المقدرة في الواقع على القواعد والأدلة الاجتهادية كالاستصحاب وغيره.

(٣) التعارض مع النص :

سبق أن أكدنا على أن المبدأ العام عند الفقهاء هو عدم الاجتهاد عند وجود النص.. لكن بفعل الحاجات الزمنية ـ وتغير علل كثير من الأحكام ـ جرت هناك الكثير من التغيرات في أحكام النص.. وقد أجاز العديد من العلماء تغيير أحكام النص ونسخها بالاجتهاد.. وعلى الصعيد العملي نلاحظ أن الفقهاء خاصة القائلين بالمصالح والاستحسان.. مارسوا نوعين من الاجتهاد وتغيير الأحكام في قبال ما هو متوفر لديهم من النصوص:

أحدهما : لا يخرج عن حدود تقييد النص وتخصيصه دون أن يلغي امتثاله كليا.

الآخر : فهو معني بالإلغاء إما على نحو تام، أو على نحو عالق بحسب ما يفترض له من علة.

وقد أشار ابن القيم الى ما قام به الفقهاء من مخالفة أحكام النص لترجيح القياس والاجتهاد عليها. ودلل عليه بشواهد غزيرة جدا في كتابه «أعلام الموقعين»، ومن ذلك ما نص عليه من حالات كثيرة من القياسات غير المنضبطة في ما يقرب الأربعين صفحة،، وكذا ما ذكر من أمثلة لاجتهادات فقهية كثيرة العدد تقارب الستين شاهدا، تعدل عما جاء من نصوص شرعية وتردها.. وما يهمنا منها الآن هو دور الواقع في تغيير الأحكام ومنها أحكام النص:

ـ الواقع وتخصيص الحكم:

فالفقهاء لم يكتفوا أن يكون تقييد النص وتخصيصه قائما على أساس القرائن اللفظية والحالية، ولا على أساس الإجماع والسيرة فحسب. بل أضافوا إلى ذلك مصالح الواقع وحاجاته.

ـ الواقع وتغيير الحكم :

على أن الفقهاء قد تعدوا حدود ذلك التخصيص لحكم النص، وأقاموا إجراء الإدخالات الإضافية عليه تارة، ونسخه تارة أخرى، وذلك بتعليل مرده الى المقاصد الشرعية التي هي بمثابة الحاكم على الحكم ذاته مع وجود الحاجة وتغير الظروف والأحوال.

والفارق الأساس ما بين هذا النوع وما قبله، هو أن هذا النوع فيه تغيير لحكم النص بكافة صوره

**** التجديد الحق هو تنمية الفقه من داخله وبأساليبه.**

**** هناك علاقة متبادلة بين الواقع والفقه.**

وتطبيقاته، وذلك أثناء فترة معينة أو في محل معين، في حين أن النوع السابق فيه تغيير لبعض صور الحكم على سبيل الاستثناء، وذلك طبقا للمصلحة أو الحاجة أو العرف أو غير ذلك.

ومن جانب آخر فإن تغيير حكم النص تارة يكون طبقا لعلة منصوصة أو مفهومة من لفظ النص، وأخرى بغير ذلك وهو الغالب.

وصفوة القول: إن فقهنا الإسلامي يزخر بثروة كبيرة من تغيرات الأحكام فرضتها ضغوطات الواقع والحاجات الزمنية والمكانية.. وإذا كان العلماء فيما مضي لم يدركوا أهمية دراسة الواقع بجميع خصوصياته ونواحيه، فإن من الحري بعلمائنا اليوم أن يأخذوا بهذه المهمة الثرية على عاتقهم بعد تأصيلها ضمن علم الأصول.

**** الاجتهاد لا يرفع وجود النص ولا يلغيه وانما يتجاوز الحكم المستنبط منه.**

خلاصة :

من خلال ما عرضناه نتأكد أن من بين المشاكل المزمنة التى يعاني منها المجتمع الإسلامي يمكن اختصارها في الوضعية التى يوجد عليها اليوم «الاجتهاد الفقهي»، لكونه من جهة مثقل برواسب التقليد المديدة، ومن جهة ثانيةوصدت الطرق والمنافذ التى يمكن أن توصله إلي سدة التطبيق والتنفيذ. وإذا كان من المفيد التفكير في إصلاح هذا الاجتهاد وتجديد مناهجه، فإن الأمر الأكثر أهمية هو إزالة العراقيل التى تحول دون تطبيقه.

إن التجديد الحق هو تنمية الفقه من داخله وبأساليبه هو، مع الاحتفاظ بخصائصه الأصلية، وبطابعه المميز، «فالتجديد الحقيقي هو الذي يمزق معوقات الحاضر ليفتح آفاق المستقبل أمام الأمة ونهضتها، ولعل شرطه الأول هو العودة الى الأصول ثم الارتكاز عليها في بناء فقه جديد يجيب عن تحديات العصر ومشكلاته.. ومن هنا يجب أن نفهم كلمة التجديد باعتبارها مرادفة للتأصيل والعودة الى الأصول الإسلامية وهذا هو الخط الفاصل الأول.. ويجب أن نقطع بالقول: «أن لا تجديد بلا تأصيل»[٣٦].

وعلى ضوء هذا المنهج سينفتح العقل الاجتهادي على آفاق القراءات المتجددة دائما، وتستعيد الأحكام الأولية حضورها في الحياة الاجتماعية، مما سيسهم في تضييق دائرة الاستخدام الاضطراري للأحكام الثانوية، الذي بات ينافس الأحكام الأصلية.

الهوامش :

(١) الاجتهاد والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر ـ مقدمة الكتاب ـ ضمن سلسلة الفكر الاسلامي المعاصر، ٢ مركز دراسات العالم الاسلامي.. الطبعة الأولى ١٩٩١م.

(٢) مقال للأستاذ منير شفيق تحت عنوان «أولويات أمام الاجتهاد والتجديد ص٥٥ ـ بتصرف ضمن كتاب الاجتهاد والتجديد في الفكر الاسلامي المعاصر جـ ٢.

(٣) المقال نفسه.

(٤) مقال بعنوان: المنهج التقليدي في أصول الفقه ومعوقات

التجديد، للشيخ محمد ابراهيم الجناتي - ص٢٠٠/ مجلة قضايا إسلامية معاصرة / العدد الثالث عشر ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٥) انظر مقال: أولويات أمام الاجتهاد والتجديد - لمنير شفيق ص ٥٨.

(٦) انظر مقال: تجديد الفكر الاجتهادي - لجمال الدين عطية: ص ١٧٢ وما بعدها - بتصرف ضمن مجلة قضايا إسلامية معاصرة ع ١٣/ ٢٠٠٠م.

(٧) المعنى الأشهر للنص هو: لفظ الكتاب والسنة الذي لا يتطرق إليه احتمال أصلا، لا على قرب ولا بعد، فهو نص - أي ظاهر ومتعين - معناه، لا يحتمل شيئا آخر، كالحقائق الملموسة المتحققة.. أما العوام فإنهم لم يكتفوا بإطلاق النص على كل ألفاظ ومأثورات وروايات الكتاب والسنة، فكلمة النص لم يقصد بها النصوص القطعية الدلالة المحدودة، وإنما تشمل كل النصوص بما فيها الظنية الدلالة - بل مع توالي الأيام صارت آراء الأئمة تشكل بدورها نصوصا لا مجال للاجتهاد معها.

(٨) وجهة نظر - الفكر الفقهي ومنطلقات أصول الفقه الأستاذ أحمد الخمليشي: ص ٧٨ بتصرف جـ ٣ ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ط الأولى: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٩) المرجع نفسه : ٢٩٧.

(١٠) نفسه : ٢٩٨.

(١١) انظر هذا التقسيم للسنة في الأحكام - سؤال ٢٥. وابن القيم في كتابه: اعلام الموقعين عن رب العالمين، فصل في تغير الفتاوى والأحكام بتغير العوائد.

(١٢) قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام ٥/٢.

(١٣) فلسفة التشريع الإسلامي - للمحمصاني - ص ٢٠٧.

(١٤) انظر تفصيل هذه المواقف في مقال: منطلقات أساسية لبناء الفكر المقاصدي - د. طه جابر العلواني ص ٤٥ وما بعدها ، مجلة المنطلق الجديد، العدد الأول ، خريف ٢٠٠٠م.

(١٥) المستصفى من علم الأصول للإمام الغزالي جـ ٢/ ٢٨٠.

(١٦) المحصول - لفخر الدين الرازي - القسم ٢/ ٣٨٩ - ٤٠٠.

(١٧) المستصفى ٩٣/١.

(١٨) انظر مقال: تجديد الفكر الفقهي - د. جمال الدين عطيه ص ١٨٢ - ١٨٣ بتصرف/ قضايا إسلامية معاصرة /ع١٣ - ٢٠٠٠م.

(١٩) انظر مقال: منطلقات أساسية لبناء الفكر المقاصدي - د. طه جابر العلواني ص ٥٢ - ٥٣ بتصرف/ مجلة المنطلق الجديد، العدد الأول/ خريف ٢٠٠٠م.

(٢٠) الموافقات ٢/ ٣٠٠ - ٣٠٨.

(٢١) مع أن أغلب هذه النصوص التعبدية قد أشارت إلى علة الأحكام إلا أن هذه العلل لا تأثير لها على الحكم الشرعي إطلاقا.

(٢٢) الموافقات ٢/ ٣١٥.

(٢٣) .... المليشي ٢٩٦ - ٢٩٧، بتصرف.

(٢٤) الموافقات ١٩٥/٤.

(٢٥) الاجتهاد بين النص والمصلحة والواقع/ أحمد الريسوني ص ٤٩ وما بعدها. سلسلة حوارات لقرن جديد/ دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى: ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢٦) المنخول ٣٥٥.

(٢٧) تلبيس إبليس ص ٢٢٢.

(٢٨) انظر كتاب: الاجتهاد بين النص والمصلحة والواقع، د. احمد الريسوني ص ٦٤ وما بعدها، بتصرف.

(٢٩) الموافقات ٩٨/٤.

(٣٠) المصدر نفسه ٩٧/٤.

(٣١) نفسه ٩٨/٤.

(٣٢) أعلام الموقعين ٣/٣.

(٣٣) الذخيرة ١٧٦/١.

(٣٤) الموافقات ١٩٤/٤.

(٣٥) انظر مقال بعنوان: التغير في الفتوى: الأنماط والعوامل/ يحيى محمد: ص ٢٥٢ وما بعدها - بتصرف/ قضايا إسلامية معاصرة ع ١٣.

(٣٦) انظر مقال: أولويات أمام الاجتهاد والتجديد - لمنير شفيق: ص ٦١.

بواكير الحركة التنويرية في الأدب العربي الحديث

اختلف الباحثون العرب والمستشرقون حول تحديد بداية الأدب العربي الحديث ومراحله وغالبا ما جرى الخلط بينه وبين الحركة التنويرية التي سميت باليقظة العربية تارة وبالانبعاث العربي تارة أخرى.

فالأدب العربي الحديث هو الأدب المكتوب ضمن مفاهيم وقيم وفنون وأنواع أدبية جديدة ذات طابع عالمي ومحلي شاعت في العصر الحديث، التي يمكن تحديد ظهورها ببداية اللقاء العربي الغربي وحدوث التمدن العربي، اي في بداية القرن التاسع عشر بعد ان تهيأت له الظروف الموضوعية والذاتية بعد الحملة الفرنسية وبداية حكم محمد علي باشا الذي استمر من ١٨٠٥ الى ١٨٤٨، وأن التنويرية تشكل أهم مراحله الأولى وأساسه.

وفي رأينا أن التنويرية العربية تشبه فترة الرينسانس الأوربية ولكنها ليست مرادفة لها، ولا نريد أن نذكر كل المصادر التي تناولت مراحله بل نكتفي بالقول إن اغلب الباحثين اعتبر الأدب الحديث مرحلة واحدة سميت باليقظة العربية أو الانبعاث العربي ولم يميز بعضهم بينه وبين فترة التنويرية التي نود أن نتحدث في مقالنا الحالي عن بداياتها واتجاهاتها.

ولابد لنا هنا من الاشارة الى كتاب الدكتور محمد الكتاني الذي ميز بين التنويرية والنهضة في الأدب الحديث، ونفس الشيء يقال الى حد ما بالنسبة إلى كتاب اندريه ميكال.(انظر الهوامش).

كذلك لابد من الاشارة الى أن بعض مؤرخي الأدب العربي اعتمد في حديثه عن الأدب العربي الحديث على احداث محلية أو اقليمية في مصر أو في هذا القطر العربي أو ذاك، ناسين أن الأدب في مصر والشام لم يكن خاصا باهلها فحسب، بل عاما لكل القراء العرب ولم يكن من نتاج المصريين فقط بل والسوريين واللبنانيين وغيرهم من العرب والمسلمين والنصارى مثل ولي الدين يكن وجرجي زيدان، فمصر كانت مركز الحضارة العربية والاسلامية وكل حدث يهزها يؤثر في كل العالم العربي[*].

ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر بأن تعريب الانجيل عام ١٨٤٠م وتأسيس جامعة القديس يوسف ونشاطات الأب جرمانوس فرحات في ميدان اللغة العربية ومؤلفات بطرس البستاني بدءا من القاموس المحيط ومرورا بدائرة المعارف وانتهاءا بتعريب الالياذه وغيرها لها اهمية كبيرة ولا يمكن لاي باحث في الأدب العربي الحديث أو التنويرية العربية بالذات أن يتغافل عنها.

ومهما اختلف النقاد في تحديد بداية التنويرية العربية، فان النصف الثاني من القرن التاسع عشر هو

د. زهير شليبه

استاذ جامعي من العراق - الدنمارك

بدايتها الاولى، وتتسم بالمقامات التى بقيت على اساليب العصور الوسطى وكتب الأدب الوعظي التى تشتمل على مختلف المواضيع الفلسفية والاخلاقية.

وقد انتشرت في هذه الفترة مقامات ناصيف اليازجي (١٨٠٠ ـ ١٨٧١) وعبد الله فكري، وكتاب «الساق على الساق في ما هو الفارياق» لاحمد فارس الشدياق (١٨٣٤ ـ ١٨٩٠) الذى يتضمن معلومات عن السيرة الذاتية، وملاحظات الطريق واربع مقامات منفصلة عن بعضه.

أما الشعر فقد بقي حتى ما قبل منتصف القرن التاسع عشر تقليديا الا أن محمود سامي البارودي اقدم على بعث الشعر العربي القديم مع ظهور بعض المحاولات التجديدية في الشام. ولا يمكن الحديث عن ريادة البارودي لحركة البعث الشعري دون الاشارة الى دور كتاب «الوسيلة الأدبية» للسيد حسين المرصفي الذي نقل النقد من النظرة اللغوية الجامدة الى المفاهيم الجمالية وهو ما لم يتميز به النقد العربي التقليدي أنذاك.

شهدت هذه الفترة بدايات ظهور المسرح العربي وبرز مارون النقاش في الاوساط المسرحية ووضع مسرحيات موليير عام ١٨٤٧م، اما الصحافة وفنونها فقد ظهرت قبل ذلك إلا أنها تطورت في هذه الفترة.

ونعتقد أن السبعينيات من القرن التاسع عشر هي البداية الحقيقية للأدب التنويري العربي لتميزها بالتطور الاقتصادي والثقافي في مصر الخديوي إسماعيل الذى حكم في (١٨٦٣ ـ ١٨٨٢م)، وبدأت في هذه الفترة تتبلور افكار «التجديد الاسلامي» وتعاليمه وقويت الحركة القومية العربية.

وكان اسماعيل يعد نفسه حامي الثقافة والديمقراطية، ولهذا ليس صدفة ان يهاجر الادباء والصحفيون السوريون الى مصر فاصدروا الصحف مثل «الاهرام التى صدرت عام ١٨٧٩م» وغيرها من المجلات؛ منافسين بذلك المصريين، منشطين الحركة الادبية، وعمل اسماعيل على تأسيس المسرح المصري فظهرت فرقتان: فرقة يعقوب صنوع في القاهرة، وفرقة اديب اسحاق وسليم النقاش في الاسكندرية وظهرت في الشعر الكلاسيكي بعض ملامح الموضوعات الجديدة.

هذا في مصر، أما في الشام، فان ستينيات القرن التاسع عشر شهدت تطورا ونموا واضحا للحركة التنويرية وازداد في نهاية هذه الحقبة نشاط الجمعية العلمية السورية وظهرت مجلات أدبية جديدة مثل «الجنان» للبستاني.

ووضعت أول مسرحية عربية عن الرجولة والصدق واتجه الشعر العربي الكلاسيكي نحو موضوعات معاصرة كما يبدو ذلك في نتاجات ابراهيم اليازجي (١٨٤٧ ـ ١٩٠٧) الذي دعا للتخلص من الاضطهاد التركي.

أما الانواع النثرية التقليدية مثل مقامات محمد مبارك الجزائري فقد بقيت تمارس حضورها جنبا الى جنب كتب يوسف صروف والياس سماحة وانطون بركات الوعظية وظهرت في السبعينيات انواع نثرية جديدة تجسدت في نتاجات سليم البستاني الروائية الاجتماعية والتاريخية وبعض القصص والكثير من تراجمه التى نشرت في «الجنان» ويتأثر به الكاتب حسين حسين صاحب «الرواية التاريخية من عصر هارون الرشيد» وصالح نخله مؤلف «قصة فؤاد وحبيبته رفعت».

في الثمانينيات شهدت الحياة المصرية ركودا ملحوظا، ففشلت ثورة عرابي وانتهت بالاحتلال البريطاني وأغلقت العديد من الصحف والمجلات الوطنية ونفي المشاركون في الثورة بمن فيهم الأدباء الى الخارج.

أما سوريا فقد انعكس عليها انتصار الرجعية التركية وازداد الظلم والاضطهاد وكثر عدد المهاجرين الشاميين الى مصر من الذين لم يعادوا البريطانيين ولعبوا دورا كبيرا في الحركة الأدبية المصرية في الثمانينيات والتسعينيات من القرن التاسع عشر.

**** سبعينيات القرن التاسع عشر، شهدت بدايات حركة النهضة.**

تميزت هذه الحقبة عن السبعينيات بتوسيع الديمقراطية وزيادة التوجه نحو الغرب وتوسع الترجمة ونقل الكتب بما فيها المسرحيات من اللغات الأوربية الى العربية. ولابد من القول بأن مرحلة التنويرية تميزت ايضا بمساهمات مجلة «المقتطف» لصاحبها يعقوب صروف مساهمة كبيرة في نشر الثقافة الأوربية.. اما صحيفتا «المؤيد» ومجلة «المنار» لصاحبهما الشيخ محمد رشيد رضا (١٨٩٨) فكانتا تمثلان الاتجاه الاسلامي العقلاني ووقفتا على الضد من مجلة «المقتطف».

وللقصة التنويرية دورها في هذه الفترة حيث تستمر تقاليد سليم البستاني القصصية في التطور، إلا أن الرواية التاريخية تطورت وتفوقت على الرواية الوعظية بسبب الهدوء السياسي، فروايات الثمانينيات كلها ما عدا رواية «الحضارة الاسلامية في بغداد» لجميل المدور كانت مكرسة لموضوعات عائلية سبق للبستاني أن تطرق اليها وكانت لها اهمية خاصة في تلك الفترة حيث التغيرات الاجتماعية، وينشر نجيب غرغور محرر مجلة «حديقة الأدب» البيروتية ومجلة «ابو نواس» ١٨٩٥م رواياته المختلفة.

اما اهم النتاجات النثرية التنويرية في الثمانينيات فهي «علم الدين» لعلي مبارك ١٨٨٢، والحضارة الاسلامية في بغداد لجميل المدور ١٨٨٨.

تُعد «علم الدين» شكلا معصرنا للأدب الوعظي في اربعة اجزاء من النثر المسجوع يتكون من ١٢٥ محاورة بين الشيخ علم الدين ومستشرق انجليزي في رحلة الى مصر ومنها الى انجلترا.

يرى بعض الباحثين أن هذا العمل فيما اذا اعتبرناه «رحلة» يتفوق نسبيا على «حديث عيسى بن هشام» للمويلحي وقصص فرح انطون التى كتبت في شكل الرحلات.

ونفس الشيء يقال بالنسبة لكتاب «الرواية الايقاظية، البصرة ١٩١٩» للكاتب العراقي المحامي والصحفي الحاج سليمان فيضي، والتى عدها بعض الباحثين ـ عرب ومستشرقون ـ من اولى الاعمال النثرية أو الروائية في الأدب العراقي.

اما «الحضارة الاسلامية» للمدور فهي رحلة تعبيرية في شكل تحل فيه الرسائل محل الحوارات ذات أهمية معرفية، وفي الحقيقة أن المضمون هنا تاريخي مأخوذ من مرحلة هارون الرشيد، وهو مشبع بالروح الوطنية والافكار التنويرية ويعد خطوة جديدة في تطور الرواية التاريخية.

وهكذا فاننا نلاحظ أن الثمانينيات من القرن التاسع عشر شهدت البحث عن اشكال نثرية جديدة في الأدب التنويري.

في تسعينيات القرن تظهر «الهلال» لصاحبها جرجي زيدان وتنتشر رواياته التاريخية انتشارا واسعا وتعود الحياة الأدبية المصرية الى حيويتها وتزدهر في هذه الفترة الرواية التاريخية ويتأثر بها العديد من الكتاب مثل يعقوب صروف في روايات: «المصرية» ١٩٠٥م و«الامير اللبناني» ١٩٠٧م و«فتاة الفيوم» ١٩٠٨م ، وغيرهم من امثال فائز خليل حمام ونسيم الازعر ومحمد بن معلوف وفريد عطية إضافة الى اعمال كرست للثورة التركية التى قامت بها جماعة تركيا الفتاة.

اما المسرح فإنه يتطور بظهور مسرحيات نجيب الحداد (١٨٩٩ - ١٨٦٧م) المتطورة نوعيا بالمقارنة مع مسرحية خليل اليازجي عن الرجوله والصدق واعمال محمد عثمان جلال على خلق مسرح باللهجة العامية فنقل بعض «ملاهي» موليير الى العامية الا أن الحظ لم يحالفه لأن الناس لم يتعودوا بعد على هذا النوع من المسرحيات.

وحصلت الصحافة على فرصة جديدة للتطور فبرز شوقي وحافظ ابراهيم، وتجسدت مفاهيم النضال من اجل الاصلاح الاجتماعي في اعمال مثل «طبائع الاستبداد» ١٩٠١م لعبد الرحمن الكواكبي و«تحرير المرأة» لقاسم امين وكتابات مصطفى كامل التى دعا فيها الى النضال ضد الانجليز، وولي الدين يكن الذى كتب ضد السلطان عبد الحميد، والسوريين الذين ايدوا شباب تركيا الفتاة.

ولابد من الاشارة الى أن روايات المدرسة المصرية وسلسلة المقامات، التى تتحدث عن مصر المعاصرة كانت مشبعة بالروح الوطنية والانتقادات الاجتماعية الحادة مثل «حديث عيسى بن هشام» للمويلحي ١٩٠٦م، و«ليالي سطيح» لحافظ ابراهيم ١٩٠٧م، وليالي الروح لمحمد لطفي جمعه ١٩١٢م.

الرواية الاجتماعية في المدرسة السورية، هي الاخرى استمرت في التطور ومن ابرز ممثليها: نيكولا حداد ومحمد معلوف.. وظهرت في مجلات مصر وسوريا قصص قصيره تطرقت الى موضوعات معاصرة ولكنها غير متكاملة. ويعد فرح انطون مؤلف الروايات الفلسفية من ابرز كتاب الادب العربي في القرن العشرين إضافة الى جرجي زيدان، ويعد قمة المدرسة السورية.

وقام المنفلوطي، ذروة المدرسة المصرية، بكتابة التحقيقات القصصية وترجم العديد منها والروايات وعرف باسلوبه الذى كان يتلاءم مع عصره داعيا للافكار التنويرية الفرنسية بعد إعادة تفسيرها حسب المفاهيم العربية.

ويترسخ الشعر الوطني عند احمد شوقي وحافظ ابراهيم اللذين تغنيا بامجاد مصر القديمة وكرسا قصائدهما لاحداث سياسية واجتماعية عاصراها.

وتبدأ تحولات في فن

**** أفكار التنويرية الفرنسية أعيدت طباعتها على المضمون العربي.**

التشخيص أو النظارة العربي «المسرح العربي» فتظهر فرق اشرف عليها المغنيان المعروفان: سليم حجازي ومنيره المهدية اضافة الى المسرح الكلاسيكي الذي اسسه حداد واهتم الفنانون بالاغنية القومية وبالرقص الشعبي، إلا أنهم لم يبالوا كثيرا بالمستوى الفني مما ادى الى تأخير المسرح.

وتعد فرقة جورج عبيد التى تأسست عام ١٩١٢م من أولى الخطوات نحو المسرح الواقعي وبهذا يبتعد المبدعون بالتدريج عن الفكر التنويري متجهين نحو الواقعية.

تتبلور في السنوات الأولى من القرن العشرين نواة المدرسة الادبية المصرية التى لعبت دورا كبيرا في الحياة الثقافية المصرية بعد الحرب العالمية الاولي، وكانت العناصر الأدبية الشابة مفعمة بالحيوية وبافكار تدعو الى تأسيس الثقافة المصرية الوطنية من الذين تجمعوا حول صحيفة احمد لطفي السيد التى اصدرها عام ١٩٠٧م والتى كان سعد زغلول قريبا منها.

وفي عام ١٩١٤م ظهرت أول قصة لهذه المدرسة الجديدة للكاتب محمد حسين هيكل التى انهت العصر التنويري وابتدأت عصرا جديدا هو عصر الواقعية أو ما يسمى بالأدب الواقعي وبها تنتهي فترة الأدب التنويري وسنتحدث عن اتجاهاتها.

**** تعدد الأفكار والاتجاهات والمعتقدات في العالم العربي أثر في تحديد خطوط النهضة العربية.**

التنويريون المسلمون والنصارى وتيارات النهضة العربية:

سبقت مصر وسوريا الدول العربية الاخرى في توجههما منذ بداية القرن التاسع عشر نحو المدنية والتأثر بالغرب وقد سميت هذه الفترة في العديد من الكتب بفترة «النهضة» أو اليقظة كما اشرنا الى ذلك سابقا.

تتلخص افكار اليقظة بشكل عام في بعث الامجاد العربية واستعادة قوة العرب عن طريق القضاء على كل مظاهر التخلف بعد نشر العلم والمعرفة والقضاء على ثالوث الفقر والمرض والأمية وكل اشكال التعصب القبلي والطائفي والخرافات والقيام بالاصلاحات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

هذا هو المفهوم العام لاهداف النهضة العربية، إلا أن المعنى الضيق يعني ايضا التقدم الثقافي عن طريق بعث التراث العربي القديم واستخدامه لضرورات العصر الحديث في مجابهة «العدو الخارجي». إن هاجس الخوف على الشخصية العربية ومقوماتها والحفاظ على الاصالة العربية لم يترك مفكري النهضة العرب في اغلب مؤلفاتهم مع ضرورة الأخذ بنظر الاعتبار الاختلاف النسبي بين التنويريين المسلمين والنصارى العرب.

وعلى الرغم من أن العرب ومشايخهم سمعوا دوي المدافع الفرنسية قبل أن يقرأوا «روح القوانين» لونتسيكيو ولا غيره من الكتاب الذين كان الفرنسيون يتغنون بهم ومع ذلك كانوا يفكرون بضرورة التقدم مهما كان الثمن غاليا، إلا أن لهذا التقدم العربي وجها

آخر يجمع بين التمكن من نجاحات الحضارة الأوربية الغربية والعلم والأدب والحفاظ على مقومات العروبة والاسلام وصد أي محاولة من محاولات الغرب الاستعماري أنذاك من اجل التمزيق أو المسخ الاجتماعي والفكري والثقافي.

ولابد لنا هنا من أن نتذكر بأن أوروبا لم تجابه مثل هذا الخطر الخارجي عندما بدأت فيها المرحلة التنويرية أو ما يصطلح عليه بفترة ال رينيسانس، فالكتاب الغربيون كانوا اكثر شعورا بالحرية وبالثقة بالنفس من التنويريين العرب والمسلمين.

كذلك نجد أن المفكرين العرب لم يكونوا إلا بذور بناء فوقي جديد يفتقر الى قاعدة اقتصادية واجتماعية وسياسية فبقيت حركتهم معزولة عن المجتمع على عكس التنويريين الغربيين الذين كانوا يجسدون تطور مجتمعاتهم الاقتصادي والاجتماعي والفكري.

ونستطيع أن نقول بأن العالم العربي سار تقريبا بنفس طريقة الغرب لولا هذين الاختلافين بينه وبين أوروبا التى كانت تعد نفسها لمرحلة غزو على كل الاصعده، ادى الى حدوث رد فعل لدى المسلمين والعرب الذين كانوا أمام خيارات ثقافية ومصادر علمية متعددة كان عليهم تعلمها بل واتقانها وتفسيرها حسب مفاهيم عربية واسلامية للاستفادة منها في حماية النفس من أجل البقاء والسباق مع أوروبا، أو على الاقل هكذا كانت الأهداف والنوايا لدى التنويريين بغض النظر عن اتجاهاتهم.

هكذا تكون بالتدريج امتزاج التقاليد الثقافية التى اصبحت اساسا للتنويرية العربية التى ازدهرت في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين ١٨٧٠ - ١٩٠٠م.

بالنسبة لمصر فانها شهدت تجربة التمدن منذ ايام على بك الكبير (ت ١٧٧٣م) عندما اعلن استقلال مصر وانفصالها عن الامبراطورية العثمانية عام ١٧٦٩م، إلا أنها كانت محدودة فاكملها فيما بعد محمد علي باشا (١٧٦٩ - ١٨٤٩م) وجاء بمشروع نهضوي ضخم كان يمكن أن يكتب له النجاح ويشمل كل قطاعات المجتمع لولا وقوف الدول الغربية ضده، بل ويمكن القول القضاء عليه عام ١٨٤٠م.

هنا تكمن اهمية المقارنة بين اليقظة العربية في القرن التاسع عشر والتى كانت دائما تواجه النظم العدائية من قبل الغرب، والنهضة الغربية التى ظهرت في القرن السادس عشر بسبب اهداف الغزو والتوسع التى كانت تخطط لها اوروبا.

وعلى الرغم من وجود أوجه الشبه العديدة بينهما الا اننا يجب ان نتذكر بأن النهضة العربية ظهرت كنتيجة لتطورات اقتصادية واجتماعية كتلك التى حدثت في أوروبا، بل كحافز بالدرجة الأولى للوصول الى مصاف الدول الغربية المتطورة والحصول على مكتسبات الغرب بدون المساس بمقومات الشخصية العربية والاسلامية، وهذا امر لم يقبل به الغرب، بل حاربه، وهنا يكمن اهم سبب من اسباب فشل الحركة التنويرية التى

**** الهاجس الوطني والقومي كان هو الغالب على كل التوجهات.**

** معالم النهضة العربية أنتجتها النخبة بعيداً عن القاعدة الشعبية العريضة.

بقيت محدودة ضمن أوساط المفكرين والأدباء ولم تصل الى مستوى المشروع الفكري الجماهيري.

وعلينا أن نتذكر بأن أوروبا كانت تشكل دولا استعمارية في فترة النهضة التنويرية العربية وتحارب في الوقت نفسه الامبراطورية العثمانية وتسعى الى تقسيمها والتهام اجزائها العربية التى تريدها ان تكون ضعيفة لكي تسهل السيطرة عليها.

ونعتقد أنه من العبث أن يحاول بعض الكتاب المتخصصين بالفكر التنويري العربي التقليل من شأن شعور المفكرين التنويريين العرب بالخطر الخارجي القادم من أوروبا في تكوين الفكر التنويري العربي وتحديد اتجاهاته وتناقضاته.

فالحركة التنويرية العربية هي في حقيقة الأمر كانت بمثابة رد فعل على التنويرية الغربية التى سعت الى ترسيخ العلوم الطبيعية والانسانية من أجل بناء دولة قوية قادرة على استيعاب تطورات العصر واحداثه السياسية، ودرء الخطر الخارجي المتمثل بالاسلام بسبب الحروب الصليبية والسيطرة على المستعمرات الجديدة.

ولابد من الاشارة في الوقت نفسه الى أن الحركة التنويرية الأوروبية كان من أهم اهدافها الانعتاق من الفكر القديم والانطلاق من أجل الحصول على مكتسبات جديدة متوجهة بذلك عن طريق القوة الى الشرق الاسلامي بالذات بسبب اهميته الحضارية وموقعه الجغرافي وثرواته الطبيعية الهائلة.

ولهذا فإن الحركة التنويرية العربية لم تتنكر للفكر السائد بدون قيود أو شروط كما حدث في التنويرية الأوروبية التى كانت تعد نفسها للغزو والاستعمار وليس للدفاع عن نفسها كما هو الحال بالنسبة للتنويرية العربية وهنا يكمن السبب في عدم تمكنها من إنجاز مهماتها، وتجاوز مرحلتها.

فالتنويري العربي والمسلم كان مشغولا بمهمة الدفاع عن الأمة وفكرها بسلاح التنويري الغربي ولكن عبر تحليل دقيق ضمن حضارته وشريعته، ولم تكن النهضة العلمية الغربية بالنسبة له إلا حافزا من أجل اللحاق بالغرب والتغلب عليه وهذا منا كان يثير الغربيين، وهي عقدة بقي الغربي يعاني منها حتى وقتنا الحاضر. أي أن فكرة التوجه نحو الغرب كانت تقبل من قبل المفكرين العرب والمسلمين بحذر شديد، أو بشروط كثيرة ومختلفة تضمن الحفاظ على كل ما له علاقة بالأصالة والتقاليد.

أما على الصعيد الداخلي فإن المجتمعات العربية لم تكن متماسكة أو متطورة لا من حيث بنيتها الاقتصادية ولا بنائها الفوقي، فهي لم تكن متمكنة من المقاومة أو الصمود أمام أوروبا الصاعدة التى كانت متخوفة من افكار التنويريين العرب امثال رفاعه الطهطاوي (١٨٠١ ـ ١٨٧٣م) وجمال الدين الافغاني (١٨٩٧ ـ ١٩٣٩م) ومحمد عبده (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م)، وعبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٩ ـ ١٩٠٢م)، وقاسم امين (١٨٦٣ ـ ١٩٠٨م)، والشيخ علي يوسف (١٨٦٣ ـ

١٩١٣م) وخير الدين التونسي والشيخ محمد قبادو وغيرهم من الكتاب الذين دعوا الى المزج بين العصرنه والأصالة.

اتفقت رؤية اغلب هؤلاء التنويريين مع اهداف محمد علي باشا (١٨٠٩ - ١٨٤٩م) والخديوي اسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩م) الذي حاول أن ينهض بالمشروع التنويري، وهنا يجب أن نتذكر بأن الحكام آنذاك لم يكونوا في حقيقة الأمر تنويريين بكل معنى الكلمة مهما كانت توجهاتهم التنويرية أو ادعاءاتهم بالتوجه النهضوي.

بالنسبة لمحمد علي باشا الذي حكم مصر اربعين عاما (١٨٠٥ - ١٨٤٥م) فقد عمل على الانفصال عن الدولة العثمانية ونقل النموذج الأوروبي اليها، وهي تجربة فريدة لم يكتب لها النجاح بسبب التأثيرات الاستعمارية مما ادى الى إثارة الروح القومية والدينية لدى المصريين الذين اصبحوا اكثر ارتباطا بالتقاليد الاسلامية رغم مساعيهم في اللحاق بالأوربيين. وفي الوقت نفسه نجد أن اللبنانيين والسوريين والنصارى منهم بالذات من الذين هربوا من اضطهاد السلطان عبد الحميد الى مصر والمهجر الاميركي كانوا اقرب من التنويريين المسلمين الى التنويرية الأوربية وافكارها كما سنلاحظ لاحقا.

وعلى الرغم من أن اللقاء بين الشرق والغرب لم يكن سلميا كما قلنا سابقا حيث تم على يد نابليون بونابرت وحملته (١٧٩٧م) إلا أن محمد علي باشا ارسل البعثات العلمية الى فرنسا الغازية وادخل مطبعة بولاق عام ١٨٢٢م وشجع الترجمة الى العربية وهذه من أهم مظاهر اليقظه العربية في مصر.

وبقيت تساؤلات من قبيل كيف يمكن تحقيق المدنية والاستفادة من الحضارة الأوربية؟ وشكل الحكم الذي يجب أن يسود؟ فهل يجب أن يكون الحكم على اساس قومي أو اسلامي أو اقليمي وما هي صفات الحاكم الذي يجب أن يتولى ادارة البلاد الاسلامية؟. وما هي طرق القضاء على التخلف ؟ وما هي نوعية علاقة العرب بالغرب؟.

كل هذه التساؤلات كانت تجسد أهم المهمات التي كانوا يحلمون بتحقيقها ووضعوها نصب اعينهم، بل إن نقل النموذج الاوربي الى مصر كان من أهم اهدافهم وأهداف محمد علي باشا المشتركة.

إلا أننا يجب أن نؤكد بأن كل هذه الاهداف والمظاهر المتطلعة نحو التمدن الغربي لم تتم بمعزل عن استيقاظ الوعي القومي العربي وبداية الاحساس بضرورة الانعتاق والتحرر من قيود الجهل والتخلف والاستعمار فبرزت اسماء عرابي ومصطفى كامل وسعد زغلول والبستاني الكبير واليازجي واسحق ومراش وغيرهم وبرز دور الصحافة منذ تأسيس «الوقائع المصرية» عام ١٨٢٨م مع مساهمة السوريين واللبنانيين في اصدار صحف أخرى في مصر بعد أن لجأوا اليها هربا من استبداد الترك العثمانيين وولاتهم ومعاملتهم السيئة لهم في عهد السلطان عبد الحميد (١٨٧٦ -

**** الاتجاه العلماني العقلاني، والوطني القومي، والاتجاه العقدي، ظلت كلها اخلاطاً متشاكسة في تكوين منهجية النهضة العربية.**

١٩٠٩م).

ورغم اشتراك اغلب التنويريين العرب نصارى ومسلمين ومن الاديان والاقليات القومية الأخرى في اهدافهم وطروحاتهم إلا أنه ليس من الصعب تصنيفهم ضمن تيارات فكرية مختلفة مثل الاتجاه العلماني العقلاني الذي كان ممثلوه يدعون الى تقليد النموذج الغربي وكانوا على اتصال وثيق بالغرب المسيحي حيث كان اغلبهم من النصارى السوريين واللبنانيين المقيمين في مصر.

أما أهم مبادئهم فهي تتلخص في الدعوة الى بناء مجتمع علماني يفصل بين الدين، والدولة، وهي نداءات مأخوذة من المبادىء اللبرالية والدساتير الغربية، وتغيير اخلاقيات المجتمع وجعلها تعتمد على اساس علمي وعقلاني، وتعليم افراد المجتمع ضمن نظام تعليمي عصري يختلف عن اسلوب الأزهر والكتاتيب، ونقل الثقافة الغربية بشكل واسع وجماهيري، كما تمثل ذلك واضحا في دعوات يعقوب صروف وجرجي زيدان والكاتب الساخر صاحب «الجاسوس على القاموس» احمد فارس الشدياق (١٨٠٤ ـ ١٨٨٧م) وغيرهم.

**** الارساليات الأوروبية كانت أوكار تجسس واستخبار لصالح دولها في الشرق الأوسط.**

شهدت سوريا قبل مصر ظهور مثل هذه الأفكار التي تبلورت فيما بعد بالحركة التنويرية، فالمدن السورية اللبنانية كانت مرتبطة بالغرب، وأن أول مدرسة خاصة بالسوريين المارونيين فتحت في روما عام ١٥٨٤م، وأول مطبعة ظهرت فيها قبل مصر بمائة عام وأن الارساليات التبشيرية المسيحية بدأت اعمالها منذ ١٥٣٦م حتى القرن التاسع عشر.

وفي الحقيقة أن دور هذه الارساليات كان يتجسد في جمع المعلومات والتجسس لصالح دولها الاستعمارية لتسهيل مهماتها وخططها في الغزو.

(انظر: مصطفى خالدي، عمر فروخ، المبشرون والامبريالية في الدول العربية، موسكو ١٩٧٢م، باللغة الروسية).

وإذا اردنا الحديث عن بواكير النهضة السورية اللبنانية فعلينا أن نبدأ بالمدارس الاكليريكية المسيحية أو ما يسمى بتيار الاكليروس المسيحي وبشخصية جرمانوس فرحات (١٧٦٠ ـ ١٧٣٢م) القاموسي النحوي مؤلف كتاب «بحث المطالب» في اللغة، والشاعر الذي انتقل من قول الزجل الموزون على الطريقة السريانية الى النظم باللغة العربية وبفضله حلت العربية محل السريانية في الكنيسة وتأسست المكتبة المارونية في حلب.

(انظر: بالتفصيل عن البيئة السورية والاكليروس الادبي: د. حلمي مرزق، مقدمة في دراسة الأدب الحديث، بيروت ١٩٨٠م).

وإذا كان الازهر قد شهد البدايات الأولى للنشاطات الأدبية واذا كانت دمياط قد شهدت ظهور جماعة من الأدباء اهتمت بالترجمة منذ أيام محمد علي بك الكبير فإن «قاعة العمود» من قصر الامير بشير شهدت لقاءات اعلام تلك الفترة من الذين اهتموا بالبحث في المخطوطات والتراث العربي وجرفتهم

مشاعر القومية العربية وتعلقوا بالعواصم العربية إلا أنهم لم ينقطعوا عن الاتصال بالغرب وبمؤسساته والجامعة الاميركية في بيروت التى تأسست عام ١٧٧٥م.

وكما ظهرت في مصر دعوات لاصلاح التعليم وادخال العلوم «المحرمة» من قبل محمد عبده، نجد أن التنويريين النصارى هم ايضا خرجوا على الاكليروس الأدبي الكنسي التقليدي ودعوا الى فصل الدين عن العلم والالتقاء بالفكر الغربي.

فالغالبية العظمى من المثقفين السوريين في القرن التاسع عشر والعشرين انحدرت من طبقات الاقطاعيين والليبراليين والتجار ودرست في المدارس التبشيرية أو في المدارس الوطنية ذات المواصفات الغربية التى فتحت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مثل مدرسة بطرس البستاني التى اسسها عام ١٨٦٣م كرد فعل على احداث فتنة الجبل ١٨٦٠م التى زعزعت الايمان بالمدارس الدينية. فلقد كان هؤلاء المثقفون السوريون رغم مشاعرهم الوطنية جماليا وفكريا مرتبطين بالغرب ارتباطا وثيقا، وكانت المدارس تعطيهم تصورات عن الآداب الأوربية والامريكية وتعلمهم اللغات الاجنبية التى ساعدت الطلبة في الاطلاع على الكتب والاعمال السياسية والاقتصادية والفكرية الأوربية.

خير مثال على ذلك نذكر احمد فارس الشدياق الذي لجأ الى الاميركان هربا من الموارنة الذين قتلوا اخاه اسعد الشدياق في فتنة الجبل وارسلوه الى مصر ومالطا وألف كتاب «الواسطه في معرفة مالطا» ثم عمل في لندن وباريس واسلم في النهاية على يد باي تونس ثم سافر الى الاستانة وعاد بعدها الى مصر منهيا بذلك ارتباطه بالغربيين الذين علموه واحتضنوه ولكن هذا لا يعنى اتفاقهم التام مع نمط الحياة الاوربية أو التفكير المادي الغربي بشكل عام وخاصة بالنسبة لأولئك الذين سافروا الى أوروبا وكشفوا خباياها.

(انظر: أحمد فارس الشدياق «كشف المخبا في اوروبا»، و«الساق على الساق في ما هو الفارياق»، «أيام وشهور وأعوام في حجم العرب والأعجام». القاهرة).

وإذا كان الغرب قد جاء بنفسه الى منطقة الشام من خلال بعثاته التبشيرية الأوروبية والاميركية التى احتضنت مئات الطلبة النصارى، فإن مصر بعثت بطلابها الى فرنسا يرافقهم شيخهم رفاعة الطهطاوي ليعينهم في الاصول الدينية وليعود في الوقت نفسه الى بلاده بمعلومات كثيرة اعجب بها شيخ الازهر آنذاك حسن العطار الذي شجعه على كتابتها ونشرها.

هذا يعني أن الفئات المثقفة من الطبقات الوسطى أو ما يسمى بالبرجوازية من المجتمع المصرى اصبحت تعي اهمية الاصلاحات وضرورة التخلص من حكم الاستبداد العثماني فكانت تبحث عن ملاذها الفكري لدى التنويريين الغربيين، إلا أن اوروبا المعاصرة في القرن التاسع عشر لم ينل اعجابها كما هو الحال بالنسبة للقرن الثامن عشر أو التنويرية

**** التنويرية الاسلامية أو الصحوة الاسلامية حاولت الافادة من أطروحات النهضة العامة.**

** على صفحات مجلة الهلال ازدهرت الرواية التاريخية.

الفرنسية لأنها كانت تنسجم مع مهمات القرن التاسع عشر العربي في التخلص من التخلف الفكري والاجتماعي والسياسي الذي يتجسد بالقوانين القديمة التى لم تعد تلبي حاجات المواطنين الروحية.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الظاهرة بقيت مزمنة في الأدب العربي الحديث في بداية القرن العشرين حيث ظل الأدباء العرب يتأثرون بأدب أوروبا القرن التاسع عشر بسبب انسجامهم مع افكار النتاجات الأدبية والشخصيات الروائية والمسرحية والقصصية.

يبقى التيار السلفي الاصلاحي الذي مثله جمال الدين الافغاني ومحمد عبده والكواكبي وغيرهم من ابرز الاتجاهات واعمقها تأثيرا في الحركة التنويرية العربية باعتباره تجسيدا لإفراز الظروف الموضوعية التى مر بها العرب والمسلمون ويعكس اهمية الدفاع عن مقومات الشخصية الاسلامية وتكوين الاصالة الاسلامية ومقاومة الغزو الثقافي الاوربي عن طريق تقديم فكر ديني وسياسي وقومي وادبي يعتمد على السلف الصالح للاسلام المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مع ضرورة الاجتهاد وحضور العقل في تفسير الظواهر الجديدة والجمع بين منجزات العلم الحديث والاصالة الاسلامية.

وقد حدد الاسلام كل الحركة الفكرية للمجتمع، فهذا رفاعه الطهطاوي اعجب في كتابه «تخليص الابريز في تلخيص باريس» ١٨٣٤م مطبعة بولاق) بالتقدم والحرية والمساواة في المجتمع الفرنسي واوروبا ولكنه عمل في الوقت نفسه على العودة الى نصوص قرآنية باعتبارها المرجع الوحيد لاعادة تفسير الظواهر الاجتماعية.

وهكذا فإن أية حركة تنويرية لم يكن من الممكن لها أن تنتشر انتشارا واسعا إن لم تكن في اطار الدين الاسلامي، ولكننا نشير هنا الى أن بداية حركة الاصلاح الاسلامية في سبعينيات القرن التاسع عشر لم تكن بمعزل عن النزعات التنويرية الاوربية أو بدون التأثر بها بل كانت حركة تنويرية بروح اسلامية أو حركة اصلاح اسلامية بثياب تنويرية تحت شعار العودة الى السلف الصالح التى سميت بالتجديد الاسلامي أو الصحوة الاسلامية بزعامة جمال الدين الافغاني (١٨٣٨ - ١٨٩٧م) وشيخ الازهر محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥م).

واصبحت مصر بجامعها الازهر مركز التنويرية العربية الاسلامية وارتبط اغلب كتابها به، ولابد من القول إن ممثلي جيل حسن العطار (١٧٧٦ - ١٨٣٤م) وحسين المرصفي (ت ١٨٨٩م) وغيرهما من مشايخ الازهر لم يؤلفوا الكتب الاسلامية الفلسفية الجديدة ولم يصدروا الصحف والمجلات، بل هيئوا الظروف امام المسلمين الآخرين من الاجيال الجديدة للظهور بفلسفة اسلامية جديدة فكتب الطهطاوي «تخليص الابريز في تلخيص باريز» بتشجيع منه وكان الكواكبي (١٨٤٩ - ١٩٠٢م) واحدا من ابرز مفكري التجديد الاسلامي.

تأثر هذا الفكر التنويري الاسلامي الجديد هو

الآخر تأثرا كبيرا بالفكر الاجتماعي الغربي فقد تقبل المسلمون المصلحون فكرة «الانسان الطبيعي» وحقوقه في الحرية والمساواة والقوانين العقلانية التى تنسجم مع ظروف حياة المجتمع التى تحافظ على الحقوق الطبيعية للانسان وفكرة بناء المجتمع على اسس عقلانية بشكل عام.

(راجع عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد).

اعتقد المصلحون المسلمون بأن كل الافكار التقدمية موجودة في القرآن الكريم ولهذا فانهم لم يعتبروا اعتمادهم على افكار التنويريين الغربيين اقتباسا بل بعثا للاسلام، فلم يترجموا الكثير من مؤلفات الفرنسيين في هذه الفترة، وعند شرحهم مبادىء هؤلاء الكتاب التنويريين الاوربيين لم يشيروا الى المصادر التى استقوا منها هذه الافكار.

إن الفكرة الاساسية التى اعتمد عليها المصلحون المسلمون هي إحياء التقاليد الحسنة عند المسلمين وبعث التراث العربي، وهى مهمة مشتركة بين الازهر وجامعة القاهرة التى تأسست عام ١٩٠٨م والكتاب النصارى الذين كانوا يتحركون بدافع قومي عربي.

وعلى الرغم من كثرة المدارس الرسمية الوطنية المصرية التى فتحت في القرن التاسع عشر وعلى الرغم من انها استخدمت التجربة الأوربية، إلا انها حافظت على التوجهات التربوية الدينية وهنا يكمن الفرق بين التجربتين المصرية والسورية اللبنانية، حيث بقيت الاولى وثيقة الصلة بالشرق على عكس الثانية التى تأسست بتأثير البعثات التبشيرية النصرانية وبقيت اجيالها متعلقة بأوروبا رغم مشاعرهم القومية كما سبق وأن قلنا.

إلا أن هذا الاختلاف في التوجهات والتفصيلات والانتماءات الدينية والطائفية لا يعني انتفاء التعاون بين التجربتين الاسلامية المصرية والعقلانية السورية فافكار العلامة التنويري جمال الدين الافغاني التنويرية دعت الى اصلاح الفكر الاسلامي بالدرجة الأولى باعتباره شرطا اساسيا لتحرير الشعوب الاسلامية من المستعمرين وتوحيدها والعمل على انجاز المشروع الحضاري الذي سيعود بالخير على كل العرب مسلمين ونصارى وهو لم يكن متزمتا ولهذا نلاحظ أن كتابا تنويريين نصرانيين مثل أديب اسحق ويعقوب صنوع وجميل المدور اعتبروا انفسهم تلامذة له وايدوا فكرته في توحيد كلمة العرب ضد الأوربيين.

وإذا كان التنويريون المسلمون قد اهتموا بالشكليات الدينية فإن النصارى ركزوا على المناقشات الفلسفية والفكرية ولكن بدون صبغة دينية نصرانية، مع المحافظة على الموقف الايجابي من الاسلام، بل إنهم افتخروا بالماضي الاسلامي والعدالة الحقيقية التى اقامها المجتمع الاسلامي الأول.

(راجع كتابات جميل المدور، جرجي زيدان، وسليم البستاني وغيرهم).

وعندما يغلف التنويري النصراني افكاره التنويرية بالصبغة المسيحية، فإنه يستمد افكاره من رينان الذي

**** التسامح الديني مثّل حلقة الوصل عند رواد النهضة الحديثة.**

رفض آراءه الافغاني في محاضرة القاها في السوربون سنتحدث عنها فيما بعد، أو تولستوي الذى قدم للعالم مسيحية جديدة ضمن افكاره التولستوية العامة فهي ليست مسيحية رسمية بل مسيحية منقاة.

(راجع فرح انطون، القدس الجديدة).

ولولا الخطر الاستعمارى الغربي في الوطن العربي لما فكر محمد عبده بالتحفظ ازاء المدنية الغربية التى دعا اليها ولكن شريطة عدم الاخلال بالاصالة الاسلامية، ولكنه لم يكف عن الدعوة الى اقتباس كل ما يمكن اقتباسه من الغرب الذي عانى من اضطهاده لشعبه وولد لديه في نهاية الامر رد فعل تجسد في عودته الى السلف الصالح.

وعلى الرغم من أن الكواكبي انتقد السلطان عبد الحميد واستبداده ودعا الى تأسيس دولة دستورية، إلا أنه رفض العنصر الأوربي وابدى مشاعر معادية تجاهه واعتبره مادي الحياة، قوي النفس شديد المعاملة حريصاً على الانتقام ولكنه تأثر بنظمهم الدستورية.

(انظر: الكواكبي «طبائع الاستبداد»، «ام القرى»، الاعمال الكامله).

وكل هذه المحاولات الاصلاحية التعليمية لدى المسلمين والنصارى تدل على رغبتهم الصادقة في الخلاص من التخلف والتوجه نحو تأسيس النظم السياسية والاخلاقية والاجتماعية الجديدة، ففرج انطون مثلا لم يكتف بالدعوة على ألسنة ابطاله الى التسامح الديني والانبهار بديمقراطية الاسلام كما فعل غيره من الكتاب النصارى الآخرين، بل إنه قارن بين سيدنا محمد {صلى الله عليه وسلم} وعيسى المسيح عليهما السلام مؤكدا على أن دعوتهما كانت مؤيدة من الخالق.

(انظر: فرح انطون، القدس الجديدة ص ٤٤ ـ ٤٥).

ولم يكن النصارى أقل مرتبة اقتصاديا أو علميا أو اجتماعيا لا سيما وأنهم سيطروا على التجارة مع اوروبا بسبب صلاتهم المتنوعة معها فتختفي بالتدريج فكرة تفوق المسلم على النصراني، وعلى الرغم من الاخذ والرد بقضية دعوة جرجي زيدان الى قسم التاريخ الاسلامي عام ١٩٠٩م إلا أنها في نهاية المطاف تمت بعد سنتين.

(انظر: كراشكوفسكي، الرواية التاريخية في الأدب العربي المعاصر، الاعمال الكاملة بالروسية).

هذا الاهتمام من قبل النصارى العرب بالاسلام وتاريخه يدل على بداية تكوين قومية عربية غير دينية، تعد من أهم مقومات الحركة التنويرية واقسامها في ظل النضال من أجل الاستقلال القومي، فناصيف اليازجي (١٨٠٠ ـ ١٨٧١م) صاحب المقامات المعاصرة التى جمعها في «مجمع البحرين» اثبت قدرة عالية على الكتابة باللغة العربية ومعرفة عظيمة بتاريخها وتفصيلاتها، اضافة الى اراجيزه في الصرف والاعراب والبيان دحض فكرة «اللغة العربية لا تتنصر» مؤكدا انتمائه القومي العربي.

وقد قدم اليازجي بمؤلفاته خدمات جليلة للغة العربية وآدابها وثقافتها وهويتها المعاصرة وحركة شعبها القومية العربية التى ساهم فيها النصارى مساهمة كبيرة بل وقياديه في اغلب الحالات جنبا الى جنب المسلمين وغيرهم.

وإذا اردنا أن نعيد الى الاذهان الجمعية العلمية السورية التى تأسست عام ١٨٤٧م في بيروت لنشر العلوم وتنشيط الفنون بين الناطقين بالضاد فاننا نجد ثلاثة من ابرز التنويريين العرب النصارى هم الشيخ ناصيف اليازجي وبطرس البستاني (١٨٨٣ ـ ١٨١٩م) وميخائيل مدور كانوا من انشط اعضائها فإن الاختلافات الدينية بين المسلمين والنصارى لم تعق تقارب التنويريين النصارى والمسلمين الذى هو في حقيقة الأمر من أهم مهمات الفكر التنويري.

وكما اشرنا سابقا الى أن اهتمام اغلب النصارى بالفكر الغربي لا يعني نكرانهم للثقافة

العربية، بل بالعكس كانوا يشعرون بضرورة تغذيتها بالافكار الجديدة من أجل الحصول على العلوم الحديثة وتغيير نمط التعليم المتخلف وتحويله الى نظام متقدم.

ألف بطرس بن بولس بن عبد الله بن كرم بن شديد بن ابي شديد بن محفوظ بن ابي محفوظ البستاني الذي اتقن العربية والسريانية والايطالية واللاتينية كتبا لا يمكن لاي باحث عربي اليوم أن يستغني عنها مثل «دائرة المعارف» وقاموسه العربي «محيط المحيط» و«قطر المحيط» وكتبه التنويرية مثل «تعليم النساء» والكتابات التعليمية المخصصة للطلبة والشباب مثل «مصباح الطالب في بحث المطالب» و«مفتاح الصباح في الصرف والنحو» و«كشف الحجاب في علم الحساب» وترجمته لرواية «روبنسن كروزو» وغيرها من المؤلفات ذات الاهمية البالغة بالنسبة لتلك الفترة بالذات لكونها تتضمن معلومات اساسية لا يمكن لطلاب العصر التنويري الاستغناء عنها.

ولعله من المفيد أن نذكر أن اهم ما قرّب التنويريين المسلمين والنصارى العرب ومن الطوائف والاقليات القومية والدينية الاخرى في بعض الاحيان وهجرة الشاميين الى مصر في سبعينيات القرن التاسع عشر وثمانينياته أن الرعيل الأول من هؤلاء التنويريين رفض ارتباط العرب بالغرب أو تركيا وظهرت لأول مرة بعض مؤلفاتهم في القومية العربية.. وكات صحف اديب اسحق عشية ثورة عرابي تنشر مقالات الافغاني ومحمد عبده اللذين عملا فيها ونشر الشاعر التركي المسلم ولي الدين يكن مقالاته في صحيفة «المقطم» التى كان يصدرها يعقوب صروف (١٨٧٣ ـ ١٩١٢م)، بينما كان النصراني جميل المدور يعمل في جريدة «المؤيد» لسان حال المسلمين المجددين.

كان هؤلاء الكتاب يدعون الى تآلف افضل التقاليد العربية الصادقة في الديانتين السماويتين من جهة وفي الفكر الاوربي، إلا أن قسما منهم اكد على الفكر القومي الاسلامي كما هو الحال عند الكواكبي، واهتم آخرون بالقومية العربية حسب المفاهيم الاوربية مثل فرح انطون، إلا انهم جميعا التقوا بسبب الاهداف المشتركة في النضال من أجل حرية الوطن وازدهاره وتقدمه والتخلص من التقاليد البالية والخرافات ولهذا بالذات ادركوا أهمية المعرفة باعتبارها الطريق ، ولكن هذا اللقاء حول الاهداف المشتركة لا يعني اتفاقهم التام حول العلاقة مع الغرب وتركيا التى كان العرب يعانون من اضطهادها لهم، فكان قسم من التنويريين النصارى العرب، بل وبعض المسلمين مثل الشاعر التركي ولي الدين يكن (١٨٧٣ ـ ١٩١٢م) الذي اصابه الاحباط من ثورة (١٩٠٨م) التركية بفضل التقارب السياسي مع بريطانيا واعتبرت تركيا العدو الأول للعرب.

وكان من الطبيعي أن يكون النصارى اكثر من المسلمين شعورا بالحقد على الدولة العثمانية وخطابها

**** الادب الأوروبي مثل المرجعية لكثير من أدباء ومثقفي العرب.**

النهضة العربية أرهقها الدفاع عن نفسها من بلوغ غايتها.

الاسلامي، ومما لا شك فيه أن إعجاب المسلمين بالمنجزات الغربية كان يمكن أن يكون اكثر بكثير ومقبولا بلا حدود وبدون خوف أو غربلة عبر التقاليد العربية الاسلامية لولا الاختلاف في الانتماء الديني بين العرب والغرب والقلق على مستقبل الشخصية العربية الاسلامية ومقوماتها فهم من ناحية كانوا بأمس الحاجة الى هذا الفكر الاوربي على كل الاصعدة، ولكنهم كانوا يخشون تطبيقه في الوقت نفسه.

ولهذا نرى أن قسما من كتاب الجامعة الاسلامية من التنويريين المسلمين بسبب فقدان املهم بالتغيير الداخلي وهجوم بعض فلاسفة الغرب على الاسلام والعرب والتدخل الاستعماري الاوربي دعوا الى الوحدة الاسلامية الكبرى مع تركيا ضد الدول الاوربية. ورفضوا الاقتباس منها ولكنهم في النهاية اخذوا الكثير منها.

(راجع كتابات عبد الله النديم (١٨٤٥ ـ ١٨٩٦) مصطفى كامل (١٨٤٧ ـ ١٩٠٨) ومصطفى المنفلوطي (١٨٧٦ ـ ١٩٢٤م) والافغاني وغيرهم).

فلقد استفزت حفيظة التنويريين المسلمين مثل جمال الدين الافغاني وأهينت مشاعرهم بسبب كتابات ارنست رينان العنصرية والمعادية للاسلام والعرب الذين صورهم على انهم شعوب متخلفة غير قادرة على تكوين فلسفة خاصة بهم وأن كل ما جرت العادة على تسميته بالفلسفة العربية لا يمت بصلة لهم بل هي مجموعة افكار مأخوذة من الشعوب الاخرى مثل اليونانيين والساسانيين كتبت باللغة العربية ليس إلا، فيرد عليه مؤكدا علاقة العلم بالاسلام ومبينا أن اسباب التخلف في العالم الاسلامي تكمن في عادات الشعوب التى دخلته ويدحض الكثير من آرائه مبينا الدور الكبير الذي لعبه العرب في استيعاب الفلسفات المختلفة ونقلها الى الاوربيين في صياغات واساليب عربية جديدة.

(انظر بالتفصيل: جمال الدين الافغاني، الرد على الدهريين، الاعمال الكاملة).

ولم نضع نصب اعيننا الحديث بالتفصيل عن موضوعات الخلاف بين المفكرين المسلمين والاوربيين بقدر ما نود أن نشير الى التباين في موقف التنويريين العرب النصارى والمسلمين تجاه انتقادات الغرب للاسلام والحط من قيمة العرب وتشويه تاريخهم، فإذا كان بعض النصارى يقبل الفكر الغربي ودعا الى تحقيقه وممتنا للعمل في البعثات التبشيرية والترجمة مع المؤسسات الغربية فإن العلماء المسلمين شعروا بأهمية اقامة المؤسسات والبناء العمراني ولكن ليس على حساب التقاليد المحلية كما هو الحال لدى خير الدين التونسي الذي اعتبر أن التقدم يمكن تحقيقه في حالة تعاون رجال السياسة الذين يحملون على عاتقهم بناء دولة دستورية يمارس فيها العمران والشورى دوره، ورجال الدين الذين يجب أن ينهضوا بمهماتهم الحياتية اليومية وينهوا عزلتهم عنها.

(انظر : خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك، مطبعة الدولة الحاضرة بتونس المحمية ١٢٨٤هـ وطبعات مختلفه).

ودعا كتاب المغرب العربي اكثر من مرة الى مثل هذه الدعوات التى لا تختلف كثيرا عن المشرقيين المعروفة بشدتها ازاء الغرب في بعض الحالات بسبب خوفهم منه وتعلقهم بالشرق وتراث المسلمين ومفهوم التقدم عند ابن خلدون ودعوا للتسلح بسلاح الغرب من أجل اعادة الهيبة للديار الاسلامية التى تعرضت للغزو الاوربي اكثر من مرة ومنهم من تحدث بصراحة عن ضرورة القوة العسكرية بالنسبة للعرب مثل الشيخ محمود قبادو (١٨١٤ ـ ١٨٧١) وغيره من تنويريي المغرب العربي مثل محمد باديس الجزائري وعلال الفاسي المغربي اللذين واجها الغرب بالاسلام مؤكدين أن تقدم الغرب ليس بسبب المسيحية التى لا يلتزم بها.

(انظر : ابا عوض احمد والفارابي عبد اللطيف، الحركات الفكرية الادبية في الأدب العربي الحديث، الدار البيضاء ١٩٨٤).

ومنهم من دعا الى الجامعة الاسلامية مثل الافغاني ومحمد عبده، بينما اكتفى غيره بالتركيز على اهمية الحصول على المنافع العلمية من الغرب لزيادة المسلمين قوة ومناعة مثل الطهطاوي.

«انظر: تخليص الابريز في تلخيص باريز، والمرشد الامين في تعليم البنات والبنين»، بل وقاسم امين في كتابه «تحرير المرأة» الذى اعتمد فيه على افكار محمد عبده قبل أن يتأثر بافكار سبنسر وبعلم الاجتماع الغربي بشكل عام في كتابه الثاني «المرأة الجديدة».

(انظر : قاسم امين، الاعمال الكاملة، د. لويس عوض. المؤثرات الاجنبية في الأدب الحديث. القاهرة ١٩٦٦ ج ١ قضية المرأة ج ٢ الفكر السياسي والاجتماعي).

اما الاتجاه القومي الوطني الذى اتخذ ممثلوه مواقف قومية واسلامية حسب دياناتهم ونظروا الى مسألة التحرر من زاوية الشعور القومي الاسلامي مثل الكواكبي وغيره من الكتاب المسلمين والنصارى مثل اديب اسحق وغيره الى ضرورة التحرر الوطني من منطلقات قومية، بينما جسدت مجموعة اخرى من الكتاب الشعور بالانتماء للدولة العثمانية، وعلى الرغم من مساعي ابراهيم باشا الى فصل مصر عن تركيا وهو المشهور بقوله «ما انا بتركي، بل أنا ابن مصر. إن شمسها قد غيرت دمي فجعلتني عربيا قحا» ومع ذلك فقد بقي الأدب العربي يجسد الرابطة العثمانية كما هو واضح في شعر على الليثى شاعر الخديوي اسماعيل وعلى ابو النصر (ت ١٨٨٠ وعبد الله فكري ت ١٨٨٩) وعبد الله النديم (ت ١٨٩٦) وابراهيم المويلحي (ت ١٩٠٦) ومصطفى كامل (ت ١٩٠٨) وغيرهم مثل احمد شوقي وحافظ ابراهيم واسماعيل صبري واحمد نسيم ومصطفى الرافعي والكتاب النصارى مثل الشدياق الذي مدح السلطان عبد العزيز قائلا :

سر حيث شئت من البلاد فلا ترى
الا النعيم وما اشتهاه الناظر

وزيدان الذى قال في الأفغاني:

(إن الغرض الذي كان يصوب نحوه اعماله والمحور الذى كانت تدور عليه آماله توحيد كلمة الاسلام وجمع شتات المسلمين في حوزة دولة اسلامية تحت ظل الخلافة العظمي).

(تراجم مشاهير الشرق. مصر ١٩١٠، ج ٢، ص ٦١).

وسليم تقلا مؤسس الاهرام حيث قال عام ١٨٨٩م في الشعور بالانتماء للعثمانية:

«إن في ممالكها المحروسة عناصر عديدة بين تركية وعربية وارمنية ويونانية.. تجمعها كلها جامعة واحدة وطنية هي الجامعة العثمانية. وكانت وتكون الحصن الحصين للرعية دون اطماع الدول، وما وراءها إلا الخسران والضياع».

(يوسف صفير، مجالي لغرر، بعيدا ١٩٠٤، ص ٧٣).

بل إن فرح انطون (١٨٧٤ ـ ١٩٢٢م) هاجر الى مصر تواقا نحو الحرية ولكنه مع ذلك كان يشعر بالانتماء العثماني فاصدر عام ١٨٩٧م مجلته «الجامعة» العثمانية ودعا الى تأسيس مدارس عثمانية وطنية تعمل على تقوية «جدار الوطنية العثمانية ووقايته من الثلم والهدم». اما خليل مطران (ت ١٩٤٩م) فهو صاحب قصيدة «فتاة الجبل الاسود».

وما الترك الا فحول الحروب
رضيعو لظاها من المولد

والنماذج الشعرية والنثرية للكتاب العرب من النصارى والمسلمين التى عبروا فيها عن الانتماء العثماني كثيرة، ولكنها لم تكن في الوقت نفسه تقوم على حساب المشاعر الوطنية المصرية أو القومية العربية، إذ أن نفس هؤلاء الكتاب الذين اشرنا اليهم كانوا يدعون في الوقت نفسه الى الفكر الوطني والحكم اللامركزي وايدوا ثورة عرابي ووقفوا ضد الانجليز وكانوا خليطا من النصارى والمسلمين مثل اديب اسحق وعبد الله النديم اللذين ايدا ثورة عرابي.

ولابد من القول في ختام حديثنا عن التيارات الفكرية في العصر التنويري إن العديد من المواقف التى اتخذها الكتاب العرب تجاه الدولة العثمانية والحكومات والولاة بشكل عام كانت في اغلب الاحوال اما بسبب الاحباط أو الامر الواقع متمنين بتعاونهم مع السلطات العثمانية ان يتمكنوا من اصلاح الحالة والقيام بدورهم الاجتماعي والسياسي لا سيما وانهم لم يجدوا من الغرب واوربا بالذات غير محاولات التمزيق والغزو أو الهيمنة التى استمرت فترة طويلة في العصر الحديث ومازلنا نشهد قسما منها يتم إنجازه بطرق اكثر عصرية وتقدما من حيث «التكنيك والاعداد والاخراج».

الهوامش والملاحظات :

[*] يرى د. احمد هيكل بأن الادب العربي الحديث يبدأ من الحملة الفرنسية الى ما بعد ثورة ١٩٥٢م ويقسم هذه المرحلة الطويلة الى عدة فترات دون الاشارة الى فترة تخص التنويرية العربية بالذات إلا أنه يكرس فترة لولاية اسماعيل حتى ثورة عرابي (١٨٦٣ ـ ١٨٨٢م).

ويعتبر د. عمر الدسوقي الحملة الفرنسية بداية الأدب الحديث، بينما نجد أن العديد من مؤرخي الأدب العربي الحديث اعتبر منتصف القرن التاسع عشر بداية لكتبهم ولم يميزوا بين التنويرية والنهضة.

انظر : د. عمر الدسوقي، تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر الى قيام الحرب الأولى، وكتابه المعروف: (في الأدب الحديث) جزءان، القاهرة ١٩٨٠م وطبعات اخرى مختلفه، د. عبد الرحمن ياغي، حياة الأدب الفلسطيني، د. سامي الكيالي، الادب العربي المعاصر في سوريا (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠م).

وهناك كتب كثيره أرخت للادب العربي الحديث كله مثل: (انيس المقدسي، اتجاهات الأدب الحديث، انور الجندي، النثر العربي المعاصر ١٨٤٠ ـ ١٩٤٠م).

واعتبر ميكال في كتابه «الادب العربي، تونس ١٩٧٣م» الحملة الفرنسية بداية الانبعاث التى تبلورت في فكر الطهطاوي (١٨٠١ ـ ١٨٧٣م) وفي عهد محمد علي باشا.

ونشير الى كتاب «الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث» للدكتور محمد الكتاني الذى ميز بين عصري الانبعاث والنهضة معتبرا كتاب «الوسيلة الأدبية» للشيخ حسين المرصفي أبرز علامه في مرحلة الانبعاث ورائدها البارودي. تميزت «الوسيلة الأدبية» عن الكتب النقدية القديمة من حيث اسلوبها الجديد في دراسة البلاغة التى اصبحت لدى المرصفي وسيلة لمعرفة الصور الأدبية وليست غاية بحد ذاتها، وانتقد القدامي والمعاصرين في طريقتهم لدراسة البلاغة: هذا يشبه كذا، أو استعار كذا لكذا، ورأى أن الناقد يجب

أن يعين القارىء في الوقوف على مواطن الحسن في الكلام، إلا أنه رفض الخروج عن الأصول في ميدان اللغة العربية، ومع ذلك يعد مجددا في مجاله، فهو الذي قال: «ليس كل ما فيه الكاف أو كأن يعد في نظر اهل صناعة الكلام.. تشبيها، وانما التشبيه ما جلت فائدته وحسن موقعه من غرضه.. «الوسيلة الادبية» حسين ج٢ ص١٧.

ويقسم بروكلمان الأدب العربي الى خمس مراحل يسمي الاخيرة منها بالأدب الحديث و«مرحلة البعث السوري اللبناني المصري من القرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر»، ويسميها نالينو « البعث الأخير من ظهور محمد علي ١٨٠٥م حتى العصر الحالي».

اما نيكلسون فانه يعتبرها ممتدة «من الفتح المغولي حتى عصرنا الحاضر»، ويميل شارل بيلا الى تسميتها بـ «عصر البعث من الحملة الفرنسية».

ويميز اغلب المستشرقين الروس مثل كريمسكي وهو من المستشرقين الاوائل والذي سمى المرحلة الأخيرة بـ «الانبعاث» ، وكراشكوفسكي ودولينينا وغيرهم بين الأدب الحديث والانبعاث أو مرحلة اليقظة العربية من جهة والتنويرية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من جهة اخرى، ومنهم من كرس بعض مقالاته وبحوثه لكل مرحلة من هذه المراحل.

وقد وقع معظم مؤرخي الأدب بخطأ ربط الحركة الأدبية واتجاهاتها بالاحداث السياسية بطريقة ميكانيكية لا تميز بين الحدث السياسي والعامل الفكري أو الايديولوجي وبين الثانوي والرئيس.

أهم المصادر والمراجع حسب ذكرها في النص :

١ ـ د. احمد هيكل، تطور الادب الحديث في مصر منذ اوائل القرن التاسع عشر الى قيام الحرب العالمية الاولى ١٩٧١.

٢ ـ د. عمر الدسوقي . في الأدب الحديث، القاهرة، جزءان ١٩٨٠ وطبعات اخرى.

٣ ـ د. سامي الكيالي، الادب العربي المعاصر في سوريا ١٨٥٠ ـ ١٩٥٠، القاهرة.

٤ ـ د. عبد الرحمن ياغي، حياة الادب الفلسطيني.

٥ ـ كارل بروكلمان تاريخ الادب العربي، القاهرة ١٩٧٤، ترجمة عبد الحليم النجار.

٦ ـ انور الجندي، النثر العربي المعاصر (١٨٤٠ ـ ١٩٤٠).

٧ ـ اندريه ميكال، الادب العربي، تونس ١٩٧٩.

٨ ـ د. محمد الكتاني ، الصراع بين القديم والجديد في الادب العربي الحديث، الرباط ١٩٨٢.

٩ ـ د. عطية عامر، دراسات في الادب العربي الحديث، تونس ١٩٧٠.

١٠ ـ د. حلمي مرزق، مقدمة في دراسة الأدب الحديث، بيروت ١٩٨٠.

١١ ـ ليفين ز.ي. سمات التنويرية العربية في القرن التاسع عشر، مسائل الفلسفة. العدد ٦ ـ ١٩٥٦.

١٢ ـ دولينينا، أ. سمات التنويرية في الشرق العربي، ابحاث مؤتمر المعاهد حول تاريخ أدب الشرق الاجنبي، موسكو ١٩٧٠.

١٣ ـ كراشكوفسكي، الادب العربي الحديث الاعمال الكاملة ج٣ ـ ١٩٣٥.

١٤ ـ الاعمال الكاملة للطهطاوي، محمد عبده، الافغاني، الكواكبي، على مبارك، قاسم امين، المنفلوطي، علي يوسف، خير الدين التونسي، بطرس البستاني، سليم البستاني، احمد فارس الشدياق وغيرهم.

١٥ ـ مارون عبود. رواد النهضة الحديثة، بيروت ١٩٥٢.

١٦ ـ بطرس البستاني. فرح انطون، تاريخه، ادبه، مقتطفات من السيرة، بيروت ١٩٥١، وانظر اعماله الموسوعية الاخرى وقواميسه التى اشرنا اليها.

١٧ ـ فرح انطون، القدس الجديدة، الاسكندرية ١٩٠٤.

١٨ ـ عبد الرحمن الجبرتي. عجائب الاثار في التراجم والاخبار، القاهرة.

وهناك كتب اخرى وردت في النص ولا نرى ضرورة لذكرها لا بالنسبة للقارىء المتخصص ولا الاعتيادي.

القبائل البائدة كما أرخها القرآن الكريم

لعل الحديث عن الأمم الغابرة، من الأشياء التى يحلو الحديث عنها بين الفينة والأخرى، وخاصة إذا ما استعيدت في شبه تسلسل تاريخي، مما يخلق بلبلة بين المتلقين وخاصة من أولئك الذين لا يستطيعون النظر في الأمر وتحرير الرأي فيه، بل إن التركيز على بعض أسماء هذه الأمم واستعمالها ضمن إطار تاريخي ينزل بها إلى الفترة التاريخية من حضارة الجزيرة العربية يجعل الباحثين في اضطراب فكري يبعد بهم عن الفترة التاريخية الحقيقية لهذه الأمة أو تلك، نتيجة لجهل أو عدم اهتمام أو عصبية أو اعتماد الحدث على الأسطورة دون عرض الأحداث على مشرط النقد التاريخي للنص أسلوباً ومضموناً.

وفي حديثنا هنا عن الأمم الغابرة سوف نعتمد على القرآن الكريم كمصدر تاريخي نستمد منه الإطار الزمني لتلك الأمم لأنه الأصدق، ونجد أن كثيراً مما جاء فيه ينفرد به عن التوراة، وخاصة عندما تحدث عن عاد وثمود، وهذا مما تنبه إليه المفسر الطبري عندما نقل تراث عصره عن ثمود وكأنه بالماحته هذه كان يريد أن يستند بما يأتي به الأحبار من أخبار، وما تختزنه القصاص أو الإخباريين.

وقد يرى البعض أن القرآن إنما يستفاد منه لأشياء أخرى غير التاريخ ولكنني أشعر أن التاريخ إنما هو حدث وزمان ومكان، وعندما نجد أن القرآن يتحدث عن الحدث بكل تفصيل وعن الزمان بأدوات التاريخ المعتادة مثل (قبل وبعد وقروناً بين ذلك كثيراً) أصبح علينا عندئذ أن نبحث عن المكان، وحتى هذا يمكن أن نستنتجه من السرد للحدث، بل ويذكره القرآن كما هو الحال في الربط بين ثمود والحجر وبذلك تتم أركان الاحتجاج بالقرآن مصدراً تاريخياً لأحداث كثيرة تتمشى مع ما وصل إلينا من أخبار عنها عن غير سبيل القرآن، أو قد تختلف عنه.

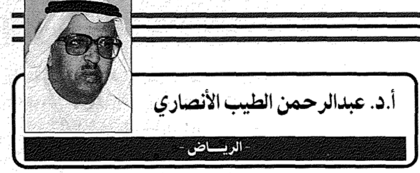
وهنا نجد القرآن يربطنا بفترة تاريخية تجعلنا نعيد النظر فيما تعودنا على ترديده دون الوقوف ولو للحظة لنتساءل لماذا؟.

وإذا ما استعرضنا آيات من كتاب الله من سور مختلفة نجد الآتي:

ففي السورة السابعة منه وهي سورة الأعراف، يبدأ القرآن الكريم من الآية التاسعة والخمسين وحتى الآية الثالثة بعد المائة بالحديث عن أقدم الأمم التى كفرت برسالاته وآذت أنبياءه ورسله، وهنا نلتقي بما حدث لقوم نوح إذ بعد صراع طويل بين الإيمان والكفر يغرق الله الذين كفروا بآياته وينجي المؤمنين.

ثم ينتقل الحديث الى عاد وأخيهم هود وتأتي بعض التفاصيل عن الحوار بين هود وقومه، ويسرد هود ما أنعم الله به على قومه عاد، ومما يشيد به القرآن ويركز عليه تذكيرهم بأن أنعم عليهم بأن جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح، وهنا نتوقف عند هذه البعدية فهل هي ضمن تسلسل تاريخي؟ لا داعي لأن نقرر هذا الآن فالآيات كثيرة وستأتي تباعاً في الآيات التالية وفي غير هذه السورة، وانتهى قوم عاد وقطع الله دابر الذين كفروا بآياته وما كانوا مؤمنين.

ثم ينتقل بنا القرآن الكريم الى ثمود وأخيهم صالح فيتحدث عن الأحداث التى جرت والناقة التى كانت تتحدى ثمود برعيها وشربها ثم يمن الله عليهم بأن جعلهم خلفاء من بعد عاد وأنه بوأهم في الأرض ولعل القرآن الكريم هنا يمن عليهم بأنه أنزلهم منازل هي منازل عاد نفسها مما لم يشر إليه عند ذكر ما من به على قوم عاد من أنه جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح. وهكذا يسير القرآن في وصف ما



أ.د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري

- الريـــاض -

حدث لناقة صالح حيث عقروها فأخذتهم الرجفة وأصبحوا في دارهم جاثمين.

ثم ينتقل القرآن الكريم الى الحديث عن قوم لوط ولم يسم هؤلاء القوم ولذا فنحن نجهل من هم؟ ولكننا نعرف أن الله قد أرسل إليهم نبيه لوطا، فآمن به من آمن إلا امرأته كانت من الغابرين.

ثم تحدث القرآن بعدئذ عن مدين وأخيهم شعيب فنعرف هنا أن مدين اسم لأمة بداية ثم لعله أصبح اسما للمكان الذي كانوا فيه. وقد توسع القرآن الكريم في الحديث عن أحداثهم مع شعيب عليه السلام ثم يتوسع القرآن الكريم في العلاقة بين الكفر وما يصيب الكافرين نتيجة لذلك، وكيف أنه لو آمن أهل القرى لفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض، ثم نستخلص من هذا السرد الإيماني أن الله سبحانه وتعالى قص على نبيه محمد عليه السلام أنباء هذه القرى لكي يسري عنه لقاء ما يجده من عنت ونصب في سبيل الدعوة.. ونلاحظ هنا أن القرآن الكريم لم يكرر ما سبق أن ذكره بالنسبة لقوم عاد مَن أنه مَنَّ عليهم بأن جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح وكذلك ما ذكره بالنسبة لقوم ثمود بأنه من عليهم بأن جعلهم خلفاء من بعد قوم عاد، عندما أخبرنا عن قوم لوط وعن مدين وعن شعيب، ولكننا لكي لا نفقد التسلسل التاريخي للزمان بدأ الله عز وجل حديثه عن موسى بقوله تعالى: **{ثم بعثنا من بعدهم موسى}** أي من بعد كل هؤلاء قوم عاد وثمود ولوط ومدين فتحققت بذلك البعدية الزمنية فأصبح لدينا تسلسلا تاريخياً زمنياً يبدأ بنوح وينتهي بموسى.

أما في السورة الحادية عشرة وهي سورة هود فقد بسط الله قصص هؤلاء الأنبياء والرسل مع أقوامهم من الآية ٢٥ وحتى الآية ١٠٠ أي في ٧٥ آية فبدأ بنوح وحواره مع قومه ثم أمر الله له بصناعة السفينة ثم الطوفان ونجاة من آمن معه إلا ابنه، ثم أردف الحديث بعد نوح عن عاد وأخيهم هود وختم حديثه عنهم بقوله تعالى: (سورة هود الآية/ ٦٠) **{ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود}**.

ثم تحدث القرآن الكريم عن ثمود وأخيهم صالح وختم حديثه عنهم بقوله تعالى: **{ألا إن ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود}** (سورة هود الآية/٦٨). ثم تحدث الله عز وجل عن سيدنا ابراهيم وتحدث عن البشرى التى كانت تحملها الملائكة له ولزوجه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب وقرن الله عز وجل الحديث عن ابراهيم بالحديث عن قوم لوط لأنهما متعاصران.

ثم تحدث القرآن الكريم في السياق التاريخي الذي ورد في سورة الأعراف عن مدين وأخيهم شعيب ولكن الله عز وجل هنا وضح الترادف التاريخي في آية واحدة ٨٩ في قوله تعالى: **{ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد}** فهل كان المدينيون معاصرين لقوم لوط في الزمان أو مجاورين لهم في المكان؟!! يبدو ذلك والله أعلم.

وختم القرآن الكريم حديثه عن مدين بقوله تعالى: **{كأن لم يغنوا فيها ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود}**، ثم تلي ذلك قصة موسى عليه السلام ورسالته الى فرعون ثم ختم حديثه عن كل ذلك بقوله تعالى لنبيه محمد [صلى الله عليه وسلم] **{ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد}** فبعض هذه القرى لا يزال قائماً وبعضها قد حصدته الأيام فلم يبق منها شيء.

أما في السورة الثالثة عشرة وهي سورة ابراهيم فقد جاء فيها آيتان ذكر الله فيهما على لسان موسى عليه السلام: **{ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم}** الى آخر الآية، فهذه الآية تجمع بين القبلية والترتيب الزمني لهذه الأقوام، أليس هذا تاريخاً؟.

وفي السورة الثانية والعشرين وهي سورة الحج تأتي ثلاث آيات هي قوله تعالى: **{وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود(٤٢) وقوم ابراهيم وقوم لوط(٤٣)**

وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير(٤٤)}.

وهنا تجد ثبتا وتسلسلا واضحاً بالقبلية والترتيب الزمني منذ نوح الى موسى.

وفي السورة الخامسة والعشرين وهي سورة الفرقان يبين لنا القرآن الكريم حقيقة أخرى تفيد في تصورنا للإطار الزمني لتاريخ هذه الأمم ومن ثم تاريخ الجزيرة العربية وهي قوله تعالى: **{وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا}** مما يفهم من هذه الآية أن التسلسل الزمني ليس مترابطاً أمة تلو أخرى لكن هناك قرونا بين ذلك، فكم هي هذه القرون؟.. تلك هي القضية وذلك هو ما يجب أن يبحثه ويحققه علماء ما قبل التاريخ أو ما قبل الكتابة.. إذ يرى البعض أن كل ما مر على البشرية تاريخ، وما الكتابة إلا ظاهرة من ظواهر التاريخ عبر بها الإنسان عن نفسه كما عبر عنها بوسائل أخرى فيما قبل ذلك وحتى بعد الكتابة.

وحتى الفراعنة كانوا على علم أو بعض علم بما جرى قبلهم من أحداث لها صلة بالكفر والإيمان ونتائجهما ونجد ذلك في السورة الأربعين وهي سورة غافر حكاية عن حوار ونصيحة أسداها المؤمنون من آل فرعون إلى أتباعهم إذ يقول أحدهم: **{وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب(٣٠) مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد(٣١)}.**

بعد هذا الاستعراض للآيات التى تضمنت الحدث والزمان وربما المكان أيضاً نصل الى تسلسل الأمم وهو كما يلي:

١ - قوم نوح.

٢ - قوم هود (عاد).

٣ - قوم صالح (ثمود).

٤ - قوم إبراهيم + قوم لوط.

٥ - قوم شعيب (مدين).

٦ - موسى عليه السلام (فرعون وقومه).

فإذا عرفنا حسب ما اتفق عليه المؤرخون أن سيدنا ابراهيم - عليه السلام - كان في بداية الألف الثاني قبل الميلاد ١٨٠٠ ق.م وأن سيدنا موسى عليه السلام كان في نهاية الألف الثاني قبل الميلاد ١٢٠٠ ق.م وبينهما قرابة ٦٠٠ سنة فإن قوم صالح (ثمود) كانوا في الألف الثالث قبل الميلاد وهذا على أقل تقدير إن لم نأخذ في الاعتبار قوله تعالى في سورة الفرقان **{وقرونا بين ذلك كثيرا}**. وهنا نصل الى حقيقة ثابتة وهي أن ثمود قوم صالح هم أصحاب الحجر كما أن هناك حقيقة ثابتة أن وجودهم كان في الألف الثالثة قبل الميلاد وربما قبل ذلك.

إذن فمن هؤلاء الثموديون الذين تتحدث عنهم الكتابات المسمارية في الألف الأول قبل الميلاد؟!! ومن هم هؤلاء الثموديون الذين تحدثت عنهم الكتب الكلاسيكية؟!! ومن هم هؤلاء الثموديون الذين بُنى لهم معبد روافة؟ ولكن لماذا لم تتحدث التوراة عن عاد وثمود؟!! وهل النص المسند الذي كتب من سطر واحد على الجانب الأيمن لنص رقوش في الحجر والذي يعود الى يوليو سنة ٢٦٧م كتب ليقرأه ثموديون؟!!.

وهذا ما سنتحدث عنه إن شاء الله تعالى في بحث قادم ..

(نصوص من القرآن الكريم)

١ـ سورة الأعراف (٧) :

{لقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرُهُ إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم(٥٩) قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين(٦٠) قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسولٌ من رب العالمين(٦١) أُبَلِّغُكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون(٦٢) أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون(٦٣) فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عَمين(٦٤) وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون(٦٥) قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين(٦٦) قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين(٦٧) أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين(٦٨) أوعجبتم أن جاءكم ذكْرٌ من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون(٦٩) قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبدُ آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين(٧٠) قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نَزَّل الله

بهـا من سلطان فـانتظروا إني مـعكم من المنتظرين(٧١) فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين(٧٢) وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكُلْ في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم(٧٣) واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين(٧٤) قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بما أُرسلَ به مؤمنون(٧٥) قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون(٧٦) فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين(٧٧) فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين(٧٨) فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين(٧٩) ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين(٨٠) إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون(٨١) وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون(٨٢) فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين(٨٣) وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين(٨٤) وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين(٨٥) ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً واذكروا إذ كنتم قليلا فكَثَّركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين(٨٦) وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أُرسِلْتُ به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين(٨٧) قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعُودُنَّ في ملتنا قال أولو كنا كارهين(٨٨) قد افترينا على الله كذباً إن عُدْنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين(٨٩) وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذا لخاسرون(٩٠) فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين(٩١) الذين كذَّبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين(٩٢) فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين(٩٣) وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون(٩٤) ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وَّقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون(٩٥) ولو أن أهل القرى آمنوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون(٩٦) أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون(٩٧) أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون(٩٨) أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون(٩٩) أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون(١٠٠) تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين(١٠١) وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين(١٠٢) ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وَمَلإِيْه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين(١٠٣)}.

٢- سورة هود (١١) :

{ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه إني لكم نذير مبين(٢٥) أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم(٢٦) فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أَرَاذِلُنَا باديَ الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين(٢٧) قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعُمِيَتْ عليكم أنُلْزِمُكُمُوها وأنتم لها كارهون(٢٨) ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون(٢٩) ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون(٣٠) ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يُؤْتِيَهُمُ الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين(٣١) قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين(٣٢)

قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين(٣٣) ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصحَ لكم إن كان الله يريد أن يُغْوِيَكُمْ هو ربكم وإليه ترجعون(٣٤) أم يقولون افتراه قل إن افتريته فَعَلَيَّ إجرامي وأنا بريء مما تُجْرِمُون(٣٥) وأُوحيَ إلى نوح أَنَّه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون(٣٦) واصنع الفلك بأعيننا ووَحْينَا ولا تُخَاطِبْني في الذين ظلموا إنهم مغرقون(٣٧) ويصنع الفلك وكلما مر عليه مَلأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون(٣٨) فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يُخْزيه ويَحلُّ عليه عذاب مقيم(٣٩) حتى إذا جاء أمرنا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلنا احمل فيها من كُلٍ زوجين اثنين وأهْلَكَ إلا من سَبَقَ عليه القولُ ومن آمن وما آمن معه إلا قليل(٤٠) وقال اركبوا فيها بسم الله مَجْراها ومُرْساها إن ربي لغفور رحيم(٤١) وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادي نوح ابنه وكان في معزل يا بُنَيَّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين(٤٢) قال سَئَاوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رَّحِمَ وحال بينهما الموج فكان من المغرقين(٤٣) وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقُضيَ الأمر واستوت على الجودي وقيل بُعْداً للقوم الظالمين(٤٤) ونادى نوح ربه فقال إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكمُ الحاكمين(٤٥) قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين(٤٦) قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين(٤٧) قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُم ثم يَمَسُّهُم منا عذاب أليم(٤٨) تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمُها أنت ولا قومُك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين(٤٩) وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرُهُ إن أنتم إلا مفترون(٥٠) يا قوم لا أسألُكُم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون(٥١) ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويَزِدْكُم قوة إلى قوتكم ولا تتولَّوا مجرمين(٥٢) قالوا يا هودُ ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين(٥٣) إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أُشْهِدُ الله واشهدوا أني بريء مما تشركون(٥٤) من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تُنظرون(٥٥) إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم(٥٦) فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلتُ به إليكم ويستخلفُ ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئاً إن ربي على كل شيء حفيظ(٥٧) ولَمّا جاء أمرنا نجّينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ(٥٨) وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعَصَوْا رُسُلَه واتبعوا أمر كل جبار عنيد(٥٩) وأُتْبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بُعْدا لعاد قوم هود(٦٠) وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرُهُ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب(٦١) قالوا يا صالح قد كنت فينا مَرْجُواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب(٦٢) قال يا قوم أرأيتم إن كنتُ على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرُني من الله إن عصيته فما تَزيدُونَني غير تخسير(٦٣) ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكُلْ في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخُذَكُم عذاب قريب(٦٤) فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب(٦٥) فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز(٦٦) وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين(٦٧) كأن لم يَغْنَوا فيها ألا إن ثمودَ كفروا ربهم ألا بُعداً لثمود(٦٨) ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبُشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حَنيذ(٦٩) فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرَهُم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا الى قوم لوط(٧٠) وامرأته قائمةٌ فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب(٧١) قالت يا وَيْلَتَي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إنَّ هذا لشيء عجيب(٧٢) قالوا أتعجبين من أمر الله رحمتُ الله وبركاتُهُ عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد(٧٣) فلما ذهب عن ابراهيم الرَّوعُ وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط(٧٤) إن إبراهيم لحليم أواه منيب(٧٥) يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود(٧٦) ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب(٧٧) وجاءه قومُهُ يُهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهرُ لكم فاتقوا الله ولا تُخْزون في ضيفي

أليس منكم رجل رشيد(٧٨) قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد(٧٩) قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد(٨٠) قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب(٨١) فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود(٨٢) مُسَوَّمة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد(٨٣) وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط(٨٤) ويا قوم أَوْفُوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين(٨٥) بَقِيَّتُ الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ(٨٦) قالوا يا شعيبُ أصلواتُك تأمُرُك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد(٨٧) قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب(٨٨) ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثلُ ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد(٨٩) واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود(٩٠) قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز(٩١) قال يا قوم أَرَهْطي أعزُّ عليكم من الله واتخذتموه وراءَكُم ظِهْرِيا إن ربي بما تعملون محيط(٩٢) ويا قوم اعملوا على مكانَتكُم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يُخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا إني معكم رقيب(٩٣) ولما جاء أمرنا نَجَّيْنا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأَخَذَت الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين(٩٤) كأن لم يَغْنَوا فيها ألا بُعدًا لمدين كما بعدت ثمود(٩٥) ولقد أرسلنا موسى بآيتنا وسلطان مبين(٩٦) إلى فرعون ومَلَإِيْه فاتبعوا أمر فرعون وما أمرُ فرعون برشيد(٩٧) يَقْدُمُ قومَه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الوِرْدُ المورود(٩٨) وأُتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفدُ المرفود(٩٩) ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد(١٠٠)}.

٣ـ سورة إبراهيم (١٣) :

{وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغنيٌّ حميد(٨) ألم يأتكم نبأُ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمودَ والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فَرَدُّوا أيديَهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب(٩)}.

٤ـ سورة الحج (٢٢):

{وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود(٤٢) وقوم إبراهيم وقوم لوط(٤٣) وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير(٤٤)}.

٥ـ سورة الفرقان (٢٥):

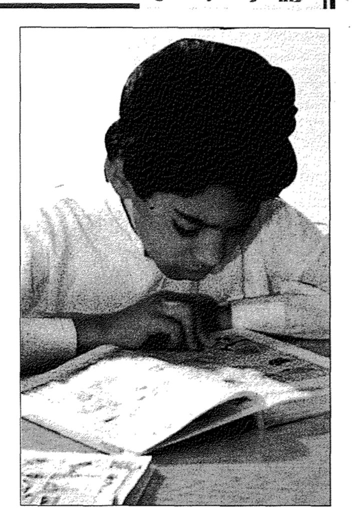
{وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا(٣٨)}.

٦ـ سورة غافر (٤٠) :

{وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب(٢٨) يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد(٢٩) وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب(٣٠) مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد(٣١)}.

٧ـ سورة الفجر (٨٩):

{والفجر(١) وليال عشر(٢) والشفع والوتر(٣) والليل إذا يسر(٤) هل في ذلك قسم لذي حجر(٥) ألم تر كيف فعل ربك بعاد(٦) إرم ذات العماد(٧) التى لم يخلق مثلها في البلاد(٨) وثمود الذين جابوا الصخر بالواد(٩) وفرعون ذي الأوتاد(١٠) الذين طغوا في البلاد(١١) فأكثروا فيها الفساد(١٢) فصب عليهم ربك سوط عذاب(١٣) إن ربك لبالمرصاد(١٤)}.



علم النفس التربوي.. والتحصيل الدراسي

يعد الأمريكي لايتنرويتمر مؤسس علم النفس المدرسي.. بعد حصوله على الدكتوراه قام بإدارة مختبر نفساني. وقد استهل عمله بالتركيز على الأطفال الذين يعانون من صعوبات في التعلم. وفي عام ١٩٠٤م قام كل من العالمين الفرنسيين الفردبينه وتوفايل سايمون بوضع اختبار يهدف إلى التعرف على الأطفال ضعيفي التعلم. وقد تعزز دور علم النفس التربوي في الحياة بسبب إقبال عدة قطاعات حيوية على خدماته كمحاكم الأحداث والمدارس. وبخصوص هذه الأخيرة يمكن القول إن علم النفس التجريبي عمل على تزويد البيداغوجيا بالعديد من المفاهيم الشائعة حاليا مثل: الإحساس، الإدراك، الحاجات والدوافع، التذكر والنسيان. وتجدر الإشارة الى أن علم النفس المدرسي يقوم على افتراض مفاده كلما «اكتشفت المشكلة بشكل أسرع سهلت معالجتها. وكلما كانت المعالجة قريبة زمنيا من حدوث المشكلة تكون فرصة نجاح المعالجة أفضل»[١].

والمقصود بالمشكلة: التفاوت بين مستوى أداء التلميذ ومستوى الأداء المنشود.. وهناك من يعرفها بأنها: تناقض ذو دلالة بين السلوك الملاحظ والسلوك المتوقع. ويتفق معظم رجال التربية على أن تحديد المشكلة بدقة وفعالية هو أول خطوة من شأنها المساهمة في حلها .

- **ما هي العوامل المساهمة في حدوث المشكلة؟.**
- **كيف ترتبط هذه العوامل مع بعضها البعض؟.**
- **ما هي السبل الكفيلة بحل المشكلة؟.**
- **هل المدرسة بمفردها قادرة على حل المشكلة أم أنه يجب تضافر جهود الأسرة والمدرسة معا؟.**

هناك عدة نماذج لحل المشكلة، وسنكتفي

باستعراض نموذجين هما: (نموذج بيرجن Bergan) ، ونموذج جتكن Gutkin).

قدم بيرجن سنة ١٩٧٧م أربع مراحل أساسية لنموذج حل المشكلة هي:

١ - **تحديد المشكلة وتعريفها**:[*] إن الخطوة الأولى لحل المشكلة تكمن في مواجهة الفرد لها ومعرفة حدودها وحجمها.

٢ - **تحليل المشكلة**: يقوم المدرس بتحليل العوامل المسببة لتلك المشكلة.

٣ - **تنفيذ الخطة**: يقوم المدرس أو المرشد أو هما معا بتقديم بعض الأفكار والحلول الكفيلة بتجاوز مضاعفات المشكلة.

٤ - **تقويم المشكلة**: إن الفائدة من هذه المرحلة تتمثل في التأكد من نجاعة الوسائل المتبعة في حل المشاكل وتعديلها عند الضرورة حتى يتم التوصل إلى الحل.

أما نموذج (جتكن) فيتكون من سبع مراحل أساسية هي:

١ - **تحديد المشكلة وتعريفها.**

٢ - **تحديد القوى والعوامل المتصلة بالمشكلة.**

٣ - **وضع استراتيجيات بديلة**: المقصود بها هو إتاحة الفرصة للفرد كي يذكر كل ما يخطر على باله من أفكار وآراء تتعلق بموضوع الهدف، بهدف إثرائه والوصول إلى حلول فعالة.

٤ - **الاختيار بين مجموعة بدائل**: يجب على المدرس أو المرشد أن يراعي بأن التلميذ جزء من الفصل وجماعة الأصدقاء والأسرة والمجتمع والبيئة الطبيعية.

٥ - **تحديد مسؤوليات المدرس أو المرشد والتلميذ**: يجب مناقشة جميع جوانب المشكلة من خلال تضافر جهود كل من المدرس والمختص النفسي أو المرشد ومعرفة دور كل واحد منهما، ويجب مراعاة متى وأين وكيف تتم معالجة المشكلة. ما هو التوقيت المناسب للتدخل الفعال؟ هل ستحدث المعالجة في المنزل أو الفصل أو هما معا؟ ما هي السبل الكفيلة بتحقيق النجاح في المهمة المنشودة؟.

٦ - **تنفيذ الاستراتيجية التى وقع عليها إجماع الفاعلين التربويين**: يواجه المدرس أو المرشد عدة

د. مولاى المهدى هيبه

المغرب

صعوبات سواء عندما يكون بصدد تجريب بعض الاستراتيجيات أو عندما تخيب آماله بسبب فشل الاستراتيجية المتبعة أو بسبب كون الوقت غير كاف لحل المشكلة. وهذا يقتضي نوعا من التتبع المستمر قصد تجاوز الثغرات والصعوبات الآنفة الذكر.

٧ - **تقويم فعالية الإجراءات والخطوات المتبعة في الاستراتيجية السابقة الذكر**: إذا تأكد المدرس أو المرشد بأن الاجراءات التى قام بها قليلة الفعالية فإنه مطالب بتعديل الاجراء الذى لاحظ فيه خللا ما أو تغييره جذريا إذا اقتضى الأمر ذلك.

وتنبغي الإشارة إلى أن رجال التربية حاولوا في كل العصور إقصاء الأسباب التى تفضي إلى الفشل في التربية. وهذا هو السبب في أن كل (بيداغوجيا) هي مراقبة من طرف ما سماه (جان شاطو) سنة ١٩٦٢م الإمبريالية البيداغوجية «إننا جد متلهفين إلى إزاحة كل سبب للفشل إلى درجة الإصرار على وضع الأطفال ليلا ونهارا تحت الرعاية من أجل وقايتهم من التأثيرات الأجنبية»[٢].

وسنتطرق الآن لبعض المشاكل التى تعترض سبيل التلميذ، والتي تعد في نفس الآن مجالا خصبا لتدخل علم النفس المدرسي.

القلق والخوف من الامتحانات :

يمكن التمييز بين نوعين من القلق :

١ - **القلق السوي**: هو قلق عادي ومعقول، وهو نوع من الانفعال المصحوب بالحماسة والتفاؤل والرغبة الأكيدة في تحقيق النجاح، وبالتالي يمكن القول إن هذا النوع من القلق مستحب لأنه قد يساهم في تحقيق الأهداف المنشودة «ولذلك يقال بحق إن حضارة الإنسان هذه بكل ما فيها من انجازات ومكتشفات

ومخترعات وأنظمة وفلسفات وإبداعات فنية هي وليدة القلق ولكن القلق المتوسط القدر»[٣].

٢ ـ **القلق المرضي** : هو عبارة عن شعور بخوف متوقع، غير محدد، لا يرتبط بشيء بعينه. ويعرفه (جالاتين) بأنه انفعال غير سار يصاحبه شعور دائم بالخوف علما بأن مصادر هذا الأخير غير محددة. وقد يتزامن ذلك مع زيادة في ضربات القلب والعرق والرعشة وصعوبة في التنفس.

أما (انجلس) فيصف هذا النوع من القلق بأنه حالة انفعالية غير سارة. وتجدر الإشارة إلى أن سلوك الفرد الذي يعاني من القلق المرضي يتسم بالارتجال وكثرة الأخطاء لأنه يركز على قلقه محاولا التغلب عليه والتخفيض من حدته عوض التركيز على السبب الذي كان وراء حدوثه. تبعا لما سلف ذكره يمكن الجزم بأن التلميذ الذي يعاني من القلق الزائد عن الحد المعقول يخفق في استرجاع وتذكر المعلومات والمعارف السابقة.

**** حضارة الانسان بكل ما فيها من انجازات ومكتشفات، وليدة القلق.**

وقد لاحظ العديد من الباحثين في شؤون التربية والبيداغوجيا بأن هناك عدة عوامل تكمن وراء شعور التلميذ بالقلق منها طول المقررات (المناهج)، الاكتظاظ، وضع استعمالات الزمن من خلال تصور إداري يراعي الإكراهات المادية والطاقة الاستيعابية لقاعات الدرس ولا يأخذ بعين الاعتبار الجوانب التربوية، عادات التلميذ السلبية أثناء مراجعة الدروس. وهي النقطة التى ستحظى بالتحليل الآن.

عادات التلميذ السلبية أثناء مراجعة الدروس :

الاستذكار أو المراجعة معناها ترسيخ المعارف والمعلومات في الذاكرة، وإن «من تمام ترسيخ المعلومات وبناء المفاهيم وتملك المتعلم لها، وتجذرها في مخيلته هو قدرة هذا الأخير على تعميمها، وعلى تطبيقها في وضعيات جديدة»[٤].

والاستذكار يتأثر بعدة عوامل منها إحساس التلميذ بالتعب، انشغالاته، حبه أو نفوره مما يريد استذكاره، توفر الفضاء الذي يراجع فيه الدروس على شروط صحية ونفسية مريحة، بعيدة عن كافة عناصر التشويش الداخلي والخارجي.. واستنادا إلى مقال مشهور نشر سنة ١٩٥٦م أشار George Miller إلى أن الذاكرة لا تحتفظ سوى بسبع وحدات تقريبا (أرقام، كلمات، أصوات..) خاصة إذا تعلق الأمر بكلمات شائعة، ففي تجربة أنجزت في أحد المختبرات وطبقت على ٢١٠ تلميذا لوحظ بأن التذكر الفوري للائحة تتكون من ١٦ كلمة شائعة (كلب، وتد، شاحنة) كان هو ٦ر٩١ أي ما بين ٥ر٦ و٧ في المتوسط «هكذا وعلى الرغم من أن الذاكرة قصيرة المدى تمكننا من تخزين سبع كلمات فإننا سنعجز عن تذكر هذا العدد إذا تعلق الأمر بلغة أجنبية»[٥]. إن تفسير هذه الظاهرة يتمثل في كون المعلومات الجديدة تتشكل من خلال حركة مستمرة (ذهاب وإياب) بين الذاكرة طويلة المدى حيث يتم استرجاع هذه المعلومات والذاكرة قصيرة المدى التى تجمعها في تنظيم أو ترتيب جديد.

وتجدر الإشارة الى أن العالمين أتكنسون وشفرن لاحظا بأن الانتباه L'attention هو العملية المركزية

الأولى التى تفرز انتقال المعلومات من الذاكرة الحسية الى الذاكرة قصيرة المدى «أما عمليتا البحث والتكرار في الذاكرة قصيرة المدى، فهما اللتان تحددان انتقال هذه المعلومات الى الذاكرة طويلة المدى. كما تخضع المعلومات في الذاكرة طويلة المدى لعمليات بحث مهمة هي التى تحدد استرجاعها من هذا الخزان»[٦].

(ذاكرة حسية) ← الانتباه ← (ذاكرة قصيرة المدى) ← الإعادة والتكرار ← (ذاكرة طويلة المدى)

ويمكن إجمال العوامل التى تؤثر في الذاكرة في المراحل الثلاث التالية:

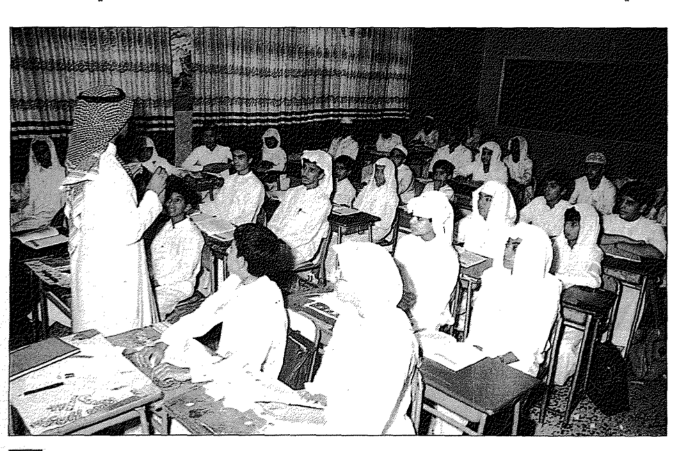
١ - **مرحلة الترميز أو الاكتساب**: يجري فيها اكتساب المعلومات الداخلة أولا على شكل آثار حسية سمعية أو بصرية، ثم تعالج في وقت لاحق بدرجة أعلى من ذلك حيث تتحول الى آثار على مستوى الذاكرة قصيرة المدى. أما إذا لم تكتسب فإنها تتعرض للتلاشي والاضمحلال.

٢ - **مرحلة الاحتفاظ أو التخزين**: تعرف لوفتش هذه المرحلة بأنها الفترة الزمنية التى تنقضي بين الحدث وإعادة جمع أجزاء خاصة من المعلومات المتعلقة به، وهذه الفترة الزمنية بالغة الحساسية لأنه حالما يتم اكتساب المثير والحدث تشرع عدة عوامل في التأثير فيه أما فيما يتعلق بالنسيان، فهناك نوعان:

أ - ***التلاشي أو الذبول السلبي***: يشمل هذا النوع من النسيان فترات قصيرة فقط، وهو مرتبط بالذاكرة قصيرة المدى، ويحدث بسبب غياب الانتباه.

ب - **التداخل الفعال** : يمتد هذا النوع من النسيان ليشمل فترات زمنية طويلة. وبالتالي فهو يرتبط بالذاكرة طويلة المدى. وهو يحدث عندما تكون معلومات أخرى حدثت قبل أو بعد المعلومات المستهدفة المطلوبة التى تداخلت معها.

وتجدر الإشارة الى أن حفظ الذاكرة للمعلومات يكون أفضل حين يكون الفاصل الزمني بين الاكتساب



والاسترجاع غير قصير.

ج ـ **مرحلة الاسترجاع** :

يعرف الاسترجاع بأنه عملية يتذكر فيها الشخص ما احتفظ به من معلومات، وهو حصيلة التفاعل المعقد بين طريقة اكتساب المعلومات والسياق الذي يحدث فيه الاسترجاع ، علما بأن هذا الأخير يتضمن إشارات وتلميحات تعد بمثابة مثيرات تستدعي المعلومات. ويكون الاسترجاع جيدا أو سيئا تبعا للشروط التى يتم فيها.

ويمكن إجمال عادات التلميذ السلبية فيما يلي :

- إهمال مراجعة الدروس باستمرار، الأمر الذي يؤدي إلى تراكمها. وبالتالي يحاول التلميذ مراجعتها دفعة واحدة في فترة وجيزة فيتعذر عليه الأمر بسبب النسيان والخلط.

- **الاعتماد على الحفظ الآلي** البعيد عن الفهم الصحيح.

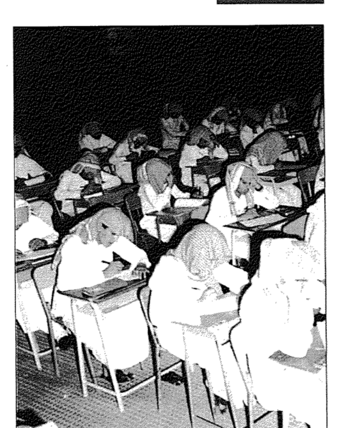
- **استصغار شأن بعض المواد** الدراسية وتأجيل مراجعتها الى فترة وجيزة سابقة للامتحان بدعوى أنها ثانوية.

- **الجنوح الى القراءة المتسرعة والسطحية.**

- **عدم وضع جدول زمني** فعال يجمع بين مراجعة الدروس وأخذ قسط من الراحة.

- **تعاطي المنبهات** والأقراص التى تسبب السهر. وبالتالي تضر بالصحة.

**** التحفيز من أهم شروط الاقبال على التعليم.**



وسأخصص ما تبقى من هذا العرض للحديث عن عوامل أخرى مؤثرة في التحصيل الدراسي وهي: (النسيان، انعدام التحفيز، الانتباه، الرتابة واستعمال الزمن).

- **النسيان** : هناك نظريات كثيرة تفسر النسيان:

أ ـ نظرية التلاشي والضمور:

ترى أن ذكرياتنا وخبراتنا تسجل في الدوائر الكهربائية والعصبية في المخ. وأن هذه الآثار المسجلة تزول أو تتلاشى تدريجيا مع مرور الزمن وخصوصا إذا لم تستعمل مرارا.

ب ـ نظرية التداخل :

لوحظ أن الفرد إذا نام بعد تعلمه مادة فإنه سيتذكرها بطريقة أوضح وأفضل من تعلمها أثناء النهار دون الخلود للنوم. وقد علل العلماء ذلك بأن تداخل أوجه النشاط والتعلم أثناء النهار وكثرة الأعمال الحركية والذهنية يؤثر في عملية التدعيم وبالتالي يسهل نسيانها.

ت ـ نظرية الكبت :

تستمد مرجعيتها من التحليل النفسي الذي يبين

بأن الحوادث المرتبطة بخبرات وذكريات مؤلمة يتم نسيانها لتفادي القلق الناجم عن تذكرها. تبعا لما سلف ذكره نلاحظ بأن النسيان عملية دفاعية لا شعورية تتيح الهروب من موقف يثير حالات وجدانية مؤلمة.

ث ـ النظرية الجشتالطية :

تؤكد هذه النظرية على دور التنظيم في تذكر المعلومات والمواد التى يتم تعلمها. وهذا يعني أن انعدام التنظيم يفضي إلى نسيانها وزوالها.

ويمكن إجمال العوامل التى تؤدي إلى النسيان في النقط التالية:

- **التعب** الناجم عن سوء تدبير زمن التعلم.
- **لا مبالاة التلميذ** وعدم اهتمامه بالتحصيل.
- **كتابة المعلومات** في الدفتر بشكل غير منتظم (انظر النظرية الجشتالطية التى تؤكد على دور التنظيم في تذكر المعلومات) والاقتصار على الكتابة بلون واحد الأمر الذي يحول دون تذكر الكلمات المفاتيح والجمل الرئيسية.
- **غموض المادة** العلمية وجنوح المدرس الى التسرع أثناء الشرح بسبب عدم تحضيره وتخطيطه للدرس بشكل جيد.
- **غياب العلاقة الوجدانية** بين التلميذ وما يدرسه أو يلقن له أي أن ما يدرسه التلميذ لا يثير اهتمامه.

وفي هذا الصدد أنجزت في الموسم الدراسي ٢٠٠١ ـ ٢٠٠٢م بحثا تحت عنوان «بيداغوجيا الدعم التربوي في خدمة الارتقاء بتعليم اللغة العربية وتيسير تعلمها» اتضح لي بعد تحليل الاستمارة التى وزعتها على تلاميذي ما يلي:

بلغت نسبة التلاميذ الذين يثير المنهاج الحالي اهتمامهم بدرجة كبيرة ٣٣ر٢٠٪ فقط، وبلغت نسبة الذين يثير اهتمامهم بدرجة متوسطة ٣٣ر٥٨٪، أما نسبة الذين يثير اهتمامهم بدرجة قليلة فقد بلغت ٨٣ر٢٠٪ ، وبالإضافة الى ما سلف ذكره صرح ٣٣ر٣٣٪ من التلاميذ بأن السر في كون درجة اهتمامهم بالمقرر متوسطة أو قليلة راجع الى طول المقرر، وأرجع ٣٣ر٣٣٪ منهم السبب إلى بعد المنهاج عن الواقع، وأرجع ٧٦ر٠٤٪ منهم السبب إلى طول المنهاج وبعده عن الواقع في نفس الوقت. وصرح ٥٢ر٠٩٪ منهم بأن السبب يرجع الى أن المنهاج ممل، وذهب ٢٢ر١٤٪ منهم الى أنه غير مفيد في حين ذهب ٧٦ر٤٪ منهم الى أنه صعب.

انعدام التحفيز :

هو حالة تتدنى فيها دوافع التعلم بحيث يفقد المتعلم الرغبة في التفاعل مع الدروس والارتقاء نحو الأحسن في مساره الدراسي الأمر الذي ينعكس سلبا على انتباهه واستيعابه الدروس. وبالتالي يفضي ذلك الى الإخفاق.

ومن خلال تجربتي المتواضعة في مجال التدريس لاحظت بأن هناك عدة مؤشرات تدل على انعدام التحفيز عند التلاميذ منها: (كثرة الالتفات الى الوراء، عدم المشاركة في الأنشطة المبرمجة في الفصل، عدم إحضار الكتاب المدرسي أو

**** حين يقصر الفاصل الزمني بين الاكتساب والاسترجاع تكون الذاكرة أوفر خصوبة للحفظ.**

الدفتر، عدم إحضار القلم، النظر الى الساعة باستمرار) الأمر الذى يوحي في عرف وتصور التلميذ، بأن الدرس طويل وممل، افتعال المشاكل مع الزملاء في الفصل قصد التشويش على من يريد الاستفادة من الدروس، السخرية من بعض الأجوبة قصد حمل أصحابها على الامتناع مستقبلا عن المشاركة في الأنشطة التعليمية والتعلمية تفاديا للإحراج.

وإذا تدبرنا مليا المؤشرات السابقة سيتضح لنا بأنها تفضي غالبا الى تفشي الشغب الذي قد يتطور بدوره ويؤدي الى ارتكاب العنف في حق أحد قطبي العملية التربوية أي المدرس أو التلميذ.

وتجدر الإشارة الى أنني لاحظت بأن بعض التلاميذ لا تبدو عليهم مؤشرات الارتياح والبهجة أو الاستياء والسخط عند حصولهم على علامات (نقط) جيدة أو متدنية. وبالتالي يمكن أن نستنتج بأن انعدام أو تدني تلك الانفعالات يندرج في إطار انعدام التحفيز. وهذا الأمر ليس هينا لأن العديد من الفاعلين التربويين أكدوا على أن التحفيز يعد من أهم شروط الإقبال على التعلم.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك عدة تعاريف عنيت بالتحفيز؛ فهناك من يعتبره حالة داخلية تثير سلوك التلميذ وتوجهه صوب تحقيق هدف معين، وهناك من يتحدث عن إثارة خارجية تصدر عن محيط الفرد وتقود سلوكه وتوجهه نحو موضوع أو شيء معين، والمقصود بالتحفيز إبان مطالبة التلميذ بأن يهتم بموضوع معين أنه كلما ارتفعت درجة الاهتمام، زاد الإقبال على هذا الموضوع واجتهد المتعلم في طلبه. وكلما ضعف هذا الاهتمام يتقلص ذلك الطلب. وسواء كان مصدر التحفيز داخليا أو خارجيا، وسواء كانت درجته عالية أو منخفضة «فإن عملية خلق حالة التحفيز ترتبط ارتباطا قويا بحاجات المتعلم المتنوعة، وبمدى قوة العلاقة بين تلك الحاجات وموضوع التعلم»[٧].

ذلك أن التلميذ يقبل فقط على تعلم الموضوعات التى تلبي حاجاته.

ويمكن إجمال أهم سلوكات الارتياح والمتعة التى تعكس وجود التحفيز في المؤشرات التالية:

- أن يبدي المتعلم إعجابه واهتمامه بموضوع التعلم.

- أن تظهر على محياه مؤشرات الارتياح والانشراح أثناء التعلم.

- أن يتطوع للقيام بأنشطة مرتبطة بالتعلم دون أن ينتظر تعيين المدرس له شخصيا للقيام بذلك.

- أن يتقبل ملاحظات المدرس بصدر رحب ويعمد الى تصحيح الأخطاء.

- أن يستمر في القيام بأعمال وأنشطة إضافية كالمساهمة في العروض وطرح الأسئلة والبحث عن المعلومات والتحضير القبلي للدروس.

تشتت الانتباه :

يمكن القول إن تدني الحوافز والدوافع يفضي الى تشتت الانتباه، وهذا الأخير ينعكس سلبا على التحصيل الدراسي. وبالتالي قد يكون من الأسباب التى تفضي الى الفشل المدرسي، ويعد الانتباه والتحفيز بمثابة شرطين أساسيين لإرساء دعائم الفترة الأولى من التعلم وفق أسس سليمة: ذلك أن توفر قدر أعلى من اليقظة والانتباه والرغبة في التعلم والتحصيل عند التلميذ يفضي الى تخزين المعلومات في الذاكرة بشكل جيد والعكس صحيح.

ومن خلال تجربتي المتواضعة لاحظت بأن التلميذات أكثر انتباها للدرس وأكثر دافعية ورغبة في التحصيل من الذكور، وقد يكون ذلك راجعا الى عوامل نفسية واجتماعية تتمثل في حرص الأنثى على إثبات ذاتها ورد الاعتبار لكرامتها بحكم أنه جرت العادة أن تفضل الأسرة العربية الذكور على الإناث. إن انخراط الأنثى في هذا المسار الإيجابي كان له بالغ الأثر على النتائج التى حصلت عليها في السنوات الأخيرة والتى بينت تفوقها على زميلها الذكر.

وتجدر الإشارة الى أن هناك عدة تعاريف لمفهوم الانتباه منها: أنه تركيز للنشاط العقلي على موضوع أو مهمة ما، اختيار وتهيىء ذهني أو توجيه الشعور

وتركيزه على شيء معين استعدادا لملاحظته أو التفكير فيه، علما بأن ذلك يكون مصحوبا بانتقاء المعلومات وإقصاء آلاف المثيرات الأخرى.

الرتابـــة :

إنها تؤثر سلبا على فعالية واستمرارية الانتباه؛ فإذا طالت مدة الانتباه أكثر من عشرين دقيقة دون أن يحدث أي تنوع في الوضعية التعليمية التعلمية فإن مستوى الانتباه يضعف ويفتر. ولهذا يجب على المدرس أن يأخذ هذا المعطى بعين الاعتبار وأن يبتكر وسائل وتقنيات تمكنه من إثارة انتباه المتعلم. منها على سبيل المثال: التنويع في طرح أسئلة دقيقة ومثيرة من شأنها خلق ما يشبه الصدمة قصد إثارة تفكير التلميذ ورفع درجة التحدي لديه، تقديم الدرس تارة في قالب سردي تلقيني وتارة أخرى في قالب إشكالي حواري، افتعال الاختلاف بين التلاميذ قصد دعم قدراتهم الحجية والاقناعية، ربط دروس المقرر (المنهاج) بمستجدات الواقع في أبعاده الاجتماعية والسياسية والفكرية.. تحسيس التلاميذ بين الفينة والأخرى بأن ما يقوله المدرس في لحظة زمنية معينة قد يطرح في أسئلة الامتحان وهذا الأمر من شأنه أن يرفع درجة الانتباه ويقلص من الرتابة.

استعمال الزمن وتأثيره في التحصيل الدراسي:

يلاحظ بأن المسؤولين عن قطاع التربية والتعليم في معظم الدول العربية لا يأخذون بعين الاعتبار هذا المعطى وهم يضعون استعمال الزمن (جدول الحصص)؛ فهم ينطلقون دائما من وجود إكراهات مرتبطة بقلة القاعات المخصصة للتدريس وكثرة التلاميذ وقلة الأطر التعليمية في بعض مواد الدراسة الأمر الذي يفضي الى عدم رضا قطبي العملية التعليمية والتعلمية (المدرس والتلميذ) عن توقيت دراسة بعض المواد وبالتالي إحساس المدرسين والتلاميذ بالغبن.

لقد أجمعت العديد من الدراسات على عدم انتظام وتيرة الاستيعاب والتحصيل طيلة أيام الأسبوع نتيجة عدم مراعاة الضوابط التربوية السليمة لإيقاع استعمال الزمن؛ ذلك أن أحسن توقيت صالح للتعلم في اليوم يتمثل في الساعات الثلاث الممتدة من الثامنة صباحا الى الحادية عشرة صباحا. أما في فترة ما بعد الزوال فإن التوقيت المناسب يتراوح بين الثالثة والخامسة مساء. وهذا يعني أن الحصص التالية المعتمدة في الإعدادي والثانوي:

(من ١١ صباحا الى ١٢/ - من الثانية زوالا إلى الثالثة/ - من الخامسة الى السادسة مساء كلها تندرج في إطار ما يصطلح عليه حاليا بهدر الزمن الدراسي.

لقد تنبهت بعض دول الشرق والخليج العربي منذ مدة زمنية طويلة الى أهمية الاكتفاء بحصص الصباح لكن بعض المسؤولين عن قطاع التربية والتعليم لازالوا مصرين على ارتكاب هذا الخطأ الفادح الذي يستفحل بسبب إصرارهم على طول المقررات الدراسية .. فبعد تجميع المعطات الخاصة بالسؤال التالي:

- كم في المائة تعتقد أنه

**** العلاقة الوجدانية بين التلميذ ومادة الدرس تقوي عنده رغبة الاستيعاب.**

يبقى في ذاكرتك من المعلومات التى درستها في العام الماضي؟.

اتضح بأن المتوسط الحسابي كان هو ٢٦ر٠٦٪ أي أن التلاميذ يظنون بأنهم يحافظون فقط على ربع المعلومات التى درسوها في الموسم الدراسي الماضي. وهذه النسبة المئوية جد متفائلة خاصة إذا علمنا بأن استفسار التلاميذ عن المعلومات التى درسوها في السابق يوحي بأن النسبة المئوية الحقيقية أقل من تلك التى صرحوا بها.

إن أهم عيب يعاني منه تعليمنا في وطننا العربي هو تغليب الكم على الكيف وشحن أذهان التلاميذ بمعارف ومعلومات سرعان ما تتبخر عقب انتهائهم من إنجاز الامتحان. ولهذا يجب تفادي كثرة المعلومات أو المهارات التى نود تلقينها، ويجب الاهتمام بالاستعمال الفعال للمعلومات المكتسبة. كلما كان الدرس أو المقرر طويلا «كلما مال التلميذ الى استظهار المعلومات بدون إعمال العقل والتفكير. وفي هذا الصدد يرى نيومان أننا نحصل على فائدة عظيمة إذا تناولنا مواضيع قليلة بعمق[8].

**** ربط الدروس بمستجدات الواقع في أبعاده الاجتماعية والفكرية تجعل الطالب اكثر رغبة في تعلمه.**

وقبل أن نختم هذا العرض سأقدم للتلاميذ الأعزاء هذه النصائح والتوجيهات التى من شأنها مساعدتهم على الاستذكار أو المراجعة السليمة للدروس.

- **ضرورة البدء بمراجعة الدروس** منذ بداية السنة الدراسية بشكل يتيح استذكارها في فترات زمنية متباعدة بحيث يتم التعلم بشكل موزع وليس بشكل مكثف؟ فهذا النوع من التعلم يزيد من معدل التذكر، علما بأن قراءة الدرس أو المادة الدراسية مرة واحدة في اليوم طيلة خمسة أيام مثلا يعطي احتفاظا في الذاكرة يعادل ثلاثة أضعاف ما قدمته قراءتها خمس مرات متتالية في اليوم.

- **اعتبار جميع المواد الدراسية مهمة**، بمعنى أن التلميذ مطالب بتسطير جدول زمني يمكنه من ايلائها ما تستحقه من اهتمام حتى لا يكون انشغاله بمواد معينة على حساب أخرى، علما بأن تفوقه في المواد الثانوية، الى جانب الرئيسية، قد يكون حاسما في حصوله على علامات تمكنه من تحقيق أحلامه. وفي المقابل يمكن القول إن تفوقه في المواد التى يعتبرها ثانوية قد تمكنه من النجاح وإنقاذ الموسم الدراسي إذا كان الأداء في المواد المهمة متوسطا أو ضعيفا.

- **ضرورة الابتعاد عن القراءة المتسرعة**، السطحية والجنوح الى القراءة الفاحصة.

- **ابدأ بمراجعة المواد السهلة** أو تلك التى تعجبك وتثير فضولك حتى تفتح شهيتك لباقي المواد.

- **ناقش ما راجعته مع زملائك وأساتذتك** لأن الحوار والمناقشة يساهمان في ترسيخ المعارف في الذاكرة ويمكنانك في نفس الآن من تصحيح معلومات لم تستوعبها في السابق.

- **ابتعد قدر المستطاع عن التوتر** والصراع والقلق لأن من شأن هذه العوامل التأثير سلبا على ذهنك وتركيزك.

- **تأجيل الانشغالات** والمهام غير الضرورية الى ما بعد الامتحان.

- **يجب عليك أن تتفادى السهر** والاستعانة

بالمنبهات كالشاي أو القهوة أو الأدوية التى تفضي إلى الأرق لأن هذا الأخير يؤدي إلى الاستيقاظ العسير وبالتالي الإحساس بالإرهاق العصبي الذي ينعكس سلبا على صحتك.

- **ينبغي أن يتخلل أوقات مراجعة الدروس فترات من الراحة** والاسترخاء قصد تجديد حيويتك ونشاطك لكن يجب عليك ألا تمكث كثيرا أمام شاشة التلفاز حتى لا تهمل دروسك، وفي هذا الصدد ذهب فرماي إلى أن قدرة الأطفال على الانتباه في الفصل الدراسي تبدأ في التناقص بسرعة بعد أربعين دقيقة في حين يستطيعون المحافظة على الانتباه ساعات طويلة أمام التلفاز. وقد تأكد لي هذا الأمر في البحث الانف الذكر، قيد الإنجاز، عندما تضمنت الاستمارة التي وزعتها على تلاميذي السؤالين التاليين : كم ساعة تخصصها يوميا في المتوسط لمراجعة دروسك في *الايام العادية* ؟

حدد كم ساعة تقضيها أمام شاشة التلفاز ؟

فقد بلغ المتوسط الحسابي في الحالة الاولى ٢،٦٤س وبلغ في الحالة الثانية ٣،٣٠س ، وهذا يعني أن التلاميذ يمكثون أمام جهاز التلفاز وقتا أطول من ذلك الذي يقضونه في مراجعة الدروس ..

- **حاول أن تخلق في نفسك حافزا قويا** يجعلك تقبل على مراجعة الدروس بحماس مستحضرا إبان ذلك طموحات شخصية أو الرغبة في اسعاد أسرتك وانقاذها من المشاكل التي تتخبط فيها ، علما بأن التوسل بأحلام اليقظة بقدر معقول يمكن أن يساهم في تحقيق الاهداف المنشودة ..

- **يستحب أن تعمد أثناء مراجعة دروسك الى المزج بين القراءة والخرائط والتلخيص** وتقنية أخذ النقط التي (تساعد على تخزين المعلومات في الذاكرة .، تسهل التركيز وتنمي القدرات الفكرية كالفهم أو الحكم) [٩]

وبما أن ما يقدمه المدرس في الفصل يعتمد على المزج بين إملاء المعلومات على التلاميذ أو كتابتها على السبورة من جهة ، وشرحها (الجانب الشفهي) من جهة ثانية ، فإن التلميذ مطالب باستيعاب تقنية أخذ النقط علما بانها يمكن أن تفيده أيضا في الندوات والمحاضرات والعروض الشفوية

الهوامش :

(١) علم النفس المدرسي. د. نايفة قطامي. دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة العربية الثانية ١٩٩٩م ص ٢٨.

(*) يمكن أن تتخذ المشكلة (الخجل - القلق والخوف - التعثر الدراسي..) أبعاداً نفسية، اجتماعية، فيزيولوجية ومعرفية.

(٢) لغة التربية، تحليل الخطاب البيداغوجي. أوليفيي روبول، ترجمة عمر أوكان إفريقيا الشرق. المغرب ٢٠٠٢ ص ١٨٥.

(٣) علم النفس التعليمي. د. عبد الرحمن العيسوي، دار *الراتب الجامعية*، بيروت، لبنان، *الطبعة الأولى* ٢٠٠٠ ص ٥١.

(٤) مجلة علوم التربية، دورية مغربية نصف سنوية، المجلد الثالث، العدد الحادي والعشرون أكتوبر ٢٠٠١ ص ٦٩.

(٥) La me'moire du cerveau a' I'ecole. Alain Lieury. Dominos. Flammarion. France 1993. P : 78

(٦) سيكولوجية الذاكرة، قضايا واتجاهات حديثة، تأليف د. محمد قاسم عبد الله. عالم المعرفة. عدد ٢٩٠، فبراير ٢٠٠٣ ص ٣٥.

(٧) التعلم والاكتساب. سيكولوجية التربية، مجلة سيكوتربوية. ٢ - ٢٠٠١ ص ١٤.

(٨) Apprendre a' Penser. D. Driss Boumnich e'ditions Al mataf/ Altarbami. Rabat. 1997. P : 34

(٩) Prendre des motes vite et bien. Gerard Hoffbeck. jacques Walter. 2e'me e'dition. Dunord. Paris. 2002P: 3



أثر استخدام الحاسوب على تحصيل الطلبة

مادة التربية الإسلامية في الأردن أنموذجاً

الإطار النظري :

يشهد عالمنا اليوم في القرن الحادي والعشرين تغيرات متسارعة وثورات معرفية ومعلوماتية كبيرة وانفجارات تقنية هائلة شملت المجالات الحياتية المختلفة من صناعة وزراعة وتجارة واقتصاد وإدارة واتصال وتعليم.. حتى أصبح من الضرورة بمكان أن تستجيب المؤسسات بكافة أنواعها وأشكالها وأحجامها لهذا التغير ولتلك الثورات.

ويرى الباحثون في هذا المجال أن هذا التقدم العلمي والتكنولوجي المنقطع النظير في جميع المجالات الذي يشهده عصرنا الحالي هو نتيجة للثورة العلمية الناتجة عن الانفجار المعرفي والانفجار السكاني حتى أصبحت الحضارة الإنسانية المعاصرة تتسم بالثورة العلمية التكنولوجية وتسمى هذه الفترة من هذا العصر بعصر الحاسوب أو «غزوة الحاسوب»[١].

لذا كان لزاماً على مؤسسات التربية أن تستجيب وتتكيف مع طبيعة هذا العصر فتعكس برامجها ومقرراتها وأنشطتها عناصر هذه التكنولوجيا وتستفيد من مخترعاتها ومنتجاتها في تسهيل مهامها وتحقيق أهدافها وتعيد النظر في خططها لكي تواكب هذه التحولات والتغيرات.. خاصة في مجال الحاسوب[٢].

ومن هنا فقد شهد الحاسوب اهتماماً عارماً في الدول المتقدمة وخصوصاً في مجال التربية والتعليم فقد تم تصميم البرامج وإجراء الدراسات وتنفيذ المشاريع العديدة الى أن أصبح الحاسوب مادة تعليمية ثم استخدم كنظام إداري ثم كوسيلة تعليمية، حتى أصبح موضوع الحاسوب محط اهتمام كبير من قبل الباحثين والمربين لتطوير أنماط جديدة لاستخدام هذه التكنولوجيا المتطورة في التعليم وتقويم مدى فاعلية هذه الأنماط في تحسين وتطوير التعلم والتعليم[٣].

خالد عطية ضيف الله

ماجستير في المناهج وأساليب التدريس - الأردن

وقد شهدت العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين حركة تدعو إلى تحديث طرائق التدريس، وقد واكب هذه الدعوة تطور سريع في التقانات الحديثة التى يمكن أن يستفاد منها في بناء خبرات تعليمية حسية من خلال التعلم الفردي وتزويد المتعلم بالتغذية الراجعة الفورية كالحاسوب[٤].

وهكذا يبدو واضحاً أن استخدام الحاسوب أصبح جزءاً من المنهاج وليس نشاطاً لا منهجيا أو لا صفياً. ومن هنا يصبح من الضروري تقصي أثر استخدام الحاسوب في التدريس بهدف توظيفه في العملية التربوية على الوجه الأمثل[٥].

وفي عام ١٩٨٣م شكلت وزارة التربية والتعليم في الأردن لجاناً لوضع التصورات والمقترحات للبدء بتجربة إدخال الحاسوب في العملية التعليمية ومع حلول العام الدراسي ٨٦/٨٧ أصبح عدد مدارس التجربة ثلاثين مدرسة موزعة على معظم مديريات التربية والتعليم[٦].

ولقد كان من أبرز توصيات مؤتمر التطوير التربوي المنعقد عام ١٩٨٧م في مجال الحاسوب وضع فلسفة تربوية واضحة لإدخال الحاسوب في المدارس تأخذ في الاعتبار تعريض جميع الطلبة للثقافة العامة في مجالات الحاسوب واستخدامه في التعليم بجميع المراحل وإكساب الطالب المهارات الفنية للاستفادة من إمكانات الحاسوب في التطبيقات العلمية واستخدام الحاسوب في تكوين بنى التعليم المهني والتخصصي في ضوء الأهداف الموضوعة[٧].

وقد أخذ الحاسوب ينتشر كثيرا في المدارس الأردنية وبخاصة في نهاية التسعينيات من القرن الماضي وبدأ عدد من الباحثين المهتمين بدراسة فاعليته التعليمية وتكيفه مع بيئة هذه المدارس[٨].

ومنذ ظهور الحاسوب كأداة من أدوات التعليم، والأبحاث التى تستقصي أثره على تحصيل الطلبة في هذا المجال بتزايد مستمر، بل إن الكثير من هذه الأبحاث سعت إلى تصنيف طرق استخدامات الحاسوب في التعليم ودراسة فعاليتها مثل طريقة التعليم المبرمج والتمرين والممارسة وطريقة الحوار وطريقة حل المشكلة والتدريس الخاص والنمذجة والمحاكاة وطريقة الاختبار[٩].

لذا فإن الأدب التربوي يشير إلى وجود عدد كبير من الدراسات العربية والأجنبية على وجه العموم والأردنية على وجه الخصوص التى حاولت تقصي أثر استخدام الحاسوب على تحصيل الطلبة واتجاهاتهم في مختلف المباحث التعليمية ومقارنته بطرق واستراتيجيات تدريسية كثيرة. وقد أشار عدد كبير من هذه الدراسات الى تفوق الحاسوب عند مقارنته بطرائق واستراتيجيات تدريسية أخرى كما أشير الى ميزات الحاسوب التى تساعد في جعله وسيلة تعليمية متميزة. ومن ذلك[١٠]:

١ - يفتح الباب أمام امكانية تطبيق التعلم الذاتي وتفريد التعليم والتعلم الإتقاني.

٢ - يعزز المتعلم ويزوده بالتغذية الراجعة الفورية ويعمل على تقويمه.

٣ - يحافظ على السمات الانفعالية للطالب فلا يخجل إذا ما اخطأ كما انه لا يشعر بالملل وتزيد لديه درجة الثقة بنفسه، مما يتيح مناخا جيدا للمتعلم وراحة نفسية له.

٤ ـ يثير تفكير الطالب وتنمية مهارته وتحسين اتجاهاته نحو المقرر الذي يدرسه.

٥ ـ يثير دافعية الطالب وحماسه وانتباهه لوجود الصوت والصورة.

٦ ـ يساعد على احتفاظ المتعلم بما تعلم كما يزيد في تحصيله من العلوم والمعارف.

٧ ـ يراعي الفروق الفردية بين المتعلمين، بحيث يسمح لكل تلميذ بالتعلم حسب سرعته الخاصة.

٨ ـ يساعد المعلم في أداء رسالته وبناء خبراته المعرفية.

٩ ـ يتغلب على مشكلة النقص في أعداد المعلمين أو بعض النوعيات التى انتقصها بالكفاءة.

١٠ ـ يمتاز بالدقة العالية والسرعة الكبيرة في إنجاز الأنشطة والإجابة عن الأسئلة وقدرة ذاكرته على تخزين معلومات كثيرة. ولا يتأثر بسبب المرض أو الإرهاق ولا يتطلب معرفة متطورة.

١١ ـ يخلق بيئة تعليمية نشطة وحيوية ومشوقة ـ من خلال الألوان والموسيقى ـ تحل محل التعلم الرتيب.

١٢ ـ يتيح للمعلم أن يباعد بين فترات مراقبته للتلاميذ مما يجعل عنده الوقت الكافي للقيام بأنشطة ارشادية أخرى أثناء الدرس.

١٣ ـ يختزل الزمن اللازم لدراسة نفس المقررات بدلالات إحصائية مقابل الزمن اللازم لدراسة نفس المقررات بالطرق التقليدية.

١٤ ـ يؤدي الى زيادة التحصيل.

١٥ ـ يؤدى الى تحسين اتجاهات الطلاب نحو الحاسوب.

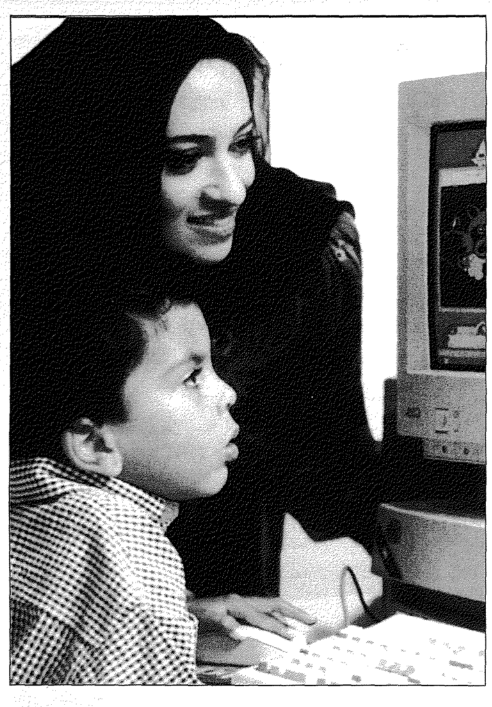
وقد بدأ التفكير في استخدام الحاسوب في ميدان العلوم الشرعية مع ظهوره واستخداماته المتعددة في بداية الستينيات من القرن العشرين ثم تجلت الأفكار والجهود في مرحلة السبعينيات، وبعد تطور الحاسوب بشكل مذهل في هذه المرحلة أصبح هذا الأمر حقيقة واقعة في بداية الثمانينيات، وإن بداية التسعينيات بشرت بخير كثير في هذا المجال[١١].

ويشير العمري[١٢] الى أهمية الحاسوب وتفوقه على وسائل البحث المكتبي البدائية في مجال العلوم الإسلامية، كما يؤكد على أن القدرة على الرؤية الشمولية تكاد تنعدم عند العلماء والباحثين في العالم الإسلامي ويزيد المشكلة تعقيدا تخلف مناهج البحث في العلوم الإسلامية مما ينعكس على مستوى الدراسات الإسلامية التى تميل إلى تبسيط القضايا العلمية والى توسعة نسيج الأفكار الى حد التمزق.

والتربية الإسلامية عملية مقصودة تستضيء بنور الشريعة وتهدف إلى تنمية جوانب الشخصية الإنسانية بعامة والإسلامية بخاصة لتحقيق العبودية لله عز وجل ويقوم بها أفراد ذوو كفاءة عالية بتوجيه تعلم أفراد آخرين وفق طرق ملائمة وبأساليب شتى[١٣].

ويبدو أن التربية الإسلامية بمناهجها ومقرراتها وطرائق تدريسها من المشكلات التى كانت تواجه وتشغل المعنيين بشؤونها في السبعينيات من القرن العشرين، ولهذا نوقش هذا الموضوع في البحوث التى قدمت إلى المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي الذي عقد في مكة المكرمة سنة ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ثم تلاها من المؤتمرات والندوات الكثير الكثير[١٤].

ويرى بعض الباحثين أنه على الرغم من الاهتمام الذي يوليه المختصون والمشرفون على التربية الإسلامية في وزارات التربية والتعليم في العالم الإسلامي إلا أن هناك العديد من المشكلات والعقبات التى تواجه تدريس مقرراتها، الأمر الذي قد يحول دون تحقيق أهدافها ومن أهم تلك المشكلات التى لاحظها كباحث من خلال خبرته في الميدان وما سمعه من



بعض معلمي ومشرفي التربية الإسلامية قلة اهتمام الطلبة بدراسة بعض فروعها وتدني تحصيلهم في فروع أخرى وهو يؤكد أن هذه الظاهرة - وبلا شك - تعود الى أسباب كثيرة وبواعث شتى، فلابد أن ينجذب الطالب الى طريقة التدريس كمساهمة في علاج هذه الظاهرة[١٥] لأن مادة التربية الإسلامية تحتاج الى الأساليب والوسائل التربوية الحديثة كباقي المواد التعليمية الأخرى حيث لا يزال معلمو التربية الإسلامية يعتمدون الأسلوب العادي في التدريس.

وفي ضوء ميزات الحاسوب - السالفة الذكر - والإمكانات التي يستطيع توفيرها لابد من توظيف هذه التقنية العالمية في ميادين التربية الإسلامية من تلاوة وفقه وعقيدة وسيرة وأخلاق وتهذيب بهدف الوصول الى رفع مستوى تحصيل الطلبة؛ لما يوفره الحاسوب من نمذجة وتدريب وممارسة وميزات قد لا تجتمع في غيره.

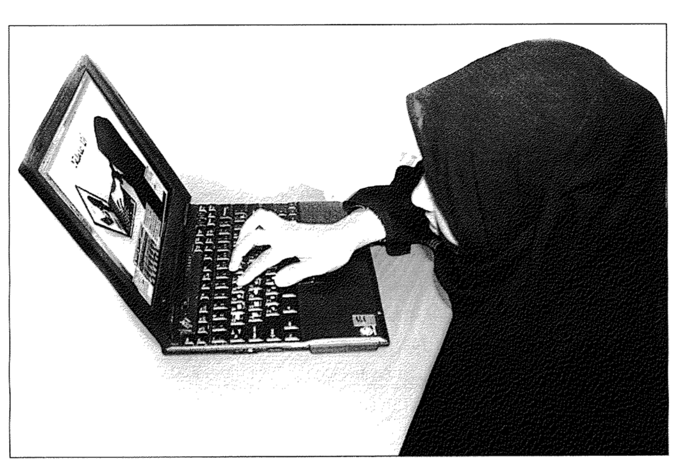
الدراسات والأبحاث العلمية :

وبعد الاطلاع على الأدب التربوي السابق في ميدان استخدام الحاسوب في التدريس وخصوصاً فيما يتعلق باستخدام الحاسوب في مجال التربية الإسلامية لاحظ الباحث عدم وجود أي دراسة أجنبية في هذا الموضوع بخلاف مباحث المواد الدراسية الأخرى ولعل للتربية الإسلامية خصوصية من حيث الرقعة الجغرافية التي تمتد إليها الدراسات والأبحاث، أما الدراسات العربية فهي قليلة ونادرة إذا ما قورنت بالمباحث الأخرى وذلك لحداثة التوجه من قبل الباحثين

نحو تحديث طرائق التدريس وأساليبه في فروع التربية الإسلامية المختلفة. ويمكن عرض أهم الدراسات السابقة الأردنية والتى حاولت تقصي أثر استخدام الحاسوب على تحصيل الطلبة في مادة التربية الإسلامية على النحو الآتي:

أولا : في دراسة أجراها عبد الله (١٩٩٩م) هدفت إلى استقصاء اثر استخدام الحاسوب على مستوى إتقان أحكام التلاوة والتجويد لدى مجموعة تجريبية من طلبة الصف العاشر الأساسي في مدرسة اليوبيل تدرس هذه الأحكام بوساطة الحاسوب مقارنة بالتعلم الصفي الاعتيادي (الذي لا يوظف الحاسوب) وقد تكون مجتمع الدراسة من طلبة الصف العاشر الأساسي للعام الدراسي ١٩٩٧/١٩٩٨م وكان عددهم ١٢٩ طالبا وطالبة، وقد شملت عينة الدراسة جميع طلبة الصف العاشر ممن يدرس مادة التربية الإسلامية وعددهم ١١٥ طالبا وطالبة، وقد تم توزيعهم على مجموعتين ضابطة ٥٧ وتجريبية ٥٨ تم اختيارهم بطريقة عشوائية منتظمة.

أما أدوات الدراسة فقد تكونت من اختبار نظري من ٢٥ فقرة اختيار من متعدد وآخر شفوي عبارة عن نصوص وكلمات قرآنية يتلوها الطالب ويتم تسجيلها ومن ثم تفريغها في نماذج خاصة أعدها الباحث وقد أظهرت الدراسة عددا من النتائج أبرزها أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية (٠ر٠٥) تعزى إلى التدريس بمساعدة الحاسوب. وقد أوصى الباحث بضرورة استخدام التقانات الحديثة وخاصة الحاسوب في تدريس أحكام التلاوة التجويد وأيضا في مجالات



التربية الإسلامية الأخرى وإجراء دراسات في مجال الحاسوب تتعلق بالبرمجيات المتوافرة في مجال التربية الإسلامية وتقصي أثرها في التعليم[١٦]٠

ثانيا : أما دراسة العمري (٢٠٠٠) فقد هدفت إلى معرفة أثر طريقة التعليم المبرمج المحوسب ذي الاستجابة (ظاهرة، باطنة) والتعليم المبرمج المطبوع في تحصيل الطلبة المباشر والمؤجل للصف الثامن في مادة التربية الإسلامية مقارنة بطريقة التعليم الصفي العادي وقد تكون مجتمع الدراسة من جميع طلبة الصف الثامن الأساسي في مديرية التعليم لمنطقة اربد الثانية للعام الدراسي ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١ والبالغ عددهم (٣٤٣٣) طالبا وطالبة وتكونت عينة الدراسة من ١٣٩ طالبا وطالبة تم تقسيمهم الى أربعة مجموعات مجموعة ضابطة (٣٤) درست بطريقة التعلم العادي وثالث مجموعات تجريبية درست الأولى (٣٥) بطريقة التعليم المبرمج المحوسب المطبوع ودرست الثانية (٣٧) بطريقة التعليم المبرمج المحوسب ذي الاستجابة الظاهرة ودرست المجموعة الثالثة (٣٣) بطريقة التعليم المبرمج المحوسب ذي الاستجابة الباطنة وقد أعد الباحث اختبارا تحصيليا تكون من (٢٥) فقرة من نوع الاختيار من متعدد وقد أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية (٠ر٠٥) في التحصيل المباشر والمؤجل بين الطلبة الذين تعلموا بطريقة التعليم المبرمج المحوسب ذي الاستجابة الظاهرة والباطنة وكل من الطلبة الذين تعلموا بطريقة التعليم المبرمج المطبوع الظاهرة والباطنة وقد أوصى الباحث بضرورة تأهيل المعلمين على إدارة التدريس باستخدام الحاسوب والعمل على حوسبة التعليم المبرمج سواء بطريقة الاستجابة الظاهرة أم الباطنة وتضمينه في المناهج الدراسية[١٧]٠

ثالثا : وقد سعت دراسة محمود؛ (٢٠٠١) إلى معرفة اثر استخدام برنامج تعليمي محوسب في تحصيل طلبة الصف الثامن في مقرر التلاوة والتجويد للقرآن الكريم وقد تكونت عينة الدراسة من ٦٢ طالبا في الصف الثامن الأساسي من مدرسة الاتحاد وقد اختار الباحث الشعبتين بالطريقة العشوائية البسيطة منهم ٣١ طالبا كمجموعة تجريبية تلقت المادة التعليمية باستخدام الحاسوب و٣١ طالبا كمجموعة ضابطة تلقت المادة التعليمية باستخدام الطريقة التقليدية في التدريس وقد استخدم الباحث اختبارين: الاختبار النظري وهو من نوع الاختيار من متعدد وقد تكون من ٣٠ فقرة والاختبار العملي الذي اعتمد فيه الباحث على ملاحظة تلاوة الطالب عن طريق اختيار آيات معينة من القرآن الكريم تمثل الأحكام المتعلقة بالدراسة وقد أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (ض = ٠ر٠٥) بين المجموعتين التجريبية والضابطة في كل من الاختبار العملي المباشر والمؤجل ولصالح المجموعة التجريبية تعزى إلى طريقة التدريس[١٨]٠

رابعا : وفي دراسة مشابهة أجراها محمود (٢٠٠١) هدفت إلى التعرف على أثر استخدام الحاسوب التعليمي على تحصيل طلبة الصف السابع الأساسي لمادة التلاوة والتجويد وتكون مجتمع الدراسة من جميع طلبة الصف السابع الأساسي في المدرسة النموذجية في جامعة اليرموك للعام الدراسي ٢٠٠٠/

٢٠٠١م والبالغ عددهم ١٦٧ طالباً وطالبة أما عينة الدراسة فقد تكونت من ٦٠ طالبا تم تقسيمهم إلى مجموعتين: الأولى ٣٠ طالبا وطالبة درست باستخدام طريقة التعليم الجمعي المحوسب ، والثانية ٣٠ طالبا وطالبة درست باستخدام التعليم المحوسب بالمجموعات ٠ وقد أعدت الباحثة اختبارا تحصيليا تكون من ٤٥ فقرة من نوع الاختيار من متعدد وقد أظهرت النتائج أن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية في أداء المجموعتين ولصالح مجموعة التعليم المحوسب بالمجموعات وقد تبين من مناقشة النتائج أن استخدام التعليم المحوسب بالمجموعات يشكل دافعية للفهم والاستيعاب للمفاهيم المختلفة أثناء المشاركة الجماعية الفاعلة وقد أوصت الباحثة بضرورة إجراء المزيد من الدراسات التجريبية حول دور الحاسوب في التعليم لمختلف المراحل التعليمية وإجراء دراسات مشابهة على صفوف أخرى تتناول فروع التربية الإسلامية الأخرى كالحديث والسيرة[١٩]٠

خامسا : وفي (٢٠٠١) نشر صالح والعياصرة دراسة لهما هدفت إلى معرفة أثر استخدام الحاسوب في تعلم تلاوة القرآن الكريم ومعرفة ما إذا كان استخدام الحاسوب في التلاوة يترك أثراً يختلف باختلاف المستوى التحصيلي العام أو المستوى التحصيلي في التربية الإسلامية وللتحقق من ذلك تم اختيار مجموعتين: تجريبية وضابطة من طلبة الصف الثالث الإعدادي في إحدى المدارس الخاصة بسلطنة عمان وقد استغرقت الدراسة الفصل الثاني من العام الدراسي ١٩٩٨/ ١٩٩٩م في هذه المدة تعلم أفراد المجموعة التجريبية التلاوة معتمدين على البرنامج المحوسب «القرآن الكريم» أي أن هذا البرنامج حل محل المعلم في الحصص المخصصة للتلاوة بينما تعلمت المجموعة التجريبية وفق الطريقة المألوفة التى تقوم على تلاوة الآيات المقررة ثم تسميع تلك الآيات من قبل الطلاب وقد أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠١) في المعدل العام للتلاوة وكانت الفروق لصالح المجموعة التجريبية بيد أن استخدام الحاسوب لم يترك أثرا يختلف باختلاف المستوى التحصيلي العام أو المستوى التحصيلي في التربية الإسلامية ومن أبرز التوصيات إجراء دراسات أخرى تهدف إلى معرفة ما إذا كان أثر استخدام الحاسوب في تعلم التلاوة يختلف عنه باختلاف المرحلة التعليمية أو باختلاف الفترة الزمنية التى تستغرقها الدراسة[٢٠]٠

ومن خلال العرض السابق للدراسات المتعلقة باستخدام الحاسوب في مجال التربية الإسلامية نلاحظ أن هذه الدراسات تركزت على فرع واحد من فروع العلوم الإسلامية وهو «أحكام التلاوة والتجويد» باستثناء دراسة جدوع (١٩٩٢)، والعمري (٢٠٠٠)، وقد تراوحت هذه الدراسات على صفوف مختلفة: (الخامس، السابع، الثامن، التاسع، والعاشر) كما أنها تناولت متغيرات مستقلة متنوعة إلى جانب طريقة التدريس كالجنس واللون والمستوى التحصيلي العام والمستوى التحصيلي في التربية الإسلامية٠٠ وقد أظهرت نتائج هذه الدراسات وجود فروق ذات دلالة إحصائية على تحصيل الطلبة الذين تلقوا التعلم بوساطة الحاسوب مما يدعو إلى التأكيد على أهمية استخدام الحاسوب في التلاوة والتجويد بشكل خاص وباقي فروع التربية الإسلامية الأخرى بشكل عام٠

الهوامش :

(١) الخطايبة، عبد الله وملاك، حسن (١٩٩٧). اثر استخدام طريقة التعلم بالحاسوب في تغيير اتجاهات طلبة الصف الأول الثانوي العلمي نحو الحاسوب. أبحاث اليرموك، ١٣ (٢) ٧١ ـ ٩٧.

(٢) الجندي، علياء (٢٠٠٢). تقويم استخدام الحاسب الآلي بمدارس البنين الثانوية بمكة المكرمة من وجهة نظر المعلمين والطلاب. مجلة العلوم التربوية والنفسية، ٣ (٢) ٤٧ ـ ٧٧.

(٣) الهابس، عبد الله والكندري، عبد الله (٢٠٠٠). الأسس العلمية لتصميم وحدة تعليمية عبر الإنترنت. المجلة التربوية، ١٥ (٥٧)، ١٦٧ ـ ١٩٩.

(٤) الخطايبة وملاك، ١٩٩٧ عبد الله، زياد (١٩٩٩) مرجع سابق.

(٥) صالح، عبد الرحمن، والعياصرة، محمد (٢٠٠١). اثر الحاسوب في تعلم التلاوة، أبحاث اليرموك ١٧(١)، ٤٣ ـ ٦١.

(٦) هميسات، حمد (١٩٨٩) تجربة استخدام الحاسوب في المدارس الحكومية الثانوية في الأردن، التربية الحديثة، ٤٦، ص ٧١ ـ ٨٦.

(٧) الخطايبة وملاك، ١٩٩٧ . مرجع سابق.

(٨) الزعبي، خالد (٢٠٠٠) أثر استخدام استراتيجية التعلم التعاوني في تحصيل طلبة الصف العاشر الأساسي لمحتوى برنامج الحاسوب التعليمي واتجاهاتهم نحو الحاسوب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

(٩) حمدي، نرجس (١٩٨٩) أثر استخدام التعلم عن طريق الحاسوب في تحصيل طلبة الدراسات العليا واتجاهاتهم نحو استخدام الحاسوب في التعليم. دراسات، ١٦ (٦).

(١٠) الخطايبة وملاك، ١٩٩٧ وعبد الله، ١٩٩٩ والزعبي، ٢٠٠٠ والعمري، ٢٠٠٠ ومحمود، ٢٠٠١، والجندي، ٢٠٠٢.

(١١) المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب (١٩٩٢). ندوة استخدام الحاسوب في العلوم الشرعية. ط ١، جدة: البنك الإسلامي.

(١٢) العمري، عمر (٢٠٠٠). مقارنة اثر التعليم المبرمج المحوسب والتعليم المبرمج المكتوب على تحصيل طلبة الصف الثامن الأساسي في مادة التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

(١٣) الشطي، بسام (٢٠٠١). تقييم وتطوير كتاب التربية الإسلامية للصف الثاني الثانوي العام في دولة الكويت، المجلة التربوية، ١٥ (٥٩)، ١٧٧ ـ ٢١٦.

(١٤) الحوسني، زوينة (١٩٩٧) المفاهيم الفقهية في كتب التربية الإسلامية المقررة لصفوف المرحلة الثانوية فى سلطنة عمان: دراسة تحليلية تقويمية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السلطان قابوس، عمان.

(١٥) المعجل، طلال (٢٠٠٠) أسباب قلة اهتمام المرحلة المتوسطة في مادة التوحيد بمدينة الرياض في المملكة العربية السعودية، المجلة التربوية، ١٥ (٥٧)، ٢٠٣ ـ ٢٣٦.

(١٦) عبد الله، زياد (١٩٩٩). اثر استخدام الحاسوب في إتقان أحكام التلاوة والتجويد لدى عينة أردنية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، الأردن.

(١٧) العمري، عمر (٢٠٠٠) مرجع سابق.

(١٨) محمود، أحمد (٢٠٠١). اثر برنامج تعليمي محوسب في تحصيل طلبة الصف الثامن في مقرر التلاوة والتجويد للقرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

(١٩) محمود، رابعة (٢٠٠١) مقارنة أثر أسلوبين في استخدام الحاسوب التعليمي على تحصيل طلبة الصف السابع الأساسي في مادة التلاوة والتجويد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

(٢٠) صالح، عبد الرحمن، والعياصرة، محمد (٢٠٠١) مرجع سابق.

مع الناقد الأستاذ/

الدكتور حلمي القاعود

-الدكتور حلمي : مسيرة من الابداع والدفاع :

الدكتور حلمي القاعود أستاذ جامعي للغة العربية وآدابها وهو رئيس قسم اللغة في كلية الآداب بجامعة طنطا بمصر، وهو ناقد أدبي بارز وله حضوره الفاعل في المنتديات الأدبية في مصر والبلاد العربية التى أمّها زائراً أو أستاذاً محاضراً، وهو فضلا عن ذلك كاتب إسلامي غيور ما برح يكتب في إبراز محاسن الإسلام والاحتفاء بآداب لغتنا العربية الشريفة لغة القرآن الكريم، وهو في هذا الأمر يقف لأعداء الإسلام والعربية المتحاملين وأتباعهم بين ظهرانينا يقف لهؤلاء وأولئك بالمرصاد، يفند دعاواهم ويدحض شبهاتهم ويكشف خلفياتهم ودوافعهم الخبيثة، وله في هذا المجال دراسات وكتب كثيرة منشورة منها:

(مسلمون لا نخجل - حراس العقيدة - الحرب الصليبية العاشرة - العودة الى الينابيع - الصلح الأسود - ثورة المساجد - هتلر الشرق - جاهلية صدام وزلزال الخليج - التنوير.. رؤية إسلامية - دفاعاً عن الإسلام والحرية) أما في مجال الأدب والنقد فله دراسات ومؤلفات قيمة منها:

(مدرسة البيان في النثر الحديث - رائحة الحبيب «مجموعة قصصية» - الحب يأتي مصادفة «رواية عن حرب العاشر من رمضان» - محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر العربي الحديث - القصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث - الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني وغيرها).

ومنذ مرحلة مبكرة في حياته كتب في المجال الأدبي، فكتب في الرسالة والثقافة عند إصدارهما الثاني (١٩٦٤، ١٩٦٥م)، وفي المجلات اللبنانية (الآداب والأديب)، ورابطة العالم الإسلامي والتضامن الإسلامي بمكة المكرمة والبيان في الكويت ومجلات أخرى في بغداد ودمشق والرباط.. وفي عام ١٩٦٨م.. حصل على جائزة مجمع اللغة العربية



وكان من أصغر من نالوها سناً، وفي السبعينيات بدأت دائرة النشر تتسع في الصحف العامة والصحف الإسلامية، فكتب في الأهرام والأخبار والجمهورية والتعاون وآخر ساعة والهلال والثقافة والاعتصام والدعوة والبريد الإسلامي والأحرار والنور وجريدة مصر.



أجرى الحوار : عبداللطيف الجوهري

- الاسكندرية -

الواقعية الاسلامية :

**** ماذا عن المذهب الأدبي الذي يتبناه الدكتور القاعود ويدعو إليه دون ما هو مطروح على الساحة الأدبية التقليدية؟.**

* لا أحبذ مذهباً بعينه، فالكاتب الموهوب يستطيع أن يختار لإبداعه الإطار الذي يناسبه والصياغة التى تتلاءم معه، ولا شك أن المذاهب الأدبية تتفاوت في مميزاتها ومعطياتها، وفي معظمها نقاط مهمة وعناصر مفيدة لو أحسن الاستفادة منها، ولكني أتصور في المرحلة الراهنة أن «الواقعية الإسلامية» من أفضل الصيغ التى تعالج قضايا المجتمع والأمة، وتقترب من الواقع اليومي المعيش لجمهور الناس، والواقعية الإسلامية من ناحية ما ترجمة عملية لنظرية الأدب الإسلامي بآفاقها الرحبة وإنسانيتها الفياضة وروحها المعطاءة. وكما ترى فإن الإنتاج الأدبي من خلال الواقعية الإسلامية يتطلب أديباً موهوباً يملك تصوراً إسلامياً ناضجاً ووعياً فنياً ساطعاً، وهو للأسف يندر وجوده في ظل الحياة الأدبية السائدة.

**** كيف ترون الحالة الأدبية على مستوى القطر وعلى الساحة العربية والعالمية؟ وأين نجدكم فيها تأثيراً وتأثراً؟.**

* لعلي ألمحت الى الإجابة في كلامي السابق، ولا شك أن الحكومات العربية أخذت في السنوات الأخيرة تخصص ميزانيات كبيرة للاهتمام بالأدب والأدباء، فأنشأت المجلات الأدبية والنوادي الأدبية والقصور الثقافية، وسهّلت إقامة الندوات والمؤتمرات، ومنحت بعض الأدباء فرصة التفرغ للإنتاج الأدبى نظير مكافآت مجزية، فضلا عن إتاحة المجال واسعاً أمام نشر بعض الكتب الأدبية بأنواعها المختلفة.

بيد أن هذا الاهتمام يظل في دائرة الشكل أكثر منه في دائرة المضمون، وذلك لأن معظم هذا النشاط يصب في اتجاه واحد، هو الاتجاه اليساري العلماني أو الحداثي كما يسمى في بعض الأقطار العربية، وقد استباح هذا الاتجاه - غالباً - القيم الفنية والتقاليد الأدبية، فهبطت مستويات التعبير وضعفت اللغة، وشاعت العامية أو اللهجات المحلية حيث وجدت دعماً قوياً من أكثر من جهة، وساد الغموض المعتم كثيراً من النصوص، ودارت القضايا التى يعالجها الأدباء في إطار ذاتي غالباً وغاب البعد الاجتماعي والهم الوطني والقومي غياباً شبه كامل، واختفت بصورة شبه تامة روح الإسلام في الموضوعات الأدبية، ومن المفارقات أن الحياة الأدبية أخذت تشهد مؤخراً نصوصاً تحمل روحاً طائفية متعصبة، تهجو العرب والإسلام، وتتغنى بالطائفية وتلهج بمفرداتها.

أما الأدب على المستوى العالمي فيمضي في حالة تنوع استجابة لواقعه، وهو ما يظهر في دول الغرب على وجه الخصوص حيث تتمتع كل الاتجاهات بحق التعبير والنشر، دون إقصاء أو عزل أو تعتيم كما يحدث في بلادنا العربية. لذا فإن الأدب العالمي - حتى في دول العالم الثالث التى تتمتع بقدر من الحرية والديمقراطية - يحقق ازدهاراً وثراء متنوعاً في الموضوعات والصياغات.

أما عن دوري في الواقع الأدبي فهو - من وجهة

نظري - متواضع ، وتحكمه امكاناتي المحدودة في سياق التزاماتي الاجتماعية والعملية، فما أكتبه يركز في معظمه ومنذ مبادرة الرئيس السادات وزيارته القدس، على الشأن العام والقضايا العامة من خلال المقالات والموضوعات المباشرة، وفي الوقت المتاح بعد ذلك أنصرف الى الكتابة النقدية التى تتناول الإنتاج الأدبي الجديد أو القضايا النقدية المطروحة على الساحة الأدبية، فضلا عن البحوث الأكاديمية التى تفرضها طبيعة عملي.

الواقعية الاسلامية من أفضل الصيغ التى تعالج قضايا المجتمع المعاصر.

النقد بين الصدق والهوى :

** ما قولكم فيما يقال عن تخلف النقد عن متابعة الأعمال الإبداعية؟ وما تصوركم واقتراحاتكم لتجاوز الخلل (إن وجد) ؟.

* مقولة تخلف النقد تحتاج الى تمحيص فهناك فرق بين وجود نقاد أصلاء ونقاد أصحاب هوى. فالناقد الأصيل يعمل عادة في صمت داخل المؤسسات العلمية أو على صفحات الدوريات المتواضعة، أما الناقد صاحب الهوى فهو الذي يسخر قلمه لمصالح خاصة، أو أهداف حزبية أو شللية، ولأن الساحة الأدبية مصابة بالخلل والاضطراب فالذي يسود الحياة النقدية المعاصرة النوع الثاني من النقاد أصحاب الهوى الذين يستبيحون القيم الأدبية والتقاليد الفنية ترويجاً لأشخاص بأعينهم وتيارات بذاتها، فعندما تجد مثلا رواية أو ديوان شعر أو كتاباً يفوز بجائزة كبيرة، مع أن صاحبه لا يحسن الكتابة ولا يملك الأدوات الأساسية بدءاً من الإملاء حتى النحو والصرف، فضلا عن هبوط الموضوع محل المعالجة، فاعلم أن الحكم النقدي هنا غير نزيه، وغير علمي، وغير خلقي أيضاً.

المعضلة - وكما أشرت في مناسبة أخرى - تكمن في هيمنة اتجاهات معينة على الحياة الأدبية والثقافية بعامة، وبالتعصب القبلي يصير النقد خادماً للقبيلة وحرباً عوانا على القبيلة المنافسة.. ومن ثم فسدت الحياة الأدبية والنقدية، وفي النهاية تبقى الكتابة العلمية الموضوعية هي الأبقى حتى لو كان صوتها خافتاً، ومخنوقاً، ومحاصراً.. فلا يصح إلا الصحيح.

قيم التسامح ...؟!!

** في الثلاثينيات والاربعينيات من القرن الماضي شهدت الساحة الادبية والفكرية على مستوى عالمنا العربى حوارات ولقاءات، بل معارك أدبية وثقافية وأدبية نزيهة ازدهرت بها الحياة الادبية، ثم جاءت الاجيال التالية وتغيرت المعايير في الاداء والعطاء والحوار.. ترى ما سبب اختفاء تلك الروح الحوارية النزيهة..؟!

* شهدت الثلاثينيات والأربعينيات مداً عظيماً في الحوار الأدبي والجدل الثقافي لأن المجتمع تمتع بقسط غير قليل من الحرية الحقيقية، وفي الوقت ذاته كانت روح الثقافة الإسلامية بما يميزها من تسامح ورغبة في سماع الآخر تطبع المثقفين في ذلك الوقت بطابعها حتى أشدهم تطرفاً - أقصد الشيوعيين والملحدين -

كانوا ينطلقون الى حد ما من خلال هذه الروح المتسامحة المتفاعلة، فضلا عن الجدية، والثقافة الحقيقية، والرغبة المخلصة في الوصول الى الحقيقة.. أما الآن فما أكثر المتسلقين والباحثين عن مغانم، وأهل الفهلوة، وكُتاب «تحت الطلب» ويساعد على ذلك واقع الاستبداد البشع الذي يمتد الى مجالات عديدة ومستويات شتى، إنها مأساة أمة في حقيقة الأمر.

الحداثة .. خدعة كبرى :

**** الناقد الأستاذ الدكتور حلمي القاعود . هل توافقون الرأي القائل بأن التوجهات الحداثية بإفرازاتها المختلفة وتطورها، ما هي إلا توجهات فكرية فلسفية تبث أفكارها تحت عباءة التجديد الأدبي لتغيير وجه الأدب بفنونه المختلفة؟ نرجو التعليق والتعليل.**

* لعلك قرأت رسالتي القصيرة حول الحداثة من حيث المصطلح والمفهوم، وقد صدرت في طبعتين داخل البلاد وخارجها، وكم تمنيت لو كان الوقت قد أتيح لي كي أسهب في التناول والشواهد. إن الحداثة خديعة كبرى استغلت المرواغة لدلالة اللفظ كي تستقطب أكبر عدد من المثقفين على أساس أنها حركة تجديد وتطوير، ولكنها في حقيقة الأمر كانت اتجاهاً فلسفياً يحض على القطيعة الكاملة مع الماضي بكل ما فيه من معتقدات وأديان وقيم وتاريخ وعادات وتقاليد، مع تأسيس عالم جديد مغاير تماماً لما كان، وحول القدامة والحداثة ثار جدل كثير، وأريقت أحبار كثيرة، ولم يتنبه الكثيرون في بلادنا الى أن الحداثة فكر مختلف يتعامل مع بيئة مختلفة وظروف مختلفة.. والمفارقة أن القوم في بلاد الحداثة هجروها الى ما بعد الحداثة أو عودة الى تجديد مذاهب قديمة وأفكار من الماضي، ولكن القوم عندنا مازالوا يتعاركون من أجل الحداثة تعصباً لها ودفاعاً عنها، مع أن الحصيلة التى قدمها الحداثيون كانت صفراً كبيراً، أو كانت في حقيقة الأمر نيلا من ثوابت الأمة ومجالات فخارها، وتدشيناً للحركات الشاذة والمخرّبة والمدمرة، واقرأ على سبيل المثال ما كتبه «أدونيس» في الثابت والمتحوّل.

الحداثة.. الشعوبية الجديدة:

**** هل التوجهات الحداثية تعتبر امتداداً للشعوبية في الأدب العربي الحديث؟ وكيف ترون التجديد المقبول في الفنون الأدبية التى يتعانق فيها القديم والجديد أو الأصالة والمعاصرة؟.**

* الشعوبية في العالم العربي وأدبه بالتبعية معروفة منذ وقت بعيد، وقد ذكر عنها الجاحظ كلاماً طويلا في «البيان والتبيين» ، وقد رفع لواءها في الماضى عدد من كبار الشعراء المولَّدين أو ذوي الأصول الفارسية والأجنبية ومنهم أبو نواس ومهيار الديلمي، وكانوا يحقرون العرب والمسلمين، ويرون في أصولهم تفوقاً أو عنصراً يجعلهم أفضل من العرب والمسلمين.

والشعوبية في أدبنا

**** الاتجاه اليساري العلماني الحداثى استباح القيم الفنية والتقاليد الأدبية، فهبط موضوعاً وتعبيراً.**

الحديث تسير على الخطى ذاتها، ولعل «أدونيس» وعدداً من الكتاب الذين ينتمون الى طائفته كانوا في طليعة المعبرين عن النزعة الشعوبية الحديثة، وقد اختلطت هذه النزعة لديهم بتوجهات ماركسية أو علمانية أو إلحادية صرفة. وفي أشعار «أدونيس» وصف للعرب بالرمل والغربان والغزاة وقد استعار لبعض مجموعاته الشعرية عنواناً من «مهيار الديلمي» فسماها (أغاني مهيار الدمشقي)، ولعلك تلاحظ معي أن الغرب والمؤسسات الغربية الثقافية تحتفي بأدونيس وآخرين على شاكلته من أبناء الطوائف في العالم العربي، كما تحتفي أيضاً بافراد النخبة الصرحاء في رفضهم للإسلام وحضارته، وتبعيتهم للغرب وثقافته، مما يعنى أن المسألة ليست تجديداً أو تقليداً بقدر ما هي انتماء أو عدم انتماء.. ولاء أو عدم ولاء، وإذا كان التجديد مطلوباً في كل زمان ومكان، فإن التجديد الحقيقي لا يعني التخلي عن المواريث والمعتقدات لصالح التقليد الأعمى للآخر الذي يمثل القوة والهيمنة.. كانت اليابان مهزومة ومحطمة ومستسلمة بعد الحرب العالمية الثانية، ولكنها احتفظت بمواريثها ومعتقداتها وقيمها وتقاليدها، وفي الوقت ذاته بحثت عن المفيد والصالح لدى الآخر، وأخذته وجعلته «يابانيا» أي «وطّنته»، ثم فاجأت الدنيا بتقدمها المذهل في معظم المجالات التقنية. وما ينطبق على التقدم المادي يمكن أن ينطبق على التقدم الأدبي. في بداية القرن العشرين استطاعت مدرسة الديوان مثلا أن تستوعب ما لدى الغرب الرومانتيك على وجه الخصوص، ثم تهضمه، ثم تقدمه للناس في إطار عربي يستلهم أفضل ما في النظرية النقدية الغربية، فأضافت شيئاً جديداً - وطبيعياً - لما عندنا .. أما ما يحدث اليوم من نقل آلي لما ينتجه الغربيون، فليس تجديداً، ولا علاقة له بالتطور الطبيعي فيما أتصور.

**** النقد أمانة، متى ما تحكم فيه الهوى فقد أمانته ومصداقيته.**

إن التجديد وعي بالموروث أولا، وإعادة إنتاج للوافد ثانياً بما تقتضيه هذه الإعادة من توطين وتوظيف وتلاؤم وانتقاء.

هذه الأمة عصيّة على الطغاة:

**** في هذه الأيام القاسية في حياة الأوطان والشعوب الإسلامية على المستويات الإقليمية والعربية والعالمية. كيف تستشرفون المستقبل؟ وهل ترون الانحطاط الفني والأدبي انعكاساً لهذا المناخ العبثي وذلك العجز القائم أم ماذا؟**

* المستقبل بيد الله أولا وأخيراً، وأمتنا الاسلامية مع ما تعيشه من أحداث وكوارث وهوان، ليست هى الأمة التى تموت مجاناً، أو تنتحر هرباً من المقاومة فمازالت تملك في باطنها عناصر الرفض والتمرد والغضب على ما يجري لها ويراد منها.. لو أن أمة أخرى حدث لها ما حدث لأمتنا لماتت على الفور ولانتهت مباشرة، ولكنها تعرضت للغزو العسكري المباشر فجاهدته، وجاء الغزو الاستيطاني فقاومته،

وحوربت سياسياً واقتصادياً وثقافياً، ومازالت تستعصي على المحاربين الطغاة المستبدين الأقوياء.. وذلك كله لسبب بسيط هو أنها من خلال قلة من أبنائها الصالحين ـ تملك الإيمان واليقين.

إن الانحطاط الفني والأدبي ما هو إلا عرض لمرض، وحين يزول المرض يذهب العرض ويعود المريض الى طبيعته الأصلية المنتجة والفاعلة والمؤثرة.. إنها الابتلاءات والتمحيصات والاختبارات.. وبعدئذ يتم الفرز والاختيار. تتكالب علينا الأمم بسبب تقصيرنا وقصورنا وعندما نأخذ ـ أو فريق منا ـ زمام المبادرة تتغير المعادلة العالمية بأكملها. انظر الى «حزب الله» مثلا .. كيف أرغم العدو اليهودي في جنوب لبنان على الانسحاب ـ بل استجدائه ـ هرباً من مبادرة حزب الله؟ أقول مبادرة بمعناها الحقيقي، وليس المعنى المبتذل.. أقصد المبادرة التى تعني العمل والفعل والتنفيذ والمواجهة، وليس الصمت والكلام والجمود والهروب.

إذا كان الأدب يعكس حالة العبثية القائمة فهذا أمر طبيعي، وكما قلت في البداية إن إقصاء الأدب الأصيل والفن الجيد حلقة في سلسلة القهر والحصار توازي إشاعة أدب الانحطاط والخواء والتجديف والجنس والابتذال.. وعندما تستعيد الأمة عافيتها بفضل الله سبحانه وتعالى سيصبح كل ذلك نسياً منسياً {**ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**} (يوسف/ ٨٧).

الظرف .. يحكم :

**** خلافاً لممارسة الإبداع وتعاطي الأدب من خلال الدراسات الأدبية والنصوص النقدية، أين نجد أديبنا الكبير الدكتور حلمي القاعود في معالجة فنون الأدب نثره وشعره؟.**

* في بداياتي الأدبية كتبت القصة القصيرة والرواية، وقبل ذلك نظمت بعض الأشعار القليلة ـ لم أعد أذكر منها شيئاً ـ وللأسف لم أهتم بالجانب الإبداعي مع أني نشرت مجموعة قصصية، ثم رواية طويلة، ولدي مجموعة قصصية متفرقة نشرت في دوريات مختلفة. ولدي مشروعات روائية عديدة بدأت في كتابة عدة فصول منها.

لقد كانت الظروف السياسية والاجتماعية التى تغيرت بحدة بعد حرب رمضان واقعاً قوياً الى الكتابة المباشرة، وهي نمط صعب ومتعب، ولكن لا مفر منه، وخاصة حين لا تجد من يقول الكلمة الضرورية والصريحة إلا نادراً. إن البعض يجيد المناورة والمراوغة، واستخدام الكلمة الزئبقية.. وفي قضايا الأمة المصيرية يجب أن تقول كلمتك بوضوح ومباشرة إذا استطعت أن تقولها، وإلا فليكن الصمت هو الاختيار البديل.

عموماً آمل أن يتاح لي مستقبلا ـ إذا شاء الله ـ أن أعود الى الرواية والقصة القصيرة، ومواصلة القراءة النقدية والدراسة الأدبية للإبداعات الجديدة والقديمة على السواء .

**** الحداثة خديعة كبرى استغلت المراوغة لدلالة اللفظ لاستقطاب اكبر عدد من المثقفين.**



الانتحار.. العدوان على الذات

لعل من بين أكثر ما يميز الحضارة المعاصرة هو هذا التناقض ما بين الواقع الإنساني المخترق من قبل العديد من الآفات الذاتية وبين قدرة هذه الحضارة على رفد الإنسان المعاصر بكل ما من شأنه أن يجعل منه سعيداً ومحصناً ضد ما يعرض له من آثار هذه الآفات. لذلك نجد أن البلدان الأكثر تحضراً هي في الوقت عينه الأكثر ابتلاء بآفات من قبيل الإدمان والانتحار وغير ذلك من تجليات انسياق الفرد وراء أوهامه الذاتية على حساب الالتزام بما يمليه عليه الانتماء إلى المجتمع من ضرورة إيلاء الآخرين ما يستحقونه من احترام لحرياتهم الشخصية وإحجام عن التعرض بسوء لممتلكاتهم ومقتنياتهم، فكلنا أدهشه ما تناقلته وكالات الأخبار من حوادث مفجعة أبطالها أطفال أو مراهقون بلغ بهم الإفراط في التحليق بعيداً عن الواقع ما جعل منهم ينقادون الى متاهات الإدمان على المسكرات والمخدرات أو الى الإقدام على قتل أنفسهم أو قتل الآخرين بدم بارد!

د. فرح فلاح الخواجة
- الاردن -

يشكل الانتحار السبب الثالث للموت بعد الحوادث كسبب أول والقتل كسبب ثان في سن المراهقة وبداية مرحلة الشباب من ١٥ ـ ٢٤ سنة. وهو السبب الثاني للموت عند رجال الجنس الأبيض. وقد بينت الدراسات بأن نسبة الموت بالانتحار زادت خلال المدة ما بين ١٩٨٠ ـ ١٩٩٥م، وشكل الجنس الأسود الحصة الأكبر من هذه الزيادة (زيادة بنسبة ١٤٦٪ مقارنة بـ ٢٢٪ زيادة في النسبة للجنس الأبيض في المدة نفسها).

ففي الولايات المتحدة تعزى حوالي ١٪ من حالات الموت في السنة للانتحار، وأغلب المنتحرين هم من كبار السن ولكن هناك زيادة متواصلة في أعداد من يقدمون على الانتحار من المراهقين وبقية الاعمار. وقد شكلت النرويج وفنزويلا أعلى نسبة للانتحار في عمر المراهقة. ولقد بينت الإحصائيات بأن نسبة الانتحار أعلى عند الرجال مما هي عند النساء بنسبة ٣ : ١، أما المحاولات الانتحارية فان نسبتها أعلى عند النساء مما عند الرجال بمقدار ٤ : ١.

ويُعرَّف الانتحار بأنه المحاولة الناجحة أو غير الناجحة لقتل النفس عمداً مع سبق الإصرار. علماً بأن محاولات الانتحار غير الناجحة تفوق المحاولات الناجحة عدداً.

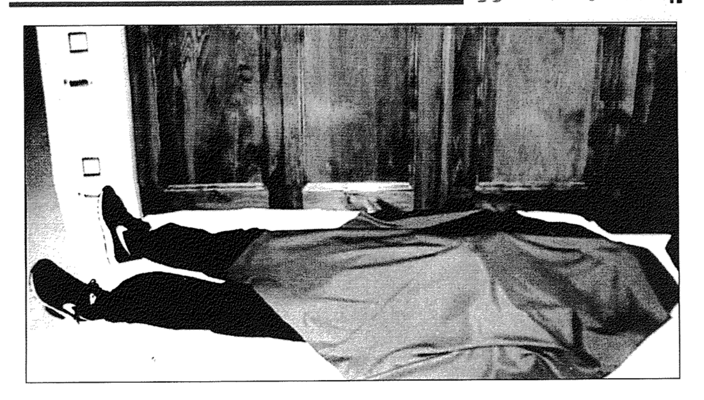
أما الطرق المستعملة للانتحار فتتنوع اعتماداً على المتوفر من أدوات القتل إضافة إلى الثقافة العامة للشخص. كما ويلعب الجنس دوراً في هذا؛ إذ نجد أن الرجال يستعملون عادة الطرق العنيفة في الانتحار كالشنق والطلق الناري على اختلاف أنواعه وقطع أوردة اليد مما يسبب نزفاً شديداً. في حين تستعمل الإناث الحرق وتعاطي الأدوية السمية واستنشاق الغازات المنبعثة من عادم السيارات. ويعتبر الطلق الناري أكثر الطرق المستخدمة في الانتحار.

العوامل المؤدية الى الإقدام على الانتحار :

أما أسباب الانتحار فهي متعددة جداً ولا يمكن إرجاعها الى سبب معين؛ ولعل من الأسباب المساعدة على جنوح الفرد الى التفكير في الانتحار ما يلي:

١ ـ العوامل الوراثية والجينات: حيث تكثر نسبة الانتحار بين التوائم المتشابهة، أما التوائم غير المتشابهة فلم يتم التوصل إلى تحديد أية نسبة تذكر. كما أن نسبة الانتحار تكثر في العائلات التى يعاني أفرادها من الأمراض النفسية التى يعتقد أنها يتم توارثها.

٢ ـ الأمراض والمشاكل النفسية : كالانفصام



(الشيزوفرينيا) والكآبة والخرف dementia، وقد بينت الإحصائيات بأن ٩٠٪ من التصرفات الانتحارية تكون عادة مصاحبة لأمراض نفسية.

٣ ـ اختلاف في نسب الهرمونات والإنزيمات في الجسم: وأهمها السيروتونين ومشتقاته، حيث تبين أن نسبته قليلة في الدم والسائل الشوكي عند المنتحرين كما وتبين أن نقص السيروتونين يزيد من نسبة الانتحار بـ ١٠٪. وقد لوحظ أن نسبة هذا الهرمون قليلة في الأشخاص الذين استعملوا الطرق العنيفة لقتل النفس. إضافة الى أن تركيز المونوامينوكسيديس Monoamine oxidase في الدماغ والأقراص الدموية يكون قليلا عند المنتحرين.

٤ ـ الشذوذ ومشاكل الإستيعاب السليم للجنس.

٥ ـ المشاكل الإجتماعية: وقد وجد بأن نسبة الانتحار تزيد عند المطلقين، العاطلين عن العمل، والذين يعانون من صدمات اجتماعية شديدة كفقدان شخص عزيز وغيرها. وهي قليلة عند المتزوجين الذين أنجبوا أطفالا أو المتزوجين بصورة عامة. كما تبين أن النسبة تكثر عند الأطباء، وبصورة خاصة الطبيبات، المحامين، أطباء الأسنان، رجال الشرطة.

٦ ـ تعاطي العقاقير والأدوية المخدرة.

٧ ـ الأمراض المزمنة والأمراض الخطرة كالسرطان ونقص المناعة المكتسب (الايدز). وتزيد النسبة بصورة خاصة عند مرضى الغسيل الكلوي، إضافة الى الأمراض التى يصاحبها قلة في الحركة، التشوه جراء التعرض لإصابات، والألم المزمن.

إضافة الى عوامل أخرى ثانوية كتوفر المواد

المستعملة للانتحار وانعدام المساعدة الاجتماعية للأشخاص الذين كان لهم محاولات انتحارية سابقة.

ومن الواجب على كل طبيب بل وحتى كل شخص يعلم بتوفر نية الانتحار لدى شخص ما أن لا يتجاهل ذلك ويعتبره أمراً غير مهم، خصوصاً إذا تحدث الشخص المعني عن خطة للانتحار مسبقاً. وقد وجد أن ثلثا الأشخاص يعيدون المحاولة خلال مدة سنة من المحاولة الأولى. كما أن ١٠٪ من المحاولات الفاشلة للانتحار تتبعها محاولات أخرى بعد مدة قصيرة من الزمان.

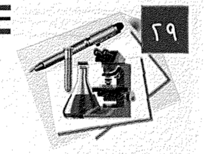
التقويم :

التصرف الانتحاري قد يزيد أو يقل اعتمادا على التغيرات الداخلية للمريض وعلى وعيه وبيئته. لذلك يمكن منع الانتحار بالتدخل بأحد أو كل هذه العوامل. كما ينبغي أن يصار إلى تقويم الفارق بين ميل المريض للعيش والموت؛ وقد تبين بأن ٨ من أصل ١٠ من المنتحرين كانت لهم محاولات انتحارية أو تهديدات كلامية بالانتحار سابقة. ويبقى من المهم على الدوام التشديد على ضرورة وجود الدعم العائلي والمجتمعي، حيث يتوجب على العائلة، وكذلك عموم أفراد المجتمع، معرفة أهمية الدعم النفسي والعائلي في منع محاولات أخرى للانتحار ، وقد يحتاج ذلك إلى التحدث مع العائلة بشكل مكثف.

العلاج :

إدخال الشخص الى المستشفى وذلك إذا كانت نسبة الخطر على حياته كبيرة، وهذا بسبب من رغبة المريض المستمرة في الموت أو شدة الحالة النفسية التي يعاني منها أو بسبب غياب الدعم الاجتماعي والعائلي الكافي. كما أن الدخول الى المستشفى ضروري جداً في معالجة الأضرار الناتجة عن المحاولة الفاشلة للانتحار كالجروح والحروق وغيرها إضافة الى الاستشارة والمعالجة النفسية ومحاولة إلقاء الضوء على الأسباب التي دفعت بالشخص إلى الإقدام على هذا العمل، ويتم ذلك من خلال استشارة أخصائي الأمراض النفسية الذي قد يستمر في معالجة الشخص خارج المستشفى ولمدة طويلة من الزمن.

كما يجب التشديد على أن بعض المحاولات الفاشلة قد تكون مدروسة جيداً وهدفها الوحيد هو جلب الانتباه والشفقة وليس الموت الحقيقي! إلا أنه لا ينبغي تجاهل السبب الذي جعل هؤلاء يفكرون بالإقدام على سلوك هذا المنحى المنحرف في استدرار العطف واستجلاب الانتباه. فقد تبين أن كثيراً من هؤلاء يعانون من أمراض نفسية أو ضغوطات اجتماعية.. بالإمكان تقديم المساعدة لهم لتجاوزها وذلك ليعودوا أفراداً أسوياء. كما أوضحت البيانات الاحصائية أن بعضاً من هؤلاء يقتلون أنفسهم دون قصد منهم بكل تأكيد، جراء تكرار المحاولات الانتحارية مرات ومرات.



القنبلة الموقوتة في السُّمنة المقوته!

أحماض أدبية

* حدّث ابن قتيبة[١] قال :

دُعينا ذات ليلة إلى مأدبة كريمة في بيت الطبيب النطاسي والحكيم الجالينوسي أبي بكر الرازي[٢]، فقدّم لنا طعاما شهيا ثم أتبعه بالفالوذج[٣] وهو يطوف علينا يغرف لهذا ويزيد هذا، فقال له أحد المزاحين مداعبا: يا أبا بكر، هلا أمتعتنا بالغناء كما أمتعتنا بالعشاء؟!

قال : هيهات، إن الغناء الذي يخرج من بين شارب ولحية لا يستعذب[٤]! ولكن سيمتعنا ابن قتيبة بأحاديثه الحلوة، وأشار إليّ فقلت: لن أبعدكم عن جوّ الموائد اللذيذة والولائم الفريدة إلا بالمضيرة:

قال رجل لبعض البخلاء: لمَ لا تدعوني إلى مضيرتك وأنت جاري منذ عشرين سنة؟! فقال: لأنك جيد المضغ، سريع البلع، إذا أكلت لقمة هيأت أخرى! قال: سبحان الله، يا أخي، أتريد إذا أكلتُ عندك أن أصلّي ركعتين بين كل لقمتين؟!

وقال طفيليّ: إذا حُدثت على المائدة فلا تزد في الجواب على نعم، فإنك تكون بها مؤانسا لصاحبك، ومُسيغا للقمتك، ومقبلا على شأنك!

وقال أحدهم يمدح صاحبه :

نعم الصديقُ صديقٌ لا يكلّفني
نبح الدجاج ولا شيَّ الفراريج!

وقيل لمدني: ما حدّ الشبع؟ قال: لا عهد لي به فكيف أصف مالا أعرف!

وقيل لبخيل : ما حدّ الشبع؟ قال: الشبع حرام كلّه!

وقيل لطفيليّ : ما حدّ الشبع؟ قال : أنْ يحُشى حتى يُخْشى!

قال ابن قتيبة: فانتهزتُ الفرصة لأحوّل الحديث من التسلية إلى الفائدة فقلت: يا أبا بكر الرازي، أنت طبيبنا الأول غير منازع، ورئيس أطباء البيمارستان[٥]، ومبتكر خيوط الجراحة، ومرهم الزئبق، وحمض الزاج، ومعالج الجدري والحصبة، فما حدَّ الشبع؟!

قال : ما عدّل الطبيعة، وحفظ المزاج ، وأبعد عن العلاج، وأبقى شهوة لما بعد، لأن المعدة إذا شبعتْ جاعت الجوارح: فتصبو العين إلى النوم ويرنو اللسان إلى الهذر ويتشوق الفرج الى الشهوة، ويتثاقل المرء عن الطاعة، وذلك لأن البطنة تُذهب الفطنة!

قلت : فتح الله عليك، كأنكم معشر الأطباء تريدون أن تمنعوا الناس من التلذذ بالأطعمة والتمتع بالأشربة!



د. أحمد عطية السعودي

- الأردن -

قال : كيف نمنعهم مما أحلّ الله لهم وقد قال سبحانه {وكلوا واشربوا ولا تسرفوا}[٦] ولكننا ننصحهم حتى لا يكون أحدهم كما قال الشاعر:

لا بأس بالقوم من طول ومن عِظَم

جسم البغال وأحلام العصافير!

قلت : وماذا يكون لو صارت أجسامهم كالبراميل، وأنوفهم كالخراطيم كأنف ابن حرب الذي قيل فيه:

لك أنف يا بن حرب

أنِفَتْ منه الأنوف

أنت في الأقصى تصلي

وهو بالبيت يطوف !

قال : سامحك الله يا أبا محمد، استسمنت ذا ورم، ألم تعلم أن السمنة خطر محدق، وداء مطبق، وأن الأمة اليوم أحوج إلى جيل راسخ العلم، ثابت القيم، صحيح الجسم، قوي العزم، وليس الى جيل إسفنجي: لسانه عربي وفكره غربي، خائر القوى، مستسلم للعدا، قد صدق عليه ظن القائل:

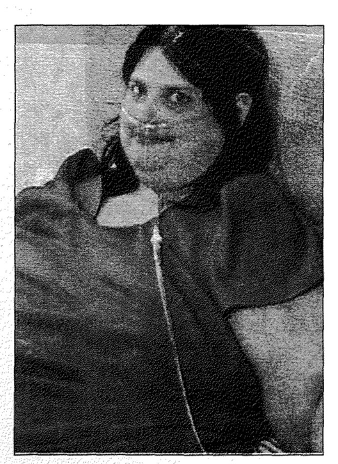
وإذا ما خلا الجبانُ بأرض

طلب الطعن وحده والنزالا!

قلتُ : وما بلغ من خطر السمنة يا أبا بكر؟

قال : أرايت إلى الكوسة التى تحشى بالأرز واللحمة، أو ورق العنب أو اليقطين أو الملفوف وما يحشى فيها من الصُّنوف، فكذلك السمنة المفرطة تحشى بالأمراض القلبية، وتصلب الشرايين، وارتفاع ضغط الدم، والتهاب القولون، والأمراض السرطانية، والذبحة الصدرية!

قلت : أعوذ بالله من السمنة وحشوها المعروف ومن كل المحاشي والملفوف إلا اللفيف المقرون والمفروق[٧] فانه لمعشر النحاة كقطر الندى وبل الصّدى، ولكن ما نقول يا أبا بكر لرجل أكول سمين قيل له: ما تحبّ؟ قال: أحب أن أرزق ضرسا طحوناً



ومعدة هضوماً، واحبّ قلة الفكرة، وطول الدعة، والنوم على الكظة!

قال أبو بكر: ما أقول له إلا ما قال الرسول (صلى الله عليه وسلم): «ما ملأ آدميّ وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»[٨].

قلت : وما نصنع بأصحاب المطاعم الفاخرة والمتنزهات الفارهة والفنادق الزاخرة، وقد حشدوا فيها الأطعمة الدسمة، والمقبلات المشهية، والأطباق المغرية، والحلويات والمشروبات؟!

قال : إنهم تجار يبغون الدولارات، وإن صحتك أغلى من الذهب، فلا تجار ذوي الأهواء والأمعاء فتهلك ويشمت بك الناس كما شمت الثعلب بالذئب!

قلت: وكيف كان ذلك يا أبا بكر أيها الطبيب الأديب؟!

قال :

كان ذئب يتغدّى
فجرتْ في الزّوْر عظمةْ
منعته الأكل حتّى
أهلكتْ بالجوع جسمهْ
فأتى الثعلبُ يبكي
ويُعزّي فيه أمّهْ
قال يا أمُّ صديقي
فيَّ ممّا فيك غُمّةْ
إنَّ ما يحزنُ حقاً
قولهم: مات بعظمةْ[٩]

قلت : أحسنت فلقد أجدت في الطب وأفدت في الأدب، فما السبيل الى تجنب السمنة، والتخلص من التخمة؟

قال : الاعتدال في الأكل والشرب، وتناول الماء العذب، والتقليل من الاملاح والتوابل، وتجنب الأطعمة المعلبة، والاكتفاء بقليل الحلوى، وأكل الفاكهة الطازجة وممارسة الرياضة النافعة والنوم المبكر، واليقظة مع الفجر، والصيام فإنه يعدّل القوام! واعلم أن قليل البروتينات والفيتامينات يغني عن كثير الدهنيات والنشويات، وأنه لا يصح بدن بغير غذاء متوازن.

قلت : صدقت والله، درهم وقاية خير من قنطار علاج:

وكم من أكلة منعتْ أخاها
بلذة ساعة أكلات دهر
وكم من طالب يسعى لشيء
وفيه هلاكُه لو كان يدري!

ولكن يا ابا بكر، أليس الجسم أحوج الى سعرات حرارية[١٠] تساعده على الحركة وتوليد الطاقة؟!

قال : بلى، ولكن ما حاجة الإنسان الى كرش كالخزان، وفم ككفة الميزان، ومعدة كرحى الطحان كما قال الشاعر الجوعان:

طحنّا في بني ذُهل
وقلنا الكرشُ خزانُ
عسى الأسنانُ أنْ يملأن
بطناً فيه ثعبان[١١]!

وما حال سُعراتك الحرارية إذا امتزجت بالسحب الدخانية، والإشعاعات النووية، أو ارتطمت بالارتفاع الحار في الأسعار؟!

قلت : على الله الاتكال، فما الوزن المناسب للاعتدال؟

قال : أنسبُ الوزن ما كان نصف طول الجسم على أن تحذف منه عشرين، فإذا كان طولك يابن قتيبة مائة وثمانين سم فإن وزنك ينبغي أن يكون سبعين كغم!

قلت : ما معنى سمْ وكغمْ؟ أهي من السُّم الناقع في الطول الفارع، ومن الغمّ الواقع على البطن الجائع؟!

قال : هما وحدتان لقياس الطول والوزن نهتم بهما حال الفحص السريري للمريض فإذا زاد وزنه أمرناه بالحمية، فإنها رأس الدواء والمنقذ من الأدواء وإلا أجرينا له عملية لشفط الدهون!

قلت : فإن لم يفعل ، ومضى واستكبر؟!

قال : فإنه إذن في خطر من قنبلة تكاد تنفجر!

قلت : ياإلهي، وأين هذه القنبلة المرعبة وشظاياها الملتهبة؟!

قال : إنها كامنة في السمنة ويكاد فتيلها يشتعل بجلطة حادة تسدّ الشرايين، وتفجر الأنسجة، وتدمر الأوردة، فلا تسمع إلا الصراخ والعويل بعد هلاك ذي الوزن الثقيل بفعل فيه، وطحن امعائه وعزف يديه!

قلت : اللهم نسألك العفو والعافية، لقد أرعبتني يا أبا بكر، وما عهدي بك إلا رقيقاً رفيقا، وإني بعد الليلة لن أزيد على الاعتدال، ولن أخالف نصحك أيها المفضال!

قال : هكذا أريدك يا أبا محمد، فإن شعرت بالفتور فراجع كتابي «الحاوي» واقرأ فصله المشهور: «القنبلة الموقوتة في السُّمنة الممقوتة»!!

الهوامش :

(١) ابن قتيبة: هو أبو محمد عبد الله بن مسلم، من أئمة الأدب، ولي قضاء دينور فنسب إليها، له عيون الأخبار وأدب الكاتب، ت ٢٧٦هـ.

(٢) أبو بكر الرازي: محمد بن زكريا الرازي ولد بالري، وتعلم الكيمياء والفلسفة والطب، ونبغ في الطب وألف أكثر من (٢٠٠) كتاب أشهرها «الحاوي» وبه اشتهر حتى صار طبيب العرب الأول، ت ٣١١هـ - ٩٢٣م.

(٣) الفالوذج : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل وتصنع الآن من النشا والماء والسكر.

(٤) هذا القول للرازي نفسه عندما كبر وترك الموسيقى والغناء.

(٥) البيمارستان أو المارستان: المشفى أو المستشفى.

(٦) الأعراف آية ٣١.

(٧) اللفيف في الصرف: هو اجتماع حرفي علة في الفعل وهو نوعان:

(أ) المقرون: طوى، هوى ، نوى.

(ب) المفروق : وعى، وشى، وفى.

(٨) رواه أحمد والترمذي.

(٩) هذه الأبيات لأحمد شوقي (ت ١٩٣٢م).

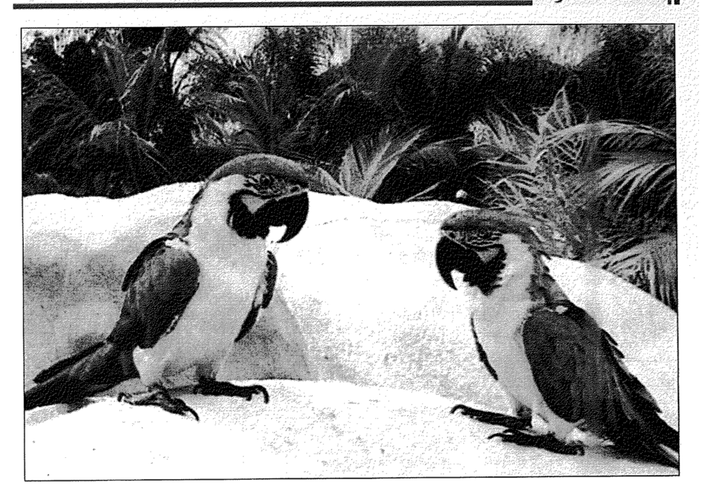
(١٠) السُّعْر : وحدة لقياس الحرارة (كمية الحرارة اللازمة لرفع درجة حرارة ١ غم ماء لدرجة مئوية واحدة).

(١١) أصل البيتين:

صفحنا عن بني ذهل ... وقلنا القومُ إخوانُ

عسى الأيام أن يرجعن ... قوماً كالذي كانوا

وهما للشاعر الجاهلي الفند الزماني في حرب البسوس.



الطيور

قال لي البلبل لما ... فلنا بحر ونصف

خنت فيه الكروان ... في التحري، في المظان

هل لكم سبعة عشر ... بهما تمتح منا

من موازين حسان؟ ... الرغبتان الأوليان

إنكم أفصح منا ... وبنا خصكم الله

ولكم نحن نصان ... فهل ذلك بان ؟



أ.د. كمال اسماعيل

- مصر -

هـلْ لـكـمُ قُـرَّاؤكُـمْ

قُـرَّاؤُنا الشَّـاءُ الخـشـانْ

* * * *

يـا أخـى أقـبـلْ لأرض

قـدْ خلتْ للـطـيـران

ليس فـيـهـا ينفعُ المشى

عـلـى الصـخـر يـدانْ

وبـهـا كـان الجناحُ اليـد

والأرجُـل ، كـانْ

فـهـى من أسـفل للأعلى

وقُـوفٌ كـالكـيـان

وبـهـا المثـوى قـيـامٌ

وبـهـا الـنـومُ ارتـكـانْ

وبـهـا سـبحٌ طـويـلٌ

وافـتـراقٌ واحـتـضـانْ

والصـمُـودُ الله قـوا

هـا عـليـه وأعـانْ

* * * *

لو رأيتَ الطيـر فـيـهـا

فـي تـنـاء، فـي تـدانْ

قُـلْـتَ إنَّ الطَّـيْـر فـي

جُـمـلتـه نُفًـا خـتـانْ

قُلت كـالدَّفْـتـر في عُـهـدة

أسـلاك مـتـانْ

قُلت إن الطيـر تلمـيـذٌ

بـأوراق ثـمـانْ

قُلـت إن النـاس في الطَّيـر

قـيـاسٌ وضـمـانْ

فـتـعـالى من رأى في

وحـدة الكون الصـيـانْ

* * * *

قُلْتَ مُـدَّتْ منْ يد الله حـبـالٌ في ثوان

تُمـسكُ الطَّيـر عن الزَّلة ، تؤتَى لمبـانْ

قُلتَ آيات سـعتْ للطيـر ، أسـرى سُلَّمـانْ

قلتَ إن الله حيٌّ وجـمـيعُ الخلق فـان

قُلتَ بُعداً للعَصَـا ماذا تفـيـد العَصَوَانْ؟

قُلت إن الدين في الطَّيـر قـصـارى الاتزانْ

إن لفظ الله فـيـه هُـو إمـلاء البنانْ

قلت : هل من طائر يعلو، أحسُّ الغـثـيـانْ

قلت للطائر في كل انتشار فرحتان
وهو في شُغل كبير ، في اغتسال ، في قِران
أو بناء ، أو عزاء ، أو كراء، أو ختان
وهو فرد ، وهو جنس ، وهو إنس ، وهو جانْ
وهو حينا لوحُ ثلج وهو ملحُ النويان
لا يعاديه هواء لا يُبَارَى، لا يُخَانْ

* * * *

وعن المسئول عنهُ
حارسان ماردانْ
جبلان اعتصما
بالبعض ، في غير امتهانْ
جبلان استأنسا بالجوّ
جازا الامتحانْ
وسُقُوطُ السهو من
بينهما ليس الرهانْ
وَحَمام جبليٌّ
ليس فيه الشنَآنْ
فيه بعض من بُخارى
وبعْض منْ عُمانْ
وصقليٌّ ، وفاسيٌّ
وزنجٌ ، ويمانْ
ومن الأزهر ، من تحت
قباب القيروانْ

* * * *

يا أخي كل لهُ
منًّا مطارٌ ، ومكانْ
ورموز خفيت، فيـ
ـها معان ومعانْ
فالذى لاذ بفتق
ورعاهُ الثقلانْ
والذى صاحب أفقا،
وتعاطى الحومانْ
والذى زامل بحرا
تحتهُ ، في هيجانْ
وهو حاكى آخر العمر
وقُرْب التيهانْ

* * * *

وأنا مُختلفٌ وحدى
فتفريدى افتتانْ
فلعُصفُور المباني
نفسٌ أو نفسانْ
وله وزن قصير
ويد ، أو سببانْ
ولهُ قولٌ سريع
رشفة أو رشفتانْ

علـه بـعضُ انبــــهــــــار
أو أســــــى ، أو هــــــنيــــان
أو ســــبـــابٌ عـــــصـــبيٌّ
أو شــــخُـــوصٌ من فـــــلانْ
وأنــا أحــــتــــضنُ الكوْن
بـدعــــوى الاقــــتــــرانْ
وأراهُ فــــــي تــــــأن
فــي تــرو ، فــي افـــــتــنــانْ
وهـــواء أخـــــــنتــــهُ
مــــنْ يـديـه الـرئـتـــــانْ
أنـا أبقـــــيــــه بصـــــدرى
ويـوشــــيــــه اللســـانْ
أنـا وشـــواش كـــبـــيــــرُ
أنـا لـي وشــــوشــــتــــانْ
ووقــــــوفـي أفــــقـى
وهـــو رأســيٌ الـكـيـــــانْ
قـــــــال فـي كـل مـكـان
ولـــدى كُـــل زمـــــــانْ
لـيـس لـلـه شــــريك
لـيـس لـلـخــــالـق ثـانْ

* * * *

يـا أخـى أقــــبـلْ بحُـبٍّ
ليـس من طيـــر جـــبـــانْ
نـــحـــنُ فــي ممـــلـكـــة ، مـــن
عــــسكريـيـــهـــا الحـصـــانْ
وأبـو قـــردان فـــيـــهـــا
عــــــسس ، أو ديـدبـان
ثـم إن الملك المقـــصـــود
فـــيـــهــــا بالصـيـــان
أنـــا ، والـطـــاوُوسُ والــنــســـ
ـــرُ عـلى إحــــدى اللجـــانْ
والـهــــوائـيــــاتُ للطــيــــر
عـــــبـــيــــدُ كُـلَّ آنْ
ولـهـــــا أســـلاك بـرق
طـائـعــــاتٌ فـي الـبـنـانْ
وأنـا مـــفـــتـيك في الطيـــر
فـــكـــف الـــروغـــانْ
كم تـلا جـــســمي خـــوخـــا
لايـن الخـــوخ اللـيـــانْ
أو عـلـى الـوردة قـــــد حـط
فـــصـــار الطيـلســـانْ
أو إلـى أشــجـــار جـــوز
قـــد نــأى ، أرخـى الـعـنـانْ
أو عـلـيـه مـن قـــريـب
قـــدْ تـولىٌ حـــارســـانْ

هل أحرق أبو حيان التوحيدي مؤلفاته؟؟

في رسالة جوابية، كتبها التوحيدى الى القاضى أبو سهل علي بن محمد - وحفظها ياقوت الحموى - تحدث أبو حيان عن إحراقه كتبه، وبرر هذا الإحراق، وهو يرد على اعتراضات القاضى أبو سهل.. وتاريخ هذه الرسالة شهر رمضان ٤٠٠هـ - ابريل - مايو ١٠٠٩م.

ولقد فهم السيوطى، خطأ، أن هذه الكتب التى أحرقها التوحيدى هى «مؤلفاته .. ومصنفاته»، و«اجتهد» للتوفيق بين هذا الفهم وبين وجود مؤلفات ومصنفات للتوحيدى، فقال: «ولعل النُّسخ الموجودة الآن من تصانيفه كتبت عنه في حياته، وخرجت عنه قبل حرقها»[١].

ومنذ ذلك التاريخ، ظل الذين يكتبون عن التوحيدى يسوقون هذا الفهم الخاطىء - بل الوهم الذى لا ظل له من الحقيقة - كدليل على إدانة عصر التوحيدى - الذى ألجأ هذا المؤلف إلى إحراق ثمرات عقله[٢] - بل واتخذ نفر من منحرفى الهوية من هذا «الفهم - الوهم» دليل إدانة للحضارة التى ضاقت بعبقرية أبى حيان!.. مع أن الرجل قد عاش في عصر ازدهار الفكر الحر، والحرية الفكرية، التى جعلت مصنفاته «معرضا» لمختلف المذاهب والمقولات والمقالات!.

ولعلنا، في هذا المقام، نكون أول من يعرض لهذا «الفهم - الوهم» بالتحقيق والتفنيد.. إن الكتب التى احرقها أبو حيان هى «مكتبته» وليست «مؤلفاته ومصنفاته».. «مكتبته» التى «جمعها» وليست كتبه التى «ألفها وصنفها».. وهى إحدى مكتبات مرحلة من مراحل حياته، جمعها في العشرين عاما التى سبقت سنة ٤٠٠هـ، أي بعد فشل تجاربه في طلب المكانة عند الوزراء.. وهو قد أحرقها لأنه ليس له من الولد والأهل من يرث هذه المكتبة الجامعة، التى جمعها هذا «الناسخ.. الوراق» العظيم.. وأصحاب «المكتبات» يتركون مكتباتهم للورثة، أما مؤلفاتهم فإنهم يؤلفونها للناس، وليس للوارثين!.

ولقد اقتدى أبو حيان، في إحراق مكتبته، بعدد من الذين سبقوه الى هذا الصنيع - من علماء عصره - وليس منهم من ضاعت مؤلفاته، احراقه لها، كما أن حديث التوحيدى عن صنيعهم هذا - كما سنرى في نص رسالته - قاطع بأن الكلام إنما هو عن إحراق «المكتبات» وليس عن إحراق «المؤلفات والمصنفات».. ثم إن وجود مؤلفات ومصنفات التوحيدى - والتى لم يفقد منها إلا كتاب واحد - شاهد على صدق هذا الذى نقول!.

يتحدث التوحيدى - في رسالته الى القاضي ابو سهل - عن الكتب التى أحرقها، فيقول «..إحراق كتبى النفيسة».. والمرء لا يصف مؤلفاته بالنفاسة، وإنما يترك ذلك للآخرين.. ويتحدث عن سبب هذا الإحراق، فيقول: «ومما شحذ العزم على ذلك.. أنى فقدت ولدا نجيبا، وصديقا حبيبا، وصاحبا قريبا، وتابعا أديبا، ورئيسا منيبا.. فشق عليَّ أن أدعها لقوم.. جاورتهم عشرين سنة فما صح لي من أحدهم وداد».. وليس هناك في الدنيا من يؤلف لابنه أو صديقه أو صاحبه.. وإنما يؤلف المؤلفون للناس، مطلق الناس، ولأنهم لابد وأن يسطروا أفكارهم على الأوراق!.. فالرجل هنا يتحدث عن إحراق مكتبته النفيسة، لأنه لم يكن لديه وارث يورثه إياها.

ثم هو يضرب الأمثال بمن اقتدى بهم في هذا العمل، فيضع أيدينا على ما يؤكد أن المراد هو إحراق «المكتبات» لا إحراق «المؤلفات».. فيقول: «وبعد، فلي في إحراق هذه الكتب أسوة بائمة يقتدى بهم.. منهم: أبو عمرو بن العلاء، وكان من كبار العلماء، دفن كتبه في باطن الأرض، فلم يوجد لها أثر. وهذا داود الطائى.. ويقال له تاج الأمة، طرح كتبه في البحر، وقال يناجيها: نعم الدليلُ كنت، والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول وبلاء وخمول. وهذا يوسف بن أسباط، حمل كتبه إلى غار في جبل، وطرحها فيه وسد بابه، فلما عوتب في ذلك قال: دلنا العلم في الأول، ثم كاد يضلنا في الثاني، فهجرناه لوجه من

وصلناه، وكرهناه من أجل من أردناه. وهذا أبو سليمان الداراني، جمع كتبه في تنور وسجرها بالنار ثم قال: والله ما أحرقتك حتى كدتُ أحترق بك!.

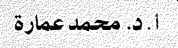
وهذا سفيان الثوري مزق ألف جزء وطيرها في الريح، وقال: ليت يديّ قطعت من هاهنا، بل من هاهنا، ولم أكتب حرفا، وهذا شيخنا أبو سعيد السيرافي، سيد العلماء، قال لولده محمد: لقد تركت لك هذه الكتب تكتسب بها خير الأجل، فإذا رأيتها تخونك فاجعلها طعمة للنار[٣]».

وجميع هؤلاء الأعلام، الذين اقتدى بهم التوحيدي في إحراق «مكتبته» قد أحرقوا أو دفنوا أو أغرقوا «مكتباتهم» وليس «مؤلفاتهم ومصنفاتهم».

فأبو عمرو بن العلاء (٧٠ ـ ١٥٤هـ/ ٦٨٩ ـ ٧٧٠م) «قد روى عن العرب الفصحاء كتبا ملأت بيتا له إلى قريب السقف. واتفق له أن تنسك، فأخرج هذه الكتب وأحرقها ـ أو دفنها في باطن الأرض ـ فلما رجع إلى علمه الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه».. ولقد ذكر له ابن النديم ـ في (*الفهرست*) ـ كتابا في *القراءات*، وعدة كتب أخذت عنه، منها (كتاب النوادر عن أبى عمرو بن العلاء) و(كتاب قراءة أبى عمرو، لابن مجاهد) و(كتاب ما خالف فيه ابن كثير أبا عمرو) لابن شنبوذ، و(كتاب الفصل بين أبى عمرو والكسائى) و(كتاب *الخلاف بين أبى عمرو والكسائى*) لأبى طاهر عبد الواحد البغدادى.. وله متفرقات، في الشعر والشعراء، واللغة، والنحو، متفرقة في كتب الأدب والطبقات[٤].

فالذى أحرقه أبو عمرو بن العلاء هى «المكتبة التى ملأت بيتا إلى قريب السقف»، وليست المؤلفات والمصنفات.. وتاج الأمة، داود الطائى، قد طرح في البحر ـ عندما تنسك وتصوف ـ الكتب التى اتخذها «دليلا» فكريا له، وذلك بعد أن «وصل» الى «الحق» سبحانه وتعالى، ولم تعد له حاجه إلى «الدليل».. ومعنى هذا أن الحديث إنما كان عن الكتب التى كان يستدل بها ويرجع إليها، وليس عن المؤلفات والمصنفات.

وما تخلص منه يوسف بن أسباط كان «مكتبته» ، التى احتاجت إلى «غار في جبل، طرحها فيه، وسد بابه» ـ وليس هذا بالوصف لمؤلفاته ومصنفاته.. ثم هو ـ عندما عوتب فى ذلك ـ تحدث عن انه إنما دفن «الدليل»، أى المراجع والمصادر، وليس المؤلفات التى ألفها.. والذى مزقه سفيان الثورى، وطيّره في الريح ، هو «مكتبته» التى بلغت عدة أجزاء كتبها ألف جزء.. ولم يقل عاقل إن هذا هو رقم



أ . د. محمد عمارة

- مصر -

المؤلفات التى صنفها هذا الفقيه!.

فحديث التوحيدي إنما هو عن إحراق «مكتبته» لافتقاره لوارث يرثها ويحافظ عليها.. وليس عن مؤلفاته ومصنفاته.. والشواهد التى ساقها قاطعة بأن هذا هو المراد.

ثم إن الحصر الدقيق لمؤلفات التوحيدى ـ والذى قام به واحد من أبرز المتخصصين فيه ـ تأليفا وتحقيقا ـ وهو الدكتور ابراهيم الكيلانى ـ يقول لنا إن عناوين هذه المؤلفات قد بلغت خمسة وعشرين عنوانا، المحفوظ بين أيدينا الآن منها اثنا عشر كتابا، هي أهم وأكبر مؤلفاته، ومنها اثنا عشر كتابا اطلع عليها المؤرخون وكتاب التراجم بعد عصر التوحيدى، وأثبتوا في كتبهم الكثير من صفحاتها.. وليس مفقودا من عناوين هذه المؤلفات إلا كتاب (النوادر) الذى ذكره *التوحيدى* في (*المقابسات*)[٥].

فمؤلفات الرجل لم تحرق.. وكانت سعيدة الحظ عندما نجا معظمها من عاديات الدهر.. وما فقد منها كان فقده في عصور متأخرة، بعد أن اطلع عليها عدد من الكتاب والمؤرخين.. ولعل بعض هذه المصنفات «المفقودة» أن يكون ضمن ما لم يفهرس ولم ينشر من ملايين المخطوطات.

هكذا أثمر «الوعى» بنصوص التوحيدى ذاته تبديد كثير من «*الأوهام*» *التى توارثها الخلف عن السلف*، حول «عقيدة التوحيدى» و«مذهبه»، وحول ما صنف وألّف من آثار.

الهوامش :

(١) بغية الوعاة ـ ص ٣٤٩.

(٢) شتيرن (دائرة المعارف الإسلامية) ـ مادة «أبو حيان التوحيدى» الطبعة العربية، الثانية، دار الشعب ـ القاهرة.

(٣) معجم الأدباء ـ جـ٥ ص ١٧ ـ ٢٢.

(٤) دائرة المعارف لفؤاد أفرام البستاني ـ طبعة بيروت سنة ١٩٦٢م.

(٥) د. ابراهيم الكيلاني (أبو حيان التوحيدى) ص ٣٧ ـ ٥١ ـ طبعة دار المعارف ـ القاهرة.



الخيول العربية الأصيلة في تونس

أصالة وحضارة وتاريخ :

تعد تربية الخيول العربية الأصيلة من أهم مقومات النشاط الاقتصادى والفلاحي في تونس، علاوة على ما لهذا الجواد من مكانة اجتماعية، باعتبار أن تربيته وتملكه ليس شيئا ميسرا للجميع، بالنظر الى غلاء سعره ارتفاع كلفة التربية، ومع ذلك فإن عدد الخيول العربية الأصيلة في تونس في تنام مطرد، كما أن عدد مالكي ومربي هذه الخيول في ازدياد متواصل، هو الآخر، من سنة إلى أخرى خصوصا أمام ما أصبح يدره الجواد من أرباح لصاحبه ومالكه جراء المشاركة في المسابقات الوطنية والدولية التى تنظم أسبوعيا في قصر السعيد بتونس العاصمة وتشرف على تنظيمها جمعية سباق الخيل الراجعة الى وزارة الفلاحة والبيئة والموارد المائية.

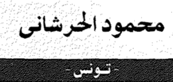
ويضم قطيع الخيول العربية الأصيلة التى تعيش حاليا في تونس حوالي ٢٠٠٠ رأس من بينها حوالي ٩٥ في المائة من هذا القطيع يملكه الخواص والبقية تملكها المؤسسة الوطنية لتحسين وتجويد الخيل ويتمركز أغلب المربين بمناطق الشمال ونسبتهم أقل بمناطق الوسط والجنوب، ويبلغ عدد المربين حوالي ٢٢٥ مربي خيول عربية أصيلة من بينهم نسبة ٢٦٪ تمتلك أكثر من ثلاثة رؤوس والبقية تمتلك من رأس إلى رأسين.

وقد أحيطت تربية الخيول العربية الأصيلة بعناية كبيرة من قبل الدولة، حيث أقرت الدولة إجراءات تشجيعية مادية وأدبية كبيرة لفائدة مربى الخيول العربية الأصيلة، كان لها الأثر الكبير في تطوير تربية الخيول العربية الأصيلة بتونس.

شبكة هامة من الإسطبلات :

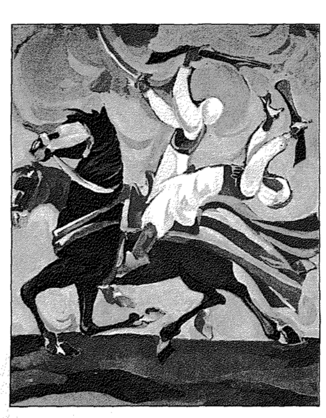
تتوفر بتونس شبكة متطورة وعصرية من اسطبلات الخيول العربية الأصيلة وأشهر هذه الاسطبلات اسطبل سيدي ثابت، كما توجد اسطبلات جهوية بكل من مدن رقادة والمكناسي وبنقردان، وهي مختصة في ازدياد وتربية الخيول العربية الأصيلة، وكذلك السهر على عمليات التجويد والوضع والولادة في أحسن الظروف.

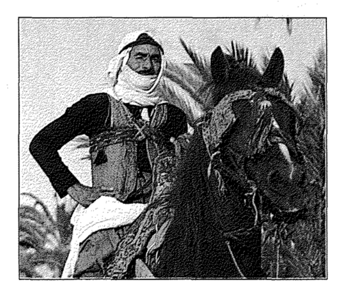
كما تجد شبكة من الاسطبلات الخاصة يبلغ عددها حاليا ستة عشر اسطبلا بعد أن كان هذا العدد لا يتجاوز الستة اسطبلات سنة ١٩٩١م وفي إطار مزيد الحرص على تطوير تربية الخيول العربية الأصيلة في تونس وفق قواعد متطورة وقوانين وتشريعات رائدة، تم إحداث المؤسسة الوطنية لتحسين وتجويد الخيل بموجب القانون ٨٢ لسنة ١٩٨٨م.



ومن المهام التى أوكلت إليها نذكر بالخصوص:

- تنظيم ومراقبة تجويد الخيول للعموم داخل الاسطبلات الوطنية والاسطبلات الخاصة.
- مسك دفاتر انساب الخيول حيث أن تونس عضو بالمنظمة العالمية للخيول العربية الأصيلة منذ سنة ١٩٧٨م وتوالي المؤسسة سنويا إصدار دفتر التونسي بالنسبة للخيول.
- كما تقوم هذه المؤسسة في نطاق المهام الموكولة إليها بتغذية قطاع تربية الخيل سنويا بمجموعة من الأمهار الممتازة التى تنتجها وتبيعها بالمزاد العلني، ومراقبة عمليات التجويد والعناية بقطيع هام من الفحول الممتازة ووضعه على ذمة المربين، وتبلغ نسبة





الازدياد في الاسطبلات الوطنية ٧٥٪ وتقوم المؤسسة سنويا بتنظيم مناظرات بين الأفراس والأمهار العربية الأصيلة وتمنح خلالها لمربي الخيول الفائزة جوائز مالية هامة الى جانب تشجيع إقامة المهرجانات الجهوية والوطنية المختصة في الخيول العربية الأصيلة على غرار مهرجان المكناسي للجواد العربي الأصيل.

سباقات الخيول العربية الأصيلة في تونس :

تعد سباقات الخيول العربية الأصيلة من أهم الأنشطة التى تساعد على تنمية وتطوير تربية هذه الخيول وتشرف على تنظيم هذه السباقات جمعية سباق الخيل.

وتأكيدا لما للجواد العربي الأصيل من مكانة متميزة في تاريخ تونس وحضارتها باعتبار أن تربية الخيول، تعد من أهم العادات المتأصلة في الشعب التونسي، تقوم المؤسسة بتنظيم سباقات الخيول الأصيلة بميداني قصر السعيد والمنستير سنويا طبقا لبرنامج يأذن به وزير الفلاحة، وينطلق الموسم بميدان قصر السعيد من منتصف شهر سبتمبر الى منتصف شهر جوان وبميدان مدينة المنستير من منتصف شهر يونيه الى منتصف شهر يوليه.

وتعتمد السباقات بتونس على سباق العدو، وتحتضن الميادين سنويا حوالي ٥٠ جولة متكونة من ٥ الى ٨ سباقات عموما وحسب المواقع والفصول وهي تشمل الخيول العربية الأصيلة والخيول الانجليزية الأصيلة، كذلك يقام مهرجان الجواد العربي الأصيل بالمكناسي.

السباقات الدولية :

وعلاوة على السباقات الوطنية، تنظم الجمعية خلال شهر يناير من كل سنة، سباقات دولية بميدان قصر السعيد بمشاركة خيول من الدول الشقيقة والصديقة.

أما السباقات التونسية فهي تعتمد على صنفين من الخيول العربية الأصيلة وكذلك الانجليزية الأصيلة المولودة والمربية بتونس، وتتوج هذه السباقات بتوزيع الجوائز.

نظرة تاريخية :

ترجع تربية الخيول العربية الأصيلة في تونس إلى مطلع القرن الماضي، وإن كان عدد من المؤرخين بالاستناد الى عديد الوثائق والشهادات يرون أن الجواد العربي الأصيل تواجد بتونس منذ بداية الفتح الإسلامي وقدوم الفاتحين الى هذه البلاد، والتى منها انطلق المد الإسلامي باتجاه مناطق أخرى من العالم.

ولقد حظيت تربية الخيول العربية الأصيلة بعناية كبيرة من قبل التونسيين، وولع عدد كبير منهم بتربيتها، ويذهب عدد من المؤرخين ومنهم المؤرخ أحمد الجدي إلى أن تربية هذه الخيول كانت بأيدي العائلات

الثرية والطبقات المترفهة والأعيان والقادة وعلّية القوم، وبعد الاستقلال سنة ١٩٥٦م شهدت تربية الخيول العربية الأصيلة في تونس عناية مطردة وأصبحت الدولة تشجع على تربية هذه الخيول.

توجد أصناف أخرى من الخيول : منها : الخيول الانجليزية الاصيلة ، وهي تمتاز بشهرة عالمية واسعة نظرا لرشاقتها وقدرتها على قطع السباقات ، كما تتوفر بتونس مجموعات كبيرة من الخيول البربرية . وهي الخيول الاكثر وجودا . وتمتاز بسهولة استعمالها في الركوب والاشغال الفلاحية ورياضة الفروسية . والى جانب الخيول البربرية توجد الخيول العربية ـ البربرية ، وهي خيول مولدة ، وهي أكثر سرعة ، وأوسع شهرة في مجال السياحة البيئية والريفية وركوب الخيل.



مهرجانات ثقافية احتفاءا بالجواد :

تاكيدا لمكانة الجواد العربي الاصيل والجواد البربري بالخصوص في الموروث الشعبي والحضاري تقام بتونس مهرجانات عديدة تجد الدعم الكبير من الدولة ، ومن هذه المهرجانات المهرجان الوطني للجواد العربي الأصيل بالمكناسي، ومهرجان الخيول البربرية بالبطان، كما تقام في سائر أنحاء الجمهورية مهرجانات متعددة للفروسية وقطب النشاط فيها هو الفروسية وسباقات الخيول.

لقد عرفت تربية الخيول العربية الأصيلة في تونس نهضة كبيرة وقفزة نوعية رائدة مرجعها الأساسي ما لهذا الجواد من مكانة متميزة في حضارة تونس وموروثها الثقافي المتنوع، ولقد اشتهرت بفضل هذه العناية عديد الخيول التونسية في الأسواق والسباقات الدولية للخيول، كما أن عديد المناطق التونسية المشهورة بتربية الخيول الأصيلة مثل المكناسي بالوسط التونسي تعد مقصدا لمربي وهواة هذا الصنف من الخيول.

خواطر مجنحة



يا غَارقاً في دُجى الفوْضَى بمنْ تثقُ

والكونُ حوْلك بالأطماع يحترقُ

والنَّاسُ مُسْرفةٌ في الظُّلم باغيةٌ

إنْ لمْ تجدْ سبباً للظُّلم تختلقُ

والعُمرُ أمواجُهُ هوجاءُ عاتيةٌ

ويستبدُّ بنا في شطه القلقُ

أعيشُ في زمن يلهُو بعاطفتي

أكادُ من حدَّة الأحداث أختنقُ

حملْتُ بين جُفُوني الأمنيات قذى

فكيف تهنأُ أجفاني وتعتنقُ

أذبتُ شمعة أيَّامي على سفهي

وضاع عُمري لا نجوى ولا ألقُ



أحمد سالم باعطب

- جـدة -

تقـانفـتني خُطى الشكوى مُـعـربدة أسـيرُ في طُرقـات العُمْر مُـغـتـرباً

لا النَّومُ أثلـج لي صـدري ولا الأرقُ والهمُّ والضَّيْمُ يقـتـاتان من بدني

أبيتُ أركُضُ والأحـلامُ تهـزأُ بي أبيتُ أسكُبُ في سمع الدُّجى ألمي

ويجـمـعُ الصَّحـوُ أحـلامي وينطلقُ ويسكُبُ الليلُ لحن اليـأس في أذني

كـتـبتُ في صـفـحـات الموت أغنيـتي عناكبُ الشكّ في صـدري مُـخـيِّمـةٌ

وزمـجـر الشُّؤمُ في الأحشاء والفـرقُ تحـوكُ بين حنايا مُـهـجـتي كـفـني

تحطَّمتْ في زوايا الطيش مـركـبـتي تلبَّـدتْ في سـمـاء اليـأس أخـيلتي

فطوَّحتْ بي في رمـضـائهـا الطرقُ ودمـدم الخـوفُ في قلبي فـهـدهـدني

يا لحظة من ربيع العُمـر مُهْرقَة أنا القـتـيلُ بسـفح المغـريات جـوى

على شـفـا جُـرُف هار من الوهن وقـاتلي شـبحُ الحـرمـان في زمني

يا باقـة غـضَّـة روَّيتُـهـا بدمي دفنتُ بين سـراديب الأسى ندمي

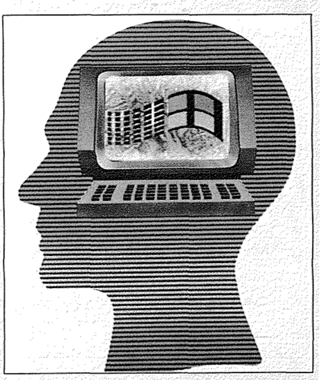
عَـدَتْ عليـهـا ليـالي السـوء والمحن فـدبَّ في الجوف مـسـعُوراً فـمزَّقني

تناثرت في صحـارى الحـزن شـاحبـة على شـواطيء نـهـر القـهـقـري جنحتْ

يلُوكُـهـا البُـؤسُ في زنزانة الشَّـجن ـ مُحطمات القُوى من سيرها ـ سُفُني

كفاءة التنبؤ وأثرها في اتخاذ القرار الصناعي الناجح

تعاني أغلب المنشآت الصناعية إن لم نقل جميعها من غياب المنهج العلمي الدقيق في تحديد التقديرات الواقعية والموضوعية لمستويات الاعمال في المستقبل وخاصة تقديرات المبيعات ومستوى التطور التكنولوجي وآفاق التوسع في العمل مما أفقد عملية التخطيط والرقابة واتخاذ القرار عقلانيتها، وأظهر إخفاقا أو تفاوتا في نسب التنفيذ، وذلك كله يعود الى غياب التنبؤ الذى يشكل الخطوة الاساسية فيها بل ويتفق معها في الطبيعة والتوقيت لمواجهة نفس المتغيرات وعوامل البيئة التنظيمية والخارجية للمنشأة الصناعية.



في هذه المقالة سنقوم بتسليط الضوء على موضوع (كفاءة التنبؤ) لنقدر مالها من أثار في الحد من ظاهرة الاختناق الحاصلة في أثناء تنفيذ الخطط والقرارات، وبالتالي لرفع كفاءة الاداء والانتاج للمنشآت الصناعية من أجل تحقيق كامل أهدافها. هذا وقد تضمنت المقالة على تعريف للتنبؤ، وأهميته، وتحديد أنواعه الرئيسية وأساليبه كمدخل يسترشد به لقياس كفاءة التنبؤ بواسطة المعايير المتاحة لها.

تعريف التنبؤ وأهميته :

عرف (Decoster & Schafer) التنبؤ بأنه «أبرز المتغيرات المسيطر عليها وغير المسيطر عليها، التى تستعمل في تنمية وتطوير الخطط والموازنات»[١]. وهو محاولة عقلانية منتظمة لتقدير التغيرات المستقبلية المحتملة في بيئة المنشأة الصناعية الداخلية والخارجية في ظل ظروف المخاطرة وعدم التأكد بما يخدم عملية التخطيط والرقابة واتخاذ القرار.

وتتجلى أهمية التنبؤ بسبب علاقته المباشرة



د.م/ سالم عبدالجبار آل عبدالرحمن

- الاردن -

بالتخطيط واتخاذ القرار والرقابة، وبالتالي فهو يخدم الادارة الصناعية في إعداد الموازنات ابتداء من موازنة المبيعات والانتاج والافراد والمالية لتحديد مستويات الاعمال في هذه المجالات[٢]، وفي تحديد المؤشرات الاقتصادية والتكنولوجية والاجتماعية والسياسية والثقافية والاخلاقية ذات العلاقة بمستقبل أى منشأة صناعية. وكذلك لمساعدة متخذ القرار في تشخيص المشاكل وتهيئة المعلومات بالكمية والتوقيت الملائم لاغتنام الفرص المساهمة في تحقيق الاهداف التكتيكية والاستراتيجية ومساعدة الرقابة في إعداد معايير قياس الاداء. ويعتبر التنبؤ خير معيار للتمييز بين المنشآت والشركات الصناعية أو بين المديرين والمهندسين التنفيذيين على أساس النجاح أو الفشل، كما يساعد في دراسة الجدوى للمشاريع الحديثة والتوسعات في المشاريع القائمة.

أنــواع التنبؤ :

لقد اختلف الباحثون في تصنيف التنبؤات باختلاف مداخلهم، الى أن صنفت بالتالي حسب المستوى الاقتصادي العام والجزئي، وحسب متغيرات البيئة الداخلية والخارجية ومن زاوية التوقيت الزمني. وتعتمد المداخل على طبيعة أعمال المنشأة أو الشركة ونوعية المنتجات المصنوعة والخدمة المقدمة والمهارات المتاحة وأنظمة المعلومات الادارية المستعملة وفلسفة الادارة الصناعية.

هذا ولقد ركز المدخل التقليدي على التنبؤ الاقتصادي بينما نجد اليوم أن المدخل الحديث يضم مجموعة من أنواع التنبؤ الشاملة والتي منها:

١ ـ التنبؤ الاقتصادي.

٢ ـ *التنبؤ التكنولوجي ـ التقني*.

٣ ـ التنبؤ البيئي والاجتماعي، والسياسي، الثقافي، الاخلاقي.

٤ ـ التنبؤات القريبة والمتوسطة والبعيدة الامد.

٥ ـ التنبؤ بالمبيعات.

٦ ـ تنبؤات أخرى مرتبطة بالجوانب المالية والتسويق والانتاج والافراد.

أساليب التنبؤ :

ينسجم تنوع أساليب التنبؤ مع أنواع التنبؤ متأثرا بالمراحل الاساسية لدورة حياة المنتوج والقرارات المتعلقة بها[٤]. إن أساليب التنبؤ عديدة ويمكن تصنيفها الى ثلاثة أنواع وهي الأساليب النوعية، والأساليب الكمية والنماذج السببية.

الجدول أدناه يبين بعض الأنواع المختلفة من كل أسلوب:

الاساليب النوعية	الأساليب الكمية	النماذج السببية
- طريقة دلفي - بحوث السوق - الرأى الجماعي والفردي - التنبؤ الخيالي (المثالي) - التشابه التأريخي - تحليل تأثير التقاطع	- تحليل السلاسل الزمنية - المعدل المتحرك - الانحـدار - التنعيم الاسي - المساقط الاحصائية - منحنى تعليم الخبرة	- النماذج الاقتصادية - نماذج المدخلات الى المخرجات - نماذج المحاكاة

تستعمل الاساليب النوعية عندما لا تتوفر بيانات ومعلومات خاصة في التوسعات النوعية الجديدة، وتستعمل الاساليب الكمية والسببية عند توفر البيانات والمعلومات عن ماضي وحاضر المنشأة (الشركة) الصناعية للتنبؤ بمستقبلها.

معايير كفاءة التنبؤ :

ينصرف مفهوم كفاءة التنبؤ الى تحقيق الهدف من التنبؤ بأقصر وقت ممكن وأقل تكلفة وأعلى دقة.

وتقاس هذه الكفاءة بعدة معايير مترابطة ومنسجمة معا تتلخص بما يلي:

(١) الوضوح :

ويقصد به الوضوح في تحديد الهدف من التنبؤ، فهل يخدم التنبؤ مثلا قرارات تكتيكية أم استراتيجية؟ وهل يتعلق بفترة زمنية معينة أم بفترات مستمرة؟ وهل يستعمل لاغراض تخطيط المنتوج أو خط المنتوج أم تخطيط أنشطة المنشأة (الشركة) الاخرى القريبة والمتوسطة والبعيدة المدى وما شابه ذلك؟!. فالوضوح إذن أمر جوهرى وبغيابه يحدث التلكؤ بل عدم التوازن في استثمار طاقة المنشأة الفكرية والفسيولوجية.

(٢) الدقـة :

تشكل الدقة إحدى المعايير المهمة في قياس كفاءة نظام التنبؤ بشكل مثالي[٥]، فاذا كان الطلب الفعلي أقل من المتوقع بسبب وجود طاقة مهدرة (عاطلة) أو اضافة تكاليف تخزين جديدة وتجميد

جزء من رأس مال التشغيل، أما عندما يكون الطلب الفعلي أكثر من المتوقع، تظهر عندئذ معاناة إدارة المنشأة في سد النقص الذى يؤثر على الارباح والخسائر المحتملة، كما لا تستطيع أية ادارة صناعية إعداد تنبؤات دقيقة تماما أنما تسعى لتهيئة تنبؤات بدرجة دقة مقبولة لتقليل الفجوة بين أداء المنشأة وأهدافها وتسهيل مسألة اختيار الفرصة المناسبة لسد الفجوة اذا ما اتسم المستقبل بالدقة والوضوح.

(٣) التكاليف :

وتشمل تكاليف تطوير التنبؤ والتكاليف الناجمة عن الاخذ بالتنبؤ في التخطيط واتخاذ القرارات المتعلقة بالمصاريف الايرادية والرأسمالية وتكاليف القوى العاملة والخبراء المستخدمين في نظام التنبؤ - خاصة في طريقة دلفي للتنبؤ التكنولوجي - وتتوقف التكاليف على درجة تعقيد متغيرات الموقف أو المشكلة وأسلوب التنبؤ ونوعية وكمية المعلومات المتاحة كما تتناسب التكاليف طرديا مع الدقة في التنبؤ.

(٤) المعلومات المتاحة :

تعتمد نوعية وكمية البيانات والمعلومات المتاحة للتنبؤ على كفاءة انظمة الاتصال الداخلية والخارجية وأنظمة المعلومات الادارية التى يكون من مسؤولياتها تهيئة المعلومات عن الماضي للاستفادة منها في



استنباط مؤشرات المستقبل لاعمال المنشأة (الشركة) الصناعية. وتجدر الاشارة هنا الى مخاطرة نقل معلومات الماضي نقلا آليا لرؤية المستقبل رغم تماثل ظروفهما في بعض الاوقات. كما لا يقصد من الحصول على المعلومات المغالاة في جمعها، مما يسبب صعوبة تحليلها وفقدان الاستفادة منها. هذا وقد تضطر المنشأة الصناعية الى الاستفادة من المعلومات المتاحة في المنشآت المماثلة وكذلك عن طريق الاساليب النوعية خاصة عند حدوث التوسعات.

(٥) التوقيت :

هو طول الفترة الزمنية المتاحة لاعداد التنبؤ وكذلك البعد الزمني الذى يمتد له التنبؤ، وللتوقيت علاقة وثيقة بالمعايير السابقة.

(٦) الفوائد :

وتعني أمكانية الاستفادة من أساليب التنبؤ لتعظيم تحقيق أهداف المنظمة في الربح والمنفعة الاجتماعية.

(٧) المرونــة :

تعني قدرة المنشأة الصناعية على التكيف للتغيير المتوقع الحدوث في الطلب السنوى أو في المؤشرات الاقتصادية والتكنولوجية والسياسية والاجتماعية والثقافية. كأن تستبدل المنشأة تقنيتها أو بعض منتجاتها بأخرى جديدة تساعدها في تلبية حاجات وخدمات المستهلك في سوقها الهادف.

(٨) القوى العاملة :

تعتمد نوعية وكمية القوى العاملة المختصة بأعمال التنبؤ ويتحدد موقعها في التركيب التنظيمي على فلسفة الادارة العليا في المنشأة وقدرتها على استعمال التنبؤ مراعاة للتوقيت واتباع طريقة التنبؤ الابسط[٧] حيث تحتوى المنشآت الصناعية الكبرى على قسم (شعبة) مختص بالتنبؤ قد يرتبط بالادارة العليا أو بادارة الانتاج والتسويق والمالية، وقد يستعان باستشارة خبراء في الشؤون الفنية والمالية والاقتصادية داخلية أو خارجية. في حين توكل مهمة التنبؤ في المنشآت الصناعية المتوسطة والصغيرة الحجم الى الادارة العليا أو أحد الاقسام الرئيسية كالتسويق مثلا أو عن طريق لجنة تشكل لاغراض التنبؤ تضم أعضاء من الاقسام الرئيسة، وينبغي توفر مؤهلات عند المتنبىء فنية وفكرية وكفاءة في فهم الترابط بين العوامل التنظيمية الداخلية والعوامل الاقتصادية والتقنية والسياسية والاجتماعية.

الاستنتاج :

التنبؤ قلب الادارة الهندسية النابض، الذى بواسطته نحصل على معلومات عن مؤشرات

واتجاهات المستقبل القريب والمتوسط والبعيد الامد، التنظيمية (المصاريف، الايرادات، القوى العاملة) والخارجية (الاقتصادية، التقنية، السياسية، الاجتماعية، والثقافية والاخلاقية) خلال دورة حياة المنتوج والمنشأة (الشركة) الصناعية. وبناء على هذا يكون لكفاءة التنبؤ أثر في اتباع المنهج العلمي للتنبؤ وعلى نجاح المنشأة وتطورها وبقائها ولبلوغ الكفاءة فقد ضمّنا البحث معايير الوضوح والدقة والتكاليف والمعلومات المتاحة والتوقيت والفوائد والمرونة وحجم القوى العاملة. ولضمان صحة الاستدلال ينبغي توفر العقلانية في التركيب التنظيمي للمنشأة سواء المتصل بالجوانب التنظيمية أو عملية التخطيط والرقابة واتخاذ القرار، وكذلك كفاءة انظمة الاتصال وانظمة المعلومات الادارية لتجاوز حالة النقص الشديد في تبني التنبؤ اداة لضمان نجاح منشآتنا الصناعية.

الهوامش :

(#) لقد أثير في الفترة الاخيرة مفهوم (التنبؤ التكنولوجي) من خلال مجموعة من النماذج العالمية التى اهتمت بقضايا استشراف المستقبل التي استطاع (نادي روما) Club of Rome إشعال أول جنواتها. كان من بين هذه النماذج نموذج نادى روما، ونموذج ميزاروفيتش ويستل الذى لم تختلف نتائجه اختلافا جوهريا عن نتائج نموذج فورستر وميدوز ونموذج مؤسسة باريلوتشي، ونموذج ساروم وغيرها.. أنظر: صور المستقبل العربي، د. ابراهيم سعد الدين وآخرون، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٢ ص ٢١ ـ ٦٣. الا أنه كان قد أسيء استخدام هذا المفهوم للتنبؤ التكنولوجي كثيرا عبر هذه النماذج العالمية حيث نرى أن بعض التنبؤات التكنولوجية المتضمنة في النماذج والدراسات العالمية تؤخذ كما هي دون مناقشة اضافةالى الوهم الشائع حول التطوير التكنولوجي أحيانا، كأنه متغير مستقل عن باقي الهيكل الاقتصادى الاجتماعي، أو كأنه نبت شيطاني، لا يمكن التحكم في اتجاهاته.. انظر المصدر السابق، صفحة ١٥٤ وما يليها.

(1) Don.T. Decoster & Eldon L. Schafer, Managemont Accounting: A Secision Empasis, (2nd.ed.Now York: John Wiley & Sons,Inc., 1979).P. 738.

(2) Robert.C. Appleby, Modern Business A dministration, (2nd.ed.Londen pitman publishing Ltd. 1972). pp. 24 - 26.

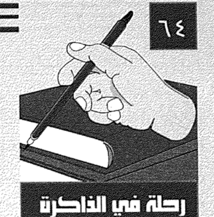
(3) Loonard J. Garrott & Miltom Silver, production Managoment Analysis, (2nd.ed. New York: Harcourt Brac Joranovich. Inc., 1973) p. 396.

(4) John. C. chambers & Others, An, executives Guide to Forecasting. (New York: John Wiley & Sons.Inc.,1974).P. 19.

(5) Kostas,N. Dorvistsiotis, Operations, Management, (Now York: Mc Graw Hill Book Co. 1981) P. 438.

(6) James L. Riggs, production System : planning Analysis & Control, (2nd.ed., New york : John Wiley & Sons. Inc. 1976) P.92.

(7) David Hussey, Corpirato planning Theory & practice, (oxford: pregamen press, 1976) P.69.



الحبُّ الأول

كنت أعجب لها كثيرا، فهي ذات ذكاء واطلاع، يتجلى أثر هذين في حديثها الأدبي المسترسل، ولها تبسط في الأسلوب يجعلك تلمس ما وراء معانيه من صواب سديد، وهي في رسائلها كأحاديثها مطبوعة على الصدق دون التكلف، ولا يفارقها استطرادها الذى أعجب به كثيرا، لأنه يعرض قفزات عقلية واثبة لا شك في ارتفاعها، ومصدر العجب في هذا المجال أنها لا تحاول أن تكتب المقال الأدبي، وأن تبدع على الورق فصولا وجدانية أو علمية تفصح عن معدنها الأصيل، وقد طلبت منها ذلك فقالت إنها تحب الاطلاع وتهوى الأدب لا لكى تكون كاتبة، ولكن لتشبع وجدانها وترضى ميولها حين تقطع الوقت في أنس أنيس مع كتاب ممتاز أو ديوان رقيق.

لقد كان مبدأ التعارف قصيدة نشرتها في مجلتى الرسالة والثقافة معا في صدر شبابي الأول حين كنت طالبا بكلية اللغة العربية، وكان هذا تسرعاً منى أن أرسل القصيدة للمجلتين، ولعلي ظننت أن إحداهما ربما تغفل النشر فتكون الأخرى كافية لإرضائى، ثم فوجئت بعد قرابة شهر بتعقيب في مجلة الرسالة يستنكر أن أنشر قصيدة واحدة في مجلتين



أ. د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر

تصدران في موطن واحد، وفي تاريخ متقارب، وكانت كاتبة التعقيب هي صاحبتي - فيما بعد - وجعلت أتلو اسمها الذى لا أعرف عنه شيئا، وفي رغبتى أن أهتدى للقائها، كانت رغبة طارئة، سرعان ما توارت، دون أن أتعلق بها.

ومضت عدة شهور، ومات أستاذ جليل ذو شأن في دنيا الأدب والعلم والدين، هو الإمام الشيخ مصطفى عبد الرازق، وكنت أحمل له حباً وإجلالا، وهو شيخ الأزهر، وأنا طالب بإحدى كلياته، فسالت عبراتى في قصيدة باكية نشرتها في جريدة سيارة، ولم يمض أسبوع حتى قرأت نقداً عروضيا للقصيدة، تقول كاتبته إنها وقفت طويلا عند قولي:

أين منا محاضراتك في المذياع
تُهدى لنا الجنى فنذوق
وصفوها بقولهم تفسير
وهي كأس يدار فيها الرحيق

ففي البيت الثانى كسر عروضى، لأن العروض فيه مع وزن فعلات، ويعرف بالتشعيث وهو لا يلحق العروض، إنما يكون في الضرب فحسب، وليس البيت مُصرّعاً حتى يجوز فيه التشعيث، وقد قرأت النقد، ومع دراستى لهذا الفن لم أعرف إذا كانت الناقدة ذات صواب، فاتصلت بأحد أساتذة العروض بالكلية فقال إن النقد صائب، وكان يجب ألا أقع في الخطأ وقد درست العروض.

لا أنكر أن توقيعها (سعاد كامل) قد أعاد إلي ذاكرتى نقدها الأول بالرسالة وأن شعوراً بالإعجاب نحوها، دفعنى إلى أن أكتب هذه الأبيات، وأنشرها في الجريدة:

قد كنت أزعم أني
أجدتُ فن العروض
فأرشدتنى سعاد
إلى اختلال قريضي
شكراء وإن قذفت بي
من شاهق للحضيض!

وكأن حنيناً جعل يدفعنى إلى لقائها، ولكن أين؟ ومتى؟ وجعلتُ أردد قول أبى بكر الشبلي:

أسائل عن ليلى، فهل من مبادر
يكون له علمٌ بها أين تنزلُ؟

وكأن الله شاء أن يجيب رجائى، فبعد أسبوعين وصلنى خطاب بعنوان الكلية تقول كاتبته إنها كانت تحسبني أستاذاً في الكلية، وحين علمت من إدارة مجلة الرسالة أنى طالب تطلعت إلى لقائى. فإذا وافقت فسيكون اللقاء بالقاعة العامة في دار الكتب بباب الخلق يوم الثلاثاء القادم في الساعة الرابعة وستضع أمامها مجلة الثقافة لأعرفها سريعاً دون سؤال، وقد فرحت بالخطاب كثيرا كثيرا..

حان الموعد فذهبت على اشتياق ورأيت الفتاة في جانب معتزل نوعاً ما عن الزائرين وكانت هى الوحيدة من بنات جنسها، فأسرعت لأرى مجلة الثقافة أمامها، فهتفت باسمها فقابلتني بهدوء مهذب، ووجدت معها ديوان ابن الفارض وقد استعارته قبل حضوري لتشغل

به الفراغ، وكانت مناسبة أدبية تتيح لي أن أسألها عن شغفها بابن الفارض فقالت إن أستاذها عبد الوهاب حمودة بكلية الآداب قد شرح بعض قصائده في قاعة المحاضرات فجذبها إليه، وقد علمت أنها تخرجت في الكلية في العام الماضي، وعينت باحدى مدارس الاسكندرية ووالدها لواء في شرطة القاهرة، ولم يعارض في انتقالها الى الثغر ما دامت راغبة في ذلك وله به فيلا يقيم بها مع والدتها، وقد حضرت إلى القاهرة أسبوعاً لزيارة البيت الكبير، وكنت ألم بكثير من شعر ابن الفارض، فرويت لها منه ما كان موضع إعجابها، ثم انتقلنا من دار الكتب الى مجلس قريب منه هو كازينو فاضل، وأثناء الحديث عرفت أنها تقرأ لي وأنا طالب بالمعهد الثانوي إذ كانت تتابع المجلات عن هواية أدبية تتملكها، وقد حدثتني عن مقال نشرته بالرسالة تحت عنوان (من أخلاق البحتري) وكنت عرضت بجانب من سلوكه لا أرتضيه حين مدح أناساً فأطنب ثم ذمهم فأطنب، وفيهم من غمره بعطائه الجزيل، فقالت سعاد، إن الشعراء العباسيين قد نهجوا نهج البحتري، ولم يكن ذلك معيبا في بيئتهم المرتزقة، فلماذا نخص البحتري بالهجوم؟ قلت إني قرأت الديوان وشعرت بضيق من سلوكه حين أقرأ المدح والهجاء معاً في صفحات متقاربة، فتابعت ما كُتب عن حياة البحتري فلم يرق لي إنسانا، وإن كان شاعرا مجيدا، ثم تلوت عليها بعض ما في ذاكرتي من شعره الغزلي، وقلت إن أكثره مع جودته الفنية تقليدي عليه الصنعة لا الطبع، فقالت: مع هذه الرقة، قلت نعم! واستمر المجلس أكثر من ساعتين دون أن أشعر بمرورهما، وقد تجرأت فقلت لها، إذ كنت تستريحين لابن الفارض فلماذا لا تزورين مسجده وقد زرته بالمقطم؟ فتوهج وجهها بابتسام رقيق، وقالت على أن تكون معي، وأنا سأظل بالقاهرة حتى صباح الجمعة؟ فمتى ترغب في الزيارة وكانت رغبتها في اصطحابي لمسجد ابن الفارض مصدر سرور زائد ملك عليّ مشاعري، ولكني حاولت كظم عواطفي ما استطعت، وفي طريقها إلى الترام الذاهب الى الجيزة، كنت مصاحبا لها، وكنت أنا المتكلم كثيرا، وهي تسمع في انتباه، وقبل أن تركب، حين لاح الترام على بعد، أسعفتني الذاكرة فقلت لها إني معجب بقول ابن الفارض:

لو أن روحي في يدي ووهبتها
لمبشّري بلقائكم لم أنْصف

وقد اتفقنا على أن يكون الموعد يوم الأربعاء ظهرا، لأن الوقت كان في فصل الشتاء، وشمس الظهيرة رحيمة حانية، وتحدد مكان اللقاء، فتم على أحسن ما نرجوه.

كان الطريق في وادى المستضعفين - كما يُسمى - إلى مسجد ابن الفارض هادئا مشمسا ليس به من السابلة غير القليل، فاتسع الحديث الأدبي اتساعا شهيا، وقد أسهمت فيه إسهاما يدل على انطلاق لم يُتَح في الجلسة الأولى، وقد أحسست كأننا أصدقاء من زمن بعيد فلا تكلف في القول، ولا اصطناع لمجاملة تختار فيها الكلمات وتوزن المعاني، وكنت سعيدا حين تحدثت عن حياتها الخاصة حديث الواثق بمستمعه، بل حديث الذى يروح عن نفسه حين يفضي بمكنونه إلى أعز أصدقائه! وقد قلت لها إنى طالب بالسنة الرابعة، وسأكون في العام المقبل طالباً بمعهد التربية العالي بالقاهرة أو الاسكندرية وفقا لرغبتي، فقالت لي وهي تبتسم «وقعت بلسانك» لابد أن تكون بمعهد الاسكندرية، وهذا أول طلب أتقدم به إليك؟ ما رأيك؟ قلت: هذا إذا نجحت في الليسانس؟ قالت أنا واثقة من نجاحك! فسكت! ودخلنا المسجد وقرأنا الفاتحة، ووجدت في نفسي استعدادا للمفاكهة. فقلت لها، سعاد! آنسة رائعة مثلك، زميلاتها يخطرن في شارعى

فؤاد وعماد الدين، وأنت تسيرين في سفح المقطم الأجرد، وتتوجهين الى المسجد الصامت. وتقرئين الفاتحة ككبار الشيوخ ممن فاتهم زهو الشباب! فقالت بصوت مخلص أنت لا تُقَدِّر سعادتي بزيارة ابن الفارض! فحمدت الله أن كانت سعيدة ثم قطعنا الطريق ثانية على الأقدام، وأنا أتمنى أنه لا يصل بي إلى غاية.

وحان الفراق، ولكن إلى لقاء!

أصبح انتقالي في الغد، الى الاسكندرية شغلي الشاغل، لأن إقامتي بالقاهرة مريحة، ولي سكني المتواضع، ومعارفي الكثيرون، ولكن الاسكندرية لم أذهب إليها من قبل، ولا أدرى أحوال المعيشة بها، وليس لي بها من صديق أكلُ إليه إعداد المسكن لأعرف أين أتجه، وبعد تفكير علمت أن زملائى من أبناء محافظتي البحيرة والاسكندرية وبعض مراكز الغربية، يؤثرون المعهد الاسكندري وسينضمون إليه بعد التخرج، وإذا اتفقت معهم على السكن في منزل واحد، فقد هان العسير، ولم أتمهل الى موعد الامتحان، بل اتصلت ببعضهم، فوجدت من الترحيب وتهوين العقبات ما جعل الأمر لا يختلف عن القاهرة في شيء، فابتهجت، وانتظرت حتى أدينا الامتحان، وظهرت النتيجة فراسلتهم بناء على اتفاق سابق، فقاموا بأكثر مما يلزم، وركبت القطار وأنا أعرف أين أتجه، ومع من أقيم، ولم أخبر صاحبتي إلا بعد أن عددت نفسي مواطنا اسكندريا، وقد فوجئتْ بي حين زرتها لأول مرة في (الفيلا) الأنيقة لأخبرها أني ذهبت إلى المعهد اليوم ثم استرحت بمنزلي المهيأ، وجئت لأراها!

كانت تقيم مع والدتها، لأن والدها له زوجة أخرى بالقاهرة، واستجاب لرغبتها في صحبة فتاتها، وقد صحبتني إلى والدتها، وهي سيدة ذات ثقافة عالية، إذ كانت مفتشة للمواد الاجتماعية بالمدارس الثانوية ثم آثرت الاعتزال في سنّ الأربعين، إذ ليست في حاجة الى التنقل الأسبوعي في مدارس شتى، وهى موفورة الرزق، وقد عرفت عني الكثير قبل اللقاء، فحدثتني عما كتبتُ وأكتب وكان اهتمامها الثقافي باعث إعجابي، ولعلها هي التى دفعت سعاد إلى القراءة الأدبية في سن باكرة وقد حببت لها كلية الآداب، ومهما يكن من شيء فقد مضى حديثى مع الوالدة والابنة أكثر من ثلاث ساعات وكأنها دقائق معدودات، وقد قالت لي: إن سعاد أحضرت كتبا كثيرة عن تاريخ الاسكندرية قديما وحديثا وعرفت من آثارها القديمة والمعاصرة ما ستفاجئك به حين تتنقل معك في هذه المدينة الحافلة! فنظرت إلى سعاد فطأطأت رأسها الى الأرض ثم قالت: أردتُ أن أشعرك أنى أعلم بعض ما تعلم، وضحكتْ، وكان الخبر النهائى الذى ختم به المجلس هو ما اقترحته الأم من تناول الغذاء معها أسبوعيا يوم الجمعة، ليستمر حديثنا عن الفكر في شتى مجالاته ثم قالت: ولتتنزه مع صديقتك في المدينة ساعتين كل جمعة بعد تناول الغداء! وقد بَكمْتُ فلم أستطع الموافقة أو الرفض، لأن الأمر كان مفاجأة لي، وهى مفاجأة سارة بكل تأكيد، ولكني بدأت التنفيذ دون حرج.

كان الذى يعجبنى من سعاد أنها مع ثرائها المشهود لم تكن صاحبة اهتمام بأناقتها المظهرية في الملبس، فهي طبيعية جدا مثل زميلاتها المدرّسات اللاتى لا يملكن غير راتبهن الشهري، كما لم تتكلف ارتياد الأماكن البراقة، بل تشير بالارتياض في الحدائق العامة، وقد كانت حديقة الشلالات أحبّ الأماكن إلي نفسها، لأنها حديقة شعبية، وليس لها رونق حديقة مثل حديقة طونيادس، وهي كذلك قريبة من منزلها ! فإذا لم نجلس بالحديقة، فنحن أمام المشاهد الأثرية الرائعة، مرة أمام المنارة، ومرة أمام عمود السوارى، ومرة نجول في كُوم الشقافة، ولها عند كل مشهد حديث تاريخي رقيق لا يدل على الخبرة

العلمية قدر ما يدل على رقة السمر، ومجاذبة الرأي.

وقد قلت لها مرة، لقد زرنا في القاهرة مسجد ابن الفارض فلماذا لا نزور بالإسكندرية مسجد البوصيري وكلاهما شاعر متصوف! فربتت على كتفي، وقالت: كنت انتظر منك هذا الاقتراح في كل مقابلة حتى ضاق صدرى بسكوتك! قلت: ولماذا لم تقترحى أنت! فقالت: وهي تضحك: أترك لك شيئا تفخر به عليّ ! قلت وفيم الافتخار، فقالت ستعلم ذلك أثناء الزيارة، وفي يوم الجمعة الآتي توجهنا إلى المسجد بعد ساعة من صلاة العصر، وكان لأمر أراده الله خاليا من الزائرين والزائرات، وكأنهم اكتفوا بالمقام بعد صلاة الجمعة حتى أدوا صلاة العصر وذهبوا جميعا، وما كدت أتطلع إلى السقف والجدران، وأرى قصيدة البردة مكتوبة بالماء المذهب والخط الثلث في شكل دائرى يشمل الجدران جميعها، ما كدت أرى ذلك حتى أخذت أترنم بما أعجبنى من أبيات البردة، وما اتّصل إنشادى دقائق حتى قالت: ألم أقل لك إنى سأترك لك شيئا تفتخر به! هذا الولع برواية الشعر هو الصدر الأول لتفوقك عليّ، ألا تذكر رحلة ابن الفارض حين كدت تقرأ جميع قصائد الديوان! ومضى الوقت سريعا، وعدنا إلى الفيلا مسرورين لنتحدث عن البوصيري فقالت الأم: لماذا لم أصحبكما ما دمتما مع الأولياء! وضحكت! ولا أتحدث عن جميع نزهاتنا في الثغر كل أسبوع، فما أظننى أستطيع أن أذكر ما كان بها من مؤانسات شائقة، ومداعبات فكهة. فتلك أيام تولت، ولكنى أذكر منها هذه الطرفة النادرة.

لقد زرنا معاً ، بعد تخرجي من المعهد، وتعييني بالمنصورة، إذ كنت كثير التردد على الثغر من أجلها، زرنا حديقة أنطونيادس، وأخذنا نجول في أنحائها حتى ساقتنا قدمانا إلى حديقة الحيوان بها، ووقفنا أمام مسكن الأسد في محبسه الحديدى الثقيل، فرأينا طفلا صغيرا تحمله أمه، وتضع في يده كوباً من الماء ليرش به وجه الأسد، والحيوان يثور ويهم بالانقضاض فتعوقه القضبان، والأم تضحك ضحكا غير مقبول، وكأنها قامت بعمل بطولى حين تركت طفلها يستثير الأسد، ونظرت إلى صاحبتي فإذا دموع تترقرق في محاجرها الجميلة، وتساءلت: فقالت في أسف مكتوم! لو كان هذا الأسد طليقا أتجرأ عليه أمٌ بلهاء وولد لا يعقل!؟ وانتقلنا ولكن أثر دموعها قد ترك صداه في خاطرى، فنظمت قصيدة تحت عنوان (الأسد الباكي) وأرسلتها من المنصورة بالبريد إليها، وقد عقدت بها موازنة بين أسد يتململ في القضبان، وقلب عاشق يتململ في الضلوع، وكلاهما لا يجد الرحيم، وقد جاء في القصيدة:

إنى لأبكى في الإسار كصاحبي
فاذرى دموعك للأسير العاني
تبكين للحيوان دون شبيهه
ما أعنف الإنسان بالإنسان
حسنائي استمعى فتلك قضية
وضحت، فما تحتاج للبرهان

وبدلا من أن تنال القصيدة قبولها أرسلت تقول: «لم يعجبنى ختام القصيدة لأنك تحدثت صريحاً عن عواطف شريفة، كنت أوثر أن تظل حبيسة في صدرك دون أن تكون سافرة هكذا.. وقد أرقنى هذا الرد، وشغلنى أكثر مما يجب، فما جاء يوم الخميس حتى عجلت بالسفر للقائها، وقد ظهر على وجهها الابتهاج بزيارتي، ولم أتكلم معها أمام والدتها، وحين خرجنا للتريض، بدأت فقالت: أعرف لماذا جئت؟ وأحب أن أقول إن حديث القلوب أرفع من أن يذا ع، لأن التمادى في التصريح به قد يدفع إلى ما يليه، وهذا ما نتحرز منه! لسنا في حاجة إلى نطق اللسان! أنت تركت القاهرة من أجلى، وهذا يغنى عن ألف اعتراف، وأنا كنت أنتظرك بالشباك أسبوعيا لأراك في الطريق قبل أن تصل الى المنزل، وهذا ما لا يحتاج الى تفسير! إن

الأغبياء هم الذين يتباهون بالحديث عن الغرام، ولست غبيا، قلت ولا أنت!! وقد أبدت من براعة الحديث في هذه الجولة ما محا من ذهني كل ريب، بل زدت بها إيمانا!.

وإذا كان لكل شيء نهاية. فقد كانت النهاية سريعاً أكثر مما أتوقع، فقد تلقيت منها خطابا في سطور قليلة تقول: ان ابن عمها المحامى (فلان) تقدم لخطبتها، وهو ناجح جدا في عمله، ولكن اتجاهه الفكرى والمعيشى لا يلائمني! فأنا أريد من أتذوق حديثه، وأحيا بمرآه، فماذا تقول؟.

ربكني حديثها، وقيدني حتى مكثت ساعة لا أستطيع الحراك، فالخطابُ يعلن رغبتها في أن أتقدم، وهذه أكبر أمانيّ في الحياة، وليس وراءها مأرب أبتغيه، ولكنَّ وضعى المادى لا يسمح! فأنا مسئول عن غيرى، ولا أستبقى من راتبى الضئيل غير ما يبلغ الكفاف!

وعانيت مرهقات صعبة وأنا اكتب لها عذرى في خطاب آسف متوجع، وكانت أنبل مما كنت أتصور، فكتبت تقول إنها تحسّ بأضعاف ما أحس، وأن موقفى قد زادنى همامة في عينها، وقد قدر الله ذلك ليبقى حُبّنا أمد الحياة، لأن الزواج لا يدع الحب جميلا كعهده الأول، أما الحرمان فوقود لا ينطفىء، هكذا قالت!

وقد زُفّتْ إلى ابن عمها، ورحلتْ إلى مقر عمله بجزيرة الروضة بالجيزة، وبقيت متلهفا على أنبائها. وحين ذهبت إلى الاسكندرية للاصطياف بعد أعوام، حملتنى قدمى إلى «الفيلا» التى كانت مسرح هواى، وكان لي بالبواب معرفة سابقة أيام كنت زائرها الأسبوعى، فلاطفته وحادثته لأعلم أين تستقر، فأخبرنى أنها نقلت إلى الجيزة، وتسكن في شارع حدده بالاسم، وليته ما فعل، فإنه شغلنى بكثرة التردد إليه على غير جدوى كلما نزلت القاهرة، وهو عمل اضطرارى لا حيلة لي فيه، فكم حاولت أن أعقل، لأن السعى خائب خائب، ولكن من الذى يستطيع أن يكبح جماح عواطفه كل حين.

وبعد عشر سنوات! وعشر سنوات طوال على مشوق مترقب، سرت في الشارع الحبيب، فوجدتها تسير في صحبة زوجها، وقد تلاقت عينانا لحظة، فأطرقتْ الى الأرض، وهرولتُ أجرى، وعزائى أنها لا تعلم أن اللقاء كان متوقعا بتدبيرى، وإنما كان في رأيها مصادفة قضت بها الظروف، ولكنى رجعت إلى منزلى، وخواطرى متدافقة لا تهدأ، وتفكيرى شارد لا يرجع حتى إذا سكن الخاطر أو كاد، أخذت القلم لأنظم قصيدة قلت فيها:

مضت سنوات سار كلٌّ لشأنه
وجافى سبيلى في الحياة سبيلُها
ولما التقيْنا كالغريبينْ رفرفتْ
طيور حنين غاب عنها هديلها
وقد أصبحتْ أما، وأصبحتُ والدا
فقامت سدود واستقرت أصولها
نظرتُ إليها، وهى تنظر نظرتى
وتكتم أشياء لديَّ مثيلها
فلله نفس أطرقت في كآبة
إلى الأرض تخشى أن ينمّ عذولُها
وأشهد لو كنّا وحيدين لالتقت
أكف أبتْ أن تستكن ميولها
وماذا على الآداب من أنس لحظة
تغيب ثوانيها، ويبقى صليلها
أيقذف بركان، وتهوى كواكب
وتنشق أرض أرهقتها حمولها
لئن لانت الأرواح كرها بصمتها
لقد شب ما بين الضلوع غليلها

ثم سبقتنى إلى جوار الله، فقد قرأت نعيها، فحرك ما كمن، وهيج ماسكن!!

الدكتور/ سلطان سعد القحطاني

من مواليد مدينة العيون بالإحساء عام ١٩٤٩م، فيها تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي ثم التحق بمعهد المعلمين حيث حصل على دبلوم في تدريس اللغة العربية لما دون الثانوية عام ١٩٧٣م ثم حصل على دبلوم عال في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها من جامعة الملك سعود عام ١٩٨٥م ، أما الدكتوراه فقد حصل عليها من جامعة جلاسكو في اسكوتلاندا عام ١٩٩٤م تخصص رواية حديثة وهو حاليا يدرس اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب بجامعة الملك سعود منذ عام ١٩٨٣م وقد صدر له من المؤلفات :

١ ـ روائع الشعر العربي القديم ١٩٧٨م.
٢ ـ زائر المساء (رواية) ١٩٨٠م.
٣ ـ طائر بلا جناح (رواية) ١٩٨١م.
٤ ـ الرواية في المملكة العربية السعودية منذ نشأتها ١٩٩٨م.
٥ ـ النقد الأدبي في المملكة العربية السعودية/ من إصدارات نادي تبوك العام ١٤٢٤هـ.
٦ ـ خطوات على جبال اليمن (رواية) وهي الرواية موضوع هذه الدراسة.

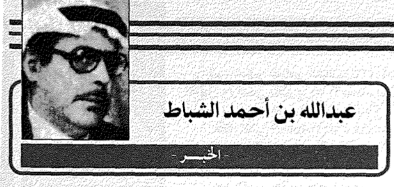
وله تحت الطبع: (نشأة النقد الحديث في المملكة العربية السعودية ـ إتجاهات الرواية العربية ـ المسلمات الاجتماعية في الرواية العربية، جذورها ومصادرها).. إضافة الى ذلك فإن له العديد من البحوث والمراجعات والمقالات المنشورة في عدد من المجلات والدوريات مثل: (مجلة الفيصل ـ مجلة العقيق ـ مجلة رؤى وغيرها من المجلات)[١].

وإن الاطلاع على مراجعه في: (رواية خطوات على جبال اليمن) كفيل بأن يعطي تصورا عن مدى إمكانية هذا الأديب أن يثري الساحة الأدبية بما له من مساهمات ومشاركات أدبية وثقافية وانشطة تنم عن ما لديه من إمكانيات بل رغبة في النهوض بالأدب في المملكة العربية السعودية مشاركاً إخوانه الأدباء والمفكرين في دعم تلك الهياكل العملية التي تقوم عليها الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية.

وقد تفضل بإهدائي روايته الأخيرة الموسومة بـ (خطوات على جبال اليمن) التى صدرت عام ١٤٢١هـ التى حاول أن يمزج من خلالها أدب الرحلات التى جاب خلالها جنوب الجزيرة العربية من الحديدة الى بلاد المهره. بالسرد الروائي الذي لا يترك أدق التفاصيل حيث تبدأ الرواية بداية مأساوية بفعل قذيفة ألقيت على السيارة التى كان يسافر عليها (بطل الرواية) من شمال اليمن مما استدعى ادخاله المستشفى والمكوث به ثلاثة اشهر حيث خرج فاقدا للذاكرة.. الا أنه استطاع أن يتأقلم مع وضعه الجديد باسم (محمد شرف الدين) وبهذا الاسم عاش كمواطن يمني يتنقل من ولاية الى اخرى لجلب البضائع وبين الحل والترحال كان لا يهمل ادق التفاصيل عن الحياة في المجتمع اليمني الذي احبه وعاش فيه وساير إيجابياته ونأى بنفسه عن سلبياته الى أن وصل الى تلك الملحمة الرومانسية الانسانية التى يلتقي فيها الحب والعطف بالعادات والتقاليد المتوارثة منذ مئات السنين.

ان التفاصيل الدقيقة جدا التى أوردها الدكتور سلطان القحطاني تذكرني بتلك التفاصيل الدقيقة التى يحرص كبار الأدباء الغربيين امثال همنجواي، واليزابيث الليندي، وكونان دويل. بايرادها وتتبعها بكل عناية حيث لا يترك الكاتب شاردة ولا واردة ليعطي صورا تمثل الواقع وهذا عمل لا يستطيعه الكثير من كتاب الرواية في الغالب لأن بعضهم اذا تتبع تلك التفاصيل انحرف الى مناح بعيد عن جو الرواية وابتعد بالقارىء عن صلب الموضوع وأخذه الى دروب متشعبة.

والأداة التعبيرية (اللغة) التي استعملها الدكتور سلطان في هذه الرواية لغة صافية راقية لولا بعض كلمات من اللهجة اليمنية ذات الاصول العربية حيث لا



عبدالله بن أحمد الشباط

- الخبر -

تختلف عن اصولها الا في النطق. وقد جاء استعماله لتلك الكلمات في اضيق الحدود.

والرواية في الاساس هي مجموعة قصص قصيرة تعالج عدة قضايا ترتبط مع بعضها موضوعيا وإن اختلفت الأزمنة والامكنة. والروائي هو الذي يستطيع أن يصهر تلك القصص في بوتقة واحدة ويربط بينها بأسلوب يراوح بين السرد الروائي واثبات الوقائع بصور ومشاهدات قد تكون من ابداع الروائي إلا أنها تنقل القارىء الى تلك الاجواء المشحونة بالحركة فيعيش في داخلها ويتحرك مع ابطالها زمانيا ومكانيا.. وهذا ما استطاع كاتبنا ادراكه والوصول اليه حيث انه قدم لنا خريطة ذات تفاصيل كثيرة التضاريس عن جزء مهم من الوطن العربي قد لا يعرف عنه الكثيرون شيئا إلا ما تردده وسائل الاعلام.

وحيث إن العناصر الفنية الممكنة كما يقول (الن نيت): «من المحتمل أن تكون على قدر من الكثرة يعادل القلة في مناحيها»[٢] والقارىء لرواية خطوات على جبال اليمن يلاحظ أن العناصر الفنية في هذه الرواية قد ضربت بقسط وافر من التنوع؛ من السردي الى التصويري ومن الواقع الى الخيال حيث ينقل القارىء الى تلك الاجواء والربوع والمجتمعات التى لم يرها ولم يسمع عنها إلا النذر اليسير عن طريق الرحالة أو المهاجرين من أبناء اليمن الى جميع أنحاء العالم طلبا للرزق الحلال.

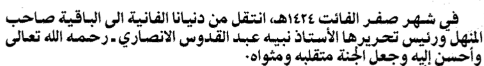
لقد استمعت - أقصد - قرأت فصول تلك الرواية وكأنني استمع الى حكاية من حكايات شهرزاد في ألف ليلة وليلة وهي كما يقول عنها فورستر روائية عظيمة لا لأنها كانت تجيد الوصف ولا لأنها كانت ناضجة في احكامها على الحياة والناس ولا لأنها امتلكت القدرة على خلق الشخصيات الحية النابضة.. بل اساسا لأنها كانت تضع يدها على القانون الاساسي (لغتها).. والذي يستطيع أن يضع يده على ذلك القانون الأدبي الذي يجب أن تخضع له الرواية يستطيع ايضا أن يشهر سلاح الترقب والانتظار في نهاية كل فصل ليبعث في نفس القارىء شغفا لمعرفة الآتي. وهذا ما استطاع القحطاني أن يستعمله لشد انتباه القارىء للمتابعة دون توقف للوصول الى النتائج التى لم تكن في حسبانه.

ان اللغة السهلة وهدوء الانتقال - غير المفاجىء - من مكان الى آخر يجعل القارىء يعيش تلك المرحلة بكل تفاصيلها في هدوء المتابع الذي يرغب في الحصول على النتيجة دون أن يضطر الى قفز الحواجز اللغوية والبيانية، وقد نجح المؤلف في أن يأخذ بيد القارىء ليشاركه كل المواقف المتعبة والممتعة بكل تفاصيلها مع لمسات رومانسية تحرك الوجدان وتصل الى اعماق الشعور بمعاناة الانسان في ساعات فقد الاحبة إما بالموت أو بالفراق.. وهو يرى نهايات احبائه تتوالى ليختفوا من مسرح حياته واحداً تلو الآخر حتى حدث له حادث سقوط فأصيب في رأسه ونقل الى المستشفى وبعد قليل من المعالجة عادت اليه الذاكرة. وبعد طول معاناة مع هذا التغيير الذى طرأ على حياته المستعارة عاد الى اهله.. الى قريته .. التى ولد فيها والى احضان أمه وابيه واخوته. كل ذلك في تسلسل روائي مبهج. ولذلك قال عنها احد النقاد: يمكن وصف هذه الرواية باحداثها المتتالية بأنها مسلسل متكامل الأحداث يكشف لنا كما هائلا من الموروثات الشعبية التى يعتز بها المواطن اليمني في الاسرة وفي الشارع والمقاهي الشعبية وفي التجارة والسفر والزراعة والصناعات الشعبية ومراسم الزواج والعلاقات الاجتماعية بما فيها تقاليد اعداد الطعام وطريقة تناوله وما يتعلق به بحيث ضمت هذه الرواية حشدا كبيرا جدا من تفاصيل ثقافة المجتمع اليمني في فترة الاربعينيات والخمسينيات وما بعدها والتى لا يعرف عنها المواطن العربي إلا النذر اليسير.

الهوامش :

(١) باختصار عن رسالة كتبها المترجم له.

(٢) دراسات في النقد ترجمة د. عبد الرحمن باغي ص ١٢.





في ذكراه الأولى

في شهر صفر الفائت ١٤٢٤هـ، انتقل من دنيانا الفانية الى الباقية صاحب المنهل ورئيس تحريرها الأستاذ نبيه عبد القدوس الانصاري ـ رحمه الله تعالى وأحسن إليه وجعل الجنة متقلبه ومثواه.

لقد أفنى الفقيد زهرة شبابه في المنهل اذ تدرج فيها من سكرتير التحرير الى مدير التحرير، ثم الى رئيس التحرير بعد وفاة والده المؤسس للمنهل الاستاذ عبد القدوس القاسم الانصاري ـ عليهم رحمة الله أجمعين.

بين عيني والده نشأ وتربى، وعمل معه في المنهل منذ صباه المبكر، مما جعل المنهل غايته ومبتغاه، حتى وهو يعمل في وظيفة الدولة، كان يباشر عمله في المنهل في اوقات فراغه.. حتى تفرغ أخيراً للعمل الكامل في المنهل..

المنهل ورحيل فارس الصحافة الأدبية **

أ.د. عبدالباسط حمودة

- مصر -

في تداول الأيام ومرورها تؤخذ العبر والدروس التى تسهم في تقدم مسيرة الأمة الإسلامية، وهى أحوج ما تكون اليوم إلى هذه الدروس، وبخاصة في حياتها الأدبية والفكرية التى هى غاية أهداف أعداء الإسلام في اقصائه عن الحياة.

وفي وفاة فارس الصحافة الأدبية: نبيه بن عبد القدوس الأنصارى (١٣٥٦ ـ صفر١٤٢٤هـ) ما تمنح الباحث المتأمل كثيرا من المواقف التى رافقت مجلة المنهل منذ أسسها والده ابن المدينة المنورة الشيخ عبد القدوس الانصارى (١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٧م) الى يومنا هذا، نقول تمنح الباحث والدارس قوة الإيمان والمثابرة والثقة بأن الكلمة الطيبة من أفضل سبل الجهاد، عن لغة القرآن، وتراث الأمة، ورعاية فكرها، والمحافظة على شخصيتها.

ففي العصر الحديث تعرضت الأمة العربية لهجمة شرسة تريد القضاء على تراثها الإسلامى وهدم لغة القرآن الكريم على أيدى جحافل أبناء مدارس الارساليات والتبشير الذين أشاعوا، وكادوا أن يرسخوا العامية والجملة الإنجيلية.. فتصدت لها صحيفة (الوقائع) حين كان يرأسها الشيخ محمد عبده، وصحيفة المؤيد التى أصدرها الشيخ على يوسف.

ثم عادت الهجمة مرة أخرى بقوة أشد تساندها سلطات الاستعمار التى جعلت لغته هى اللغة الأولى للتعليم، واللغة العربية هى اللغة الثالثة ـ بعد العامية ـ حتى ضعفت الأساليب وبرزت الدعوات إلى العودة الى اللهجات الإقليمية العامية.. بل وصلت إلى استبدالها (باللاتينية).

ومارد ذلك إلا بعض الكتائب المؤمنة بدينها وعربيتها وتراثها فكانت كتيبة مجلة (الرسالة ١٩٣٣م) لصاحبها أحمد حسن الزيات الذى حشد أئمة الأدب والفكر والبيان، الذين تأسوا بالمدرسة القرآنية والتى وضحت في كتابات مصطفى لطفى المنفلوطى ومصطفى صادق الرافعي، وعبد العزيز البشرى وعشرات الكتاب الذين أعادوا أسلوب اللغة العربية الى عصورها الذهبية.

وكانت كتيبة المنهل التى أشرقت من المدينة المنورة أصدرها الأنصارى من طيبة الطيبة التى ناصرت ونصرت الدعوة في شتى بقاع الأرض، واتخذ الشيخ عبد القدوس الأنصارى من هذه البيئة منطلقا ومنهاجا لمجلته وجمع فيها عالمية الدعوة وثقافتها القائمة على تراث الإسلام وخدمة القرآن الكريم بخدمة

وقد وهب المنهل كل وقته وجهده وفكره.. بل بذل فيها بطيب نفس وخاطر شطرا من ماله الخاص، حتى يضمن لها الاستمرارية لاداء رسالتها المقدسة عنده..
رسالتها المتمثلة في الحفاظ على هوية هذه الأمة الخالدة بمشيئة الله تعالى.
وفي عدد المنهل الصادر في ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٤٢٤هـ ضمت صفحاته عدداً كبيراً مما كتب عارفوه وإخوانه وأصدقاؤه ومحبوه، ومحبو المنهل.. ثم أخذت الرسائل والكلمات تتوارد للمنهل من كل أقطار عالمنا العربي والاسلامي معزية في الفقيد العزيز.
وحباً بحب، ووفاء بوفاء، ننشر في هذه الصفحات عدداً مما سطره أقلام محبي الفقيد ومحبي المنهل.. وللجميع منّا الشكر والتقدير.

اللغة العربية التى قال الله فيها: (فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون).

وبارك الله في هذه المجلة وبقيت تحمل الرسالة وحدها بعد أن عطلت أذناب الشر وعملائها كل المجلات والصحف الجادة في خدمة الإسلام ولغته.

يقول الشاعر محمود عارف في المنهل بمناسبة مرور خمسة وأربعين عاما على صدوره:

حققت يا (منهل) آمالنا
في عمرك الخامس والأربعين
في عامك السابق أو بعده
تراثنا يأتى من الأولين
بالمنتقى من أدب سائغ
كالجدول الرقراق تحت الغصون
ومن قطاف العلم مزهوة
كالحقل في ناضحة المستبين
يا منهل العلم الذى نرتوى
من عذبه السلسل طول السنين
(أبو نبيه) شاده منجما
تراءوه معظمه في الثمين
يا واهب الألباب ما تشتهى
من منجزات تحتفى بالفنون
ألبابنا مفتوحة بالذى
أنجزته للرادة الكاتبين
أرواحنا مشغولة بالذى
أبدعته للمعشر النابهين
أنجزت في ممتنع ثابت
خوارق التاريخ للحاضرين
أبدعت القول منثوره
بجانب المنظوم للشاعرين
حقائق الإنسان في دهره
حققها مدعومة باليقين

كان الشيخ عبد القدوس الأنصارى من رجال العلم وأساطين اللغة العربية واكتسب تربيته من بيئة المدينة المنورة فصمد وجاهد أكثر بعد اختفاء مثيلات مجلة المنهل، وكان ذلك مثار اعجاب ومحط أنظار المحبين للغة والتراث.

وحين رحل الشيخ (١٤٠٣هـ) وجفت القلوب، وذرفت الدموع، لحزنها على علم من أعلام الجهاد، وفارس من فرسان الكلمة، وقائد لنمط من الصحافة افتقدته الساحة الأدبية منذ ما يقرب من ربع قرن، وبينما الناس في هذا الهم والغم طالعوا المنهل في أعدادها بعد رحيل الشيخ فراعهم وليد المدينة المنورة (أبو زهير) نبيه بن عبد القدوس الأنصاري.

كانت الأمنيات لدى محبى المنهل أن يسير على نهج الشيخ ويحمل الرسالة، وبخاصة في الظروف المتغيرة محليا وعربيا وإسلاميا وعالميا.. وكانت المفاجأة أن تقدم فارس الصحافة الأدبية يحمل الرسالة في أمانة ويقين برسالة المنهل مجاهدا به في كل الميادين التى توخاها والده، وزاد على ذلك ما أدخله على المنهل من تحليق في عالم الإخراج الفنى من حيث الشكل، أما من حيث المحتوى فحدث ولا حرج في كل ما يهم الدين والتراث والدنيا والثقافة والفكر.

ومن محامد نبيه بن عبد القدوس الأنصارى -

تغمده الله برحمته وجزاه خيرا عن الإسلام والمسلمين - إصدار أعداد خاصة في صورة موسوعة تغطى موضوعات يحتاجها المسلمون في حاضرهم.

لقد لفت (أبو زهير) الأنظار الى نهضة المنهل وتقدمه وثباته في الساحة الإسلامية، وطول نفسه وصموده مع ضعف الماديات وقلة الموارد....!!!

عجيب أمر هذا الرجل المبارك وليد المدينة المنورة يطاول بمنهله كل الصحف والمجلات في العالم الإسلامى المدعومة ماديا ومعنويا سريا وعلنيا، ويجوب بمنهله العالم العربي والإسلامى مقدما إليهم شتى الموضوعات والقضايا التى تهم وتخدم عقيدتهم وعبادتهم ولغتهم وتراثهم وكل ما ينير مستقبلهم ويغذي حاضرهم.

يقدم لهم المنهل بكل ما فيها من زخم علمي وفكري بأقل من سعر تكلفتها، وبأقل من سعر طباعتها، وهمه الأول هو نشر العلم والمعرفة بين المسلمين والعرب..هذا التجديد والابتكار وجدية الموضوعات في عهد نبيه بن عبد القدوس الأنصارى لفت - فيما أعلم - أنظار الباحثين في الدراسات العليا في الجامعات ليتسابقوا في تسجيل رسائلهم في شتى الموضوعات الأدبية والإسلامية واللغوية والتاريخية بل وفي أدب الأطفال والمرأة والفكاهة.. من واقع ما تقوم به مجلة المنهل.

إن رسوخ قدم نبيه بن عبد القدوس الأنصارى في الحقبة التى تولى فيها ملكية وتحرير (المنهل) مع ضعف الموارد التى تكاد تكون فردية، ومع تغير الأوضاع المحلية والعالمية، وظهور كثير من القضايا والمشاكل التى جعلت من بعض الأفراد والمؤسسات، بل والدول تتراجع عن بعض القيم.. كل ذلك لم يغير أو يوهن من يقينه، وظل صامدا صمود المسلم الذى لم يفرط في عقيدته ومبادئها وتراثها وبقى المنهل يشرق بصراحته وجديته، وينبض بكل آمال وآلام الأمة العربية والإسلامية.

نعم بقى نبيه بن عبد القدوس الأنصارى فى قيادة المنهل على نهج مؤسسه وزاد فيه بما أشرنا إليه، مدة زادت عن عمر مجلة (الثقافة) التى أصدرها أحمد أمين، وأكثر قليلا عن عمر مجلة (الرسالة) التى أصدرها أحمد حسن الزيات ولا ننكر أن بيئة المملكة خير مما أحاط بالمجلتين السابقتين، ولكن الظروف الدولية والهجمة العلمانية.. أقوى بكثير مما واجههما.

والباحث الأمين عليه أن يقوّم قيادة (نبيه) للمنهل في ظل هذه الحياة الأدبية والثقافية التى واكبت الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجرى، ولا ينتهى القول عن نبيه بن عبد القدوس الأنصارى بمثل هذه المقالات والأحاديث. ولكن نشير الى قيمة واضحة وأساس في المنهل، وهى أنه أسس على التقوى والإخلاص من أول حرف كتب لإصداره، ولذا أنبت فتية آمنوا بربهم، فزادهم هدى وتوفيقا ويقينا مستمدا من ذرية قال الله فيها: {فيه رجال يحبون أن يتطهروا} وقال أيضا: {يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة}.

ومن ثمار هذه الذرية الشيخ الجليل عبد القدوس الأنصارى وفارس الثقافة العربية والإسلامية نبيه بن عبد القدوس الأنصارى، ومستشار المنهل الاستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصارى، والشاب الذى يقتدى بجده وأبيه زهير بن نبيه بن عبد القدوس الأنصارى.

إننا نثق في الله - الذى يبارك المجاهدين المخلصين - بأن المنهل سيسير على الطريق الذى سَنَّه الأوائل تحمله أيدى أسرة تساند وتلتف حول الشاب الذى يعى تجربة الشيوخ وهو زهير بن نبيه بن عبد القدوس الأنصاري على ضوء اخوانه الاكارم.

ودعواتنا بدوام تدفق (المنهل) واستمراره في نشر تراثنا العربي والإسلامى، ليفيض على عالمنا بالحق والخير والجمال والفضيلة، في رعاية آل الأنصاري ■

دمعة ماضية .. ودمعة آنية

في ذكراه الأولى

نادر صلاح الدين

مدير إدارة المعجمات اللغوية بمجمع اللغة العربية - القاهرة

مــــازالت تلك اللحظة تســتــوطن أعـمـاقـي .. تطفـر أحـيـاناً الى الذاكـرة حين يثيرها ما يثيرها من ذكريات.. وترقد مستسلمة أحايين مع لحظات أخرى كانت قد أثّرت في حياتنا وكتب لها أن تتناهى الى اللاشعور.

مـازالت تلك الدمـعـة التى فرّت من عين الأنصـارى ونحن نفتـرش خضـرة حـديقتـه الخاصة بمنزله في جده حين ذهبت لأودعه قبل أن أغادر الى مصـر.. مـازالت مـاثلة أمـامي .. دمعة تلمست فيهـا أخوة صادقة وود رجل كـريم.. وكمـا يقـولون عندنا (لا يهـون عليـه العيش والملح).. وكنت قد أمضيت في المنهل آنذاك أربع سنوات بدءا من عـــام ١٤٠٤هـ للهجرة.. بدأتها بالعمل في المجلة مصـحـحا في عامي الأول.. ثم .. بدأ الاحتكاك الفعلى مع تلك الشخـصـيـة الطيبـة مع بداية عـامي الثاني..

كان الأنصارى رحمه الله ـ يعد لإصدار عدد متـخـصص عن العـادات والتـقـاليـد .. فوجئت به يستدعيني الى مكتبه ويسألني عن رأيي في (موتيفة) جمالية تتكرر على صفحات هذا العدد .. تشجعت قائلا عندى واحدة قد تصلح.. وحين عرضتها عليه قبلها مثنيا ثناء تعـجـبت منه.. ومـرّت الشـهـور لأفـهـم أن الأنصـارى كان يقصد من وراء ذلك أن يضع أقدامنا على أولى درجـات العـمل الصـحـفي المتكامل.. وأن يعلمنا كيف نعمل يداً واحدة من أجل الأفـضـل والأكـمل لمجلتنا.. فليس المصحح مصححاً ولا المحـرر مـحـرراً ولا المخـرج مـخـرجـا فحسب..

من يقـدر على أن يبـدع أو يبـتكر حـتى ولو لم يكن في تخـصـصــه الذى قـدم به فـالبـاب على مصراعيه.. لقد كان نبيه رحمه الله مفجّراً للامكانات الكامنة التى لا يراها الشـخص في نفسه بتشجيعه.. ونظرته الفاحصة وخبرته الصحفية المتميزة.. كان قادراً على استخراج طاقات من يعمل معه ليقدم الكثير والكثيـر عن طيب خـاطر من أجل الأفـضل (لمجلتنا) كما كان لسانه يلهج دائماً.. فلا إيثار ولا استئثـار.. وشـجعنى الأنصارى شيئا فشيئا وقدّمت لها ما خط قلمى لأجده منشـوراً في المنهل.. ثم لاجلسـه للإعـداد لإصدار عدد جديد إلا ويصر على حضورنا جميعاً.

الآراء مطروحـة للمناقشـة لا فرق بين كبيرنا وصغيرنا وبحنكته الصحفية يضفى الثناء المميز على ما يصلح منها ـ غير مسفه لأى رأى ولو كـان هـزيلا.. فـلا رئيس ولا مــرءوس تحت سـقـف العــمل للأفـضـل.. فلسـفـة الأنصارى.



واستطاع نبيه ـ رحمه الله ـ أن يزرع في عـقـولنا وقلوبنا حب المجلة وأن يوطد نظرية فـريق العـمل الواحـد ـ بل وصل الأمر الى حـــد زرع الغــيـــرة على

مجلتنا.. فصار كل واحد منا يحس بصدق أنها مجلته وأنها خاصته.

وتوج الأنصارى ما رمى إليه بإدراج أسمائنا في ترويسة المجلة.. كانت فرحتنا يومها كبيرة فقد كان هذا لونا من التقدير غير المسبوق.. كان نبيه الأنصارى - رحمه الله - حاملا لمسؤولية الكلمة.. مؤمنا برسالة المنهل سائرا على نهج مؤسسها الأنصارى الكبير رحمه الله.

وكانت المنهل برئاسة نبيه مدرسة ومعهدا تلقينا فيه أول دروسنا الصحفية.. ولا ننسى سهراتنا في قسم الإخراج الفنى جميعا حتى الساعات الأولى من الصباح.. ثم دعوة الأنصارى لنا للإفطار عند (الجرموشي) .. ليذهب بعد ذلك كل واحد منا وقد ذاب عناء ساعات وساعات.. القلب مليء بالفرح والنفس تفيض بهجة وتوقاً لمواصلة سهراتنا الصحفية بكل حب وبكل ود وبكل عطاء.

جرّنى ما صدم نظرى في جريدة الجزيرة العدد (١١١٥٧) الصادر بتاريخ ١٤ من صفر ١٤٢٤هـ للهجرة الموافق ١٦ من ابريل ٢٠٠٣م .. وهو نبأ وفاة نبيه الانصارى .. جرنى الى ذكريات كثيرة.. لم يسعفنى العقل المفجوع بوفاته لتتبعها كاملة.. ولا أملك غير دمعة فرّت سبقتها أخرى من عين صادقة منذ سنوات وسنوات.. دمعة حزن على فراقه، ولسان الحال .. سلام فإنا من مقيم وذاهب.

رحم الله نبيه الأنصارى رحمة واسعة.. ■

نبيه الأنصاري .. وداعا

أ.د. محمد عبد المنعم خفاجي

- مصر -

أخى الاستاذ / زهير

عزاء وصبرا واستمرارا للكفاح من أجل الأدب ولغة وتراث وفكر العرب.. لم أعلم بالوفاة الا في منتصف شهر مايو الماضي.. اقامت رابطة الأدب الحديث حفل تأبين لفقيد وفارس الصحافة الأدبية الاستاذ/ نبيه الانصارى في يوم الثلاثاء ١٩ مايو ٢٠٠٣م تحدث فيه عدد كبير من الأدباء والنقاد والشعراء والصحفيين.. ومع هذا، الكلمة التى افتتحت بها حفل التأبين.

أطال الله في حياتكم، والى الأمام ايها الفارس الهمام.. وتحياتى وعزائي الى اسرتكم واصدقائكم واحبابكم من كل مكان.

.. يعز علينا في رابطة الادب الحديث، في هذه الأمسية الحزينة، في تأبين الأديب الصحفي الكبير الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصاري صاحب مجلة المنهل الشامخة - طيب الله ثراه - .

يعز علينا أن نقول: وداعا أيها الانسان الكبير والأديب المبدع، والصحفى الرائد، في فترة نحن كنا في أشد الحاجة فيها الى فكره وقلمه وكفاحه من اجل الأمة العربية، ومن أجل الأمة الاسلامية.

يعز علينا حقا أن نؤبن نبيه الانصارى إنسانا نبيلا، وصديقا حميما، وفكرا أصيلا، وصحفيا مرموقا، وكاتبا مبدعا، ورائدا من رواد الصحافة

الأدبية في عالمنا العربي المعاصر.

من نؤبنه ؟.. نبيه الانصاري!! تاريخ وأي تاريخ !! تاريخ حافل بكل معاني الكفاح من أجل أداء واجبه نحو الأدب ونحو العروبة ، ونحو الشعوب الاسلامية.

نبيه الأنصاري قد أصبح في جوار الله واستعاض بهذا الجوار العظيم عن جوار الناس والحياة ..

نبيه الانصاري قد أصبح تاريخا يروى، بعد أن كان كتابا مفتوحا وكفاحا موصولا في خدمة أمته، وخدمة دينه، وخدمة وطنه..

نبيه الانصاري فارس الصحافة الادبية حقا، وابن المفكر والاديب والصحفي السعودي الكبير الشيخ عبد القدوس الانصاري طيب الله ثراه، وصاحب المنهل ورئيس تحريره منذ وفاة والده عام ١٤٠٣هـ، والذي ابلى بلاء حسنا في الارتقاء بمجلة المنهل حتى أصبحت من أشهر المجلات الفكرية والادبية في عالمنا العربي.

نبيه الانصاري والمنهل على مدى ٢١ عاما (١٤٠٣ - ١٤٢٤هـ) وقبل ذلك مساعدا ومعاونا لوالده في تحرير المنهل، والمنهل يزيد يوما بعد يوم شموخا وذيوعا وتجديدا وثراء وقوة في نضاله الادبي من أجل الادب ولغة العرب وتراث الأمة العربية المجيدة.

عرفت الاستاذ نبيه منذ أن كان طالبا يدرس في القاهرة، ثم منذ أن خرج الى الحياة العامة في وطنه كاتبا صحفيا أديبا متوقد العزيمة، متوهج الفكر، تمتلىء نفسه بأكبر الآمال في مستقبل بلاده، وفي الغد المرموق لوطنه.

نبيه الانصاري الذي لقي ربه في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر صفر عام ١٤٢٤هـ الموافق ١٤/٤/٢٠٠٣م عن ثمانية وستين عاما (١٣٥٦ - ١٤٢٤هـ)، قضى أكثرها مع والده (١٣٥٦ - ١٤٠٣هـ) في العمل من أجل أن تصبح مجلة المنهل مجلة لكل الادباء والمثقفين والمفكرين، ولم يمت الا وهذا الحلم الكبير قد تحقق على يديه بفضل مثابرته وعزيمته وكفاحه الموصول.

كان المنهل قد صدر قبل ميلاد نبيه الانصاري بعام بفضل جهاد والده شيخ الصحافة الشيخ عبد القدوس الانصاري، وما أن أتم الفتى الشاب نبيه الانصاري دراسته حتى وقف بجوار والده في المنهل، ومن أجل المنهل، وفي خدمة النهضة في بلاده عن طريق المنهل، وبفضل مثابرة الشيخ عبد القدوس وعزيزه ابنه نبيه استمر المنهل في الصدور دون توقف منذ أن صدر العدد الأول منه في ذي الحجة من عام ١٣٥٥هـ - ديسمبر ١٩٣٧م حتى يومنا هذا.

وفي رياسة نبيه الانصاري للمنهل منذ عام ١٤٠٣هـ أصدر المنهل مجموعة اصدارات سنوية متميزة ومتعددة بلغت ٢٦ اصدارا، واحتفل المنهل بعيده الذهبي في المحرم ١٤٠٥هـ/ اكتوبر ١٩٨٤م، وصدر عدد خاص باليوبيل الذهبي في المحرم ١٤٠٥هـ.

ولا ننسى العمل العظيم الذي قام به نبيه الانصاري وهو اخراج المجموعة الكاملة لمجلة المنهل، وأصبحت هذه المجموعة في ايدي الادباء والمفكرين، وهو حلم عزيز غال تحقق بفضل نبيه الانصاري.

في ذكراه الأولى



وقد شهدت المنهل في ظله طفرة صحفية وثقافية وادبية عجيبة .. وكان رحمه الله موصول العناية باصدار المنهل شهريا واصدار الاعداد الممتازة من المنهل باستمرار ودون توقف، والى عمله الدائب في اصدار مؤلفات والده.

وتعتز رابطة الادب الحديث بأن نبيه الانصاري كان أحد اعضائها الكبار وبالندوات التي أقامتها الرابطة بالاشتراك مع المنهل في القاهرة في موضوعات فكرية لها أهميتها .. والمنهل الذي لقي ما لقي من تجديد ونشاط في عهد مؤسسه الشيخ عبد القدوس الانصاري وفي عهد ابنه الكبير الأستاذ نبيه الانصاري لا شك انه سيلقى الكثير والكثير في عهد الحفيد زهير بن نبيه بن عبد القدوس الانصاري الذي سوف ينهض بالعبء في عزيمة قوية وشباب متجدد وفكر اصيل.

حيا الله المنهل، وحيا أسرة المنهل، وحيا أصدقاء المنهل الذين يصممون على أن تستمر المنهل لسان صدق للأدباء والمثقفين العرب من كل مكان.

والله الموفق والمستعان، . ■

الأديب المتحضر الأستاذ النبيه الأنصاري

أ.د. يوسف عز الدين

ويلز - بريطانيا

في العالم العربي يصل الانسان الى أعلى الدرجات العلمية ويتسنم أرقى سلم الوظيفة. وقد يكون أستاذا في الجامعة أو عضواً في مجلس الشورى أو مجلس الامة وقد يرتدي اغلى الثياب الغالية ويمتلك الضياع والعقارات ولكنه يجهل اساليب الحضارة وطريق التمدن.

إنها ظاهرة على عالمنا العربي.. أقول ذلك بعد تجربة طويلة وصلات وثقي بقادة الرأي وربابنة المسؤولية واعلام العالم العربي والرواد.

الحضارة: تقوم على إعطاء كل ذي حق حقه في المجاملات الاجتماعية والصلات العامة وهذا أمر حز في نفسي والمنى وجوده وليس هناك من يعرف اصول الحضارة الا قلة من العرب وعدد محدود من المفكرين النابهين، مع ان الدين الاسلامي والحياة الاجتماعية والتقاليد الأصيلة تؤكد على ضرورة الاحتفاظ بالصلات الودية والعلاقات الاجتماعية بين الناس.

وقد امتاز الاديب الصديق الاستاذ نبيه الانصاري بهذه الميزة فهو لا يقطع صلة ولا يسكت عن سؤال ولا يهمل ما أرسل إليه، ولما مرض كان يوعز الى ابنه الاستاذ زهير بالاستمرار على هذه الظاهرة الحضارية البارزة.. فما أرسلت له رسالة الا رد عليها وما أرسلت له مقالة الا اخبرني بوصولها، وكان يرسل مع كل مقالة ينشرها رسالة شكر ويرجو مواصلة النشر بأدب جم وخلق راق وعبارة جميلة حلوة.

تذكرت الفقيد في ذكراه الاولى ، فقد كان مثلا للخلق الرضي والشمائل العالية، عرف الناس قدره وأصبح جميع الكتاب في المجلة من اصدقائه فأحبوه حباً صادقاً وقدروه إنساناً كبيراً وكاتبا

يمتاز بالذوق الرفيع والعبارة الجميلة والاسلوب السلس الجميل.

وإن أنس فلا أنس رقة شمائله عندما أسهم في العدد الخاص الذى اصدره الاديب الاستاذ وديع العبيدي عنى من مجلته (ضفاف) في النمسا فقد اسبغ عليَّ من حلو اخلاقه وجميل معدنه وصدق أصالته ما اسعدني وحاز اعجاب الاخوان، باسلوبه الجميل وعبارته الجزلة وتركيز المعاني ووصوله الى الهدف الفكري والقصد العلمي دون لف في القول ومعاضلة في الهدف.

قرأت ما كتبه عنه الزملاء والاخوان في العدد الخاص الذى بذل فيه الاخ زهير جهداً واضحاً ظهر فيه تفوقه الصحفي واسلوبه الجميل في الاخراج وحمدت الله ان ورث زهير صفات والده العالية وخبرته العميقة وسعدت بأن المجلة سوف تسير كما سارت أيام جده الاديب الكبير ووالده الفاضل النبيل.

ورددت قول القائل (خير خلف لخير سلف)، وشكرت عواطف الزملاء الذين سبقوني في الفضل في الاشادة بمآثر الاستاذ نبيه رحمه الله واسفت لأني تأخرت عن السير في ركب المخلصين وسيرة العلماء الاعلام الذين اسهموا في العدد الممتاز اخراجا وعلماً من قادة الرأى وربابنة الفكر، وبورك فيك يا زهير مع اخلص العزاء ■

خُلِّدت في القلوب

قطع الموت حـارمـاً لبنيـه
كلَّ حسن من الأديب نبيه

هز فينا معالماً وقلوباً
(والسطورُ) بدمعها تشجيه

نكتمُ الحزنَ في عزاء كئيب
إنما الدمعُ للفراق بديهي

ويكته محامد الصحف تشكي
ونراها لحزنها ترثيه

يكسب النابه الأريبُ ثناء
قبل إيذانه وبعد سنيه

إيه يا شهمُ كنت سناء
بالخصال (ومنهلا) لبنيه

ونصرتَ الآداب عن كل وغد
وجعلت النبوغ للتوجيه

وحميت درة ظلتْ زماناً
في سمو واصطفاء وجيه

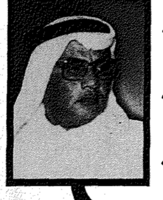
فغدا (المنهل) الطروبُ فتياً
بثبات على نهاج أبيه

وبه الفكر الرواء وعلمٌ
كمزون وحكمة تعليه

أنت خُلِّدت في القلوب لتحيا
والدعاء وصدقه نسديه

أنت أكملت نهجاً سنياً
فأتى النهجُ بالسنا يحكيه

في ذكرى الأولى



وبنيت مكارماً كيف تفنى
وعفوت لجاهل وسفيه
ما طرقنا ساحة النوح لما
نسكب الدمع والعزا لذويه
(إنها القوافل اليوم تجري
في المسار فلا مجال لتيه)
(وأمان (للمنهل) اليوم حرّى
بالسَّداد وكل من يفديه)
(وإذا أكمل الهمامُ السجايا
واعتلى المجد فالبروجُ تعيه)
(أيُّ عيب من الموت حتى
يكمل المؤمن الجزا لا عليه)

محمد بن حمود الرحيلي - المدينة المنورة

نبيه الأنصاري - رحمه الله - رجل الصحافة والوفاء

رحم الله نبيه بن عبد القدوس الانصاري الذى انتقل الى الرفيق الأعلى بعد أن حمل راية المنهل شامخة كما أسسها والده عبد القدوس - رحمه الله - الذى أسس المجلة الأدبية العظيمة.

هذا ولقد كان نبيه رحمه الله رجل وفاء منقطع النظير ومن الذين أنفقوا بسخاء على المجلة ومتطلباتها - وكان له ترتيب عظيم في اهداء المجلة دورياً لمجموعة كبيرة من المدارس والمراكز الأدبية العربية والإسلامية بالعالم دون مقابل تعضيداً للغة العربية لغة الضاد العظيمة التى أكرمها الله سبحانه وتعالى بدين الإسلام وبالقرآن الكريم **{كتاب فصلت آياته - قرآناً عربيا لقوم يعلمون}** (فصلت/ ٣).

وكان رحمه الله من قلائل الرجال الذين يؤمنون بضرورة الحفاظ على مستوى المجلة وتوزيعها - وكان يحضر مجموعة من المجلات لمنتدى مؤسسة الأثنينية للتوزيع - وكان يصرف على بريد المجلة الكثير وذلك ببعث بعض الكتب لمن يطلبها - وكان من ضمن ما يبعثه لكثير من معارفه ومحبيه كتاب شذرات الذهب للغزاوي - رحمه الله - وكذلك كتب الشيخ عبد القدوس (تاريخ مدينة جدة - الصيام) وغيرها من الكتب التى تصله من هنا وهناك - فرحمه الله رحمة واسعة وجزاه الله خيراً وأسكنه فسيح جناته وغسله بالثلج والماء والبرد وجزاه بما جاء في قوله تعالى : **{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً}** (مريم/ ٩٦).

هذا ونسأل الله التوفيق لزهير واخوته، التوفيق في السير بالمجلة قدماً كوالدهم وجدهم - رحمهم الله أجمعين - وصدق الله قوله: **{كل نفس ذائقة الموت}** (آل عمران/ ١٨٥) - **{ولكل أمة أجل - فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون}** (الأعراف/ ٣٤) - **{كل من عليها فان - ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام}** (الرحمن/ ٢٦ - ٢٧).

وختاماً نسأل الله بأسمائه الحسنى وبما يجيب دعوة الداعي أن يشمل المجلة برعايته وعنايته حتى تسير كما أراد لها مؤسسها ومن بعده نبيه - رحمهم الله وشملهم بما جاء في قوله: **{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا}** صدق الله العظيم ■

المحب/ منصور بن حسين عطار - جدة

ونجل (نبيه) .. يُسمّى (زهيراً)

في ذكراه الأولى

في محرم ١٤١٥هـ كتبت هذه الأبيات المتواضعة.. صدى لإعجابي بمجلة المنهل الرائعة، ممثلة في رئيس تحريرها وصاحبها الأديب الراحل الأستاذ نبيه بن عبد القدوس الأنصاري، ونائبه سابقا الأديب الأستاذ زهير بن نبيه (نجله)، ولم أرسل الأبيات.. ولما رحل فارسها، وفي ذكرى رحيله الاولى تذكرت أني دبجت فيه قصيدة لم تزل مسودة في أوراقي، وها أنا أبعثها، بعد تبييضها، إذ أشار عليَّ راعي اثنينية النعيم الثقافية بالأحساء الأديب الأستاذ محمد بن صالح النعيم بسرعة ارسالها.

نبيه تألق في المنهل
أراه على قمم يعتلي !

بنى لمجلته بافتخار
منائر، تهفو إلى زحل !

لقد واصل السير بعد أبيه
فضحى لها دونما ملل

وأضحى رئيساً لتحريرها
فألبسها أروع الحُلل

مجلته مرجع الباحثين
وشمسُ البحوث بها تنجلي

بكوكبة الأدبا .. نلتقي
على روضها البدر، لم يأفل!

لنا رحلة مع كتابها
بفردوسها دائماً نختلي

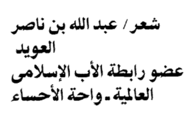
* * *

ونجلُ نبيه .. يُسمَّى زُهيراً
به يُزهرُ الفكرُ للمقبل !

يُفجرُ ينبوعها في المُروج
فتجري فراتها في المنهل

هنيئاً لقرائها، قد غدوا
يباهون بالعمق في المحفل

هنيئاً وفخراً لهم، قد حظوا
بموسوعة الفكر كالمشعل


شعر / عبد الله بن ناصر العويد
عضو رابطة الأب الإسلامي العالمية - واحة الأحساء



نظرات في فكر الشيخ محمد المبارك

(١) الاقتصاد الإسلامي نموذجاً :

يمتلك هذا الرجل شـحنة من الأفكار الدينية في الفكر الإسلامي المعاصر. وقد اهتم كثيراً بالنظريات الإسلامية كنظم دينية للحياة في مساراتها ومجالاتها المختلفة. ففي كتبه عن النظام الإسلامي يدرس نظم العقيدة والعبادة والأخلاق والاجتماع والاقتصاد والسياسة الإسلامية بصفة عامة في الحياة الدنيا في العصر الحديث.

وفي هذا الإطار يقدم كتاب (نظام الإسلام: الاقتصاد .. مبادىء وقواعد عامة) بقوله: «إن الغرض من تأليف هذا الكتاب أن يكون فصلا من كتاب أشمل يقدم صورة كاملة الأجزاء متناسبة الأقسام عن الإسلام ديناً للحياة أي فلسفة لها وعقيدة، وسلوكاً ونظاماً».. الصفحة الثالثة، الطبعة الثالثة عن دار الفكر في بيروت.

ومن هذا المنطلق يشرح الشيخ المبارك هذه النظم الأخلاقية والاجتماعية والدستورية من خلال مرجعية الإسلام بشقيه القرآني والسني، وأحكام الفقه من سلوكيات وعبادات واجتهاد الفقهاء على مر التاريخ الإسلامي العريق. فهذه المصادر التنظيمية هي الأسس التى قامت عليها مجالات التشريع الإسلامي، ومقاصده ومكارمه في الشريعة الغراء. ركز الشيخ المبارك عليها بمعرفته الفقهية وحنكته البصيرة في أمور وأحكام الدين. وهي رؤية فقهية نحو قضايا الأمة الإسلامية في حياتها الاقتصادية والاجتماعية والتشريعية والعقدية.

وإذا أخذنا الجانب الاقتصادي مثالا لما نقول وجدنا أن المبارك يطرح لقارىء كتابه «نظام الإسلام في الاقتصاد» موضوعاً هو من الأهمية بمكان ؛ فهو مبادىء وقواعد عامة في الاقتصاد برؤية المفكر المسلم الى آفاقه العليا ليطرح الموضوع بهدف إعطاء الفرد المسلم نظرة الدين العادلة لعلميات البيوع والزكوات والمرابحات والشركة والاستثمار في جميع السلع والموارد والعروض وما الى ذلك من متعلقات الأموال والنقود والاقتصاد والتجارة والديون وسواها من التكاليف الشرائية والملكية الخاصة والعامة؛ بحيث تضمن الحقوق والعمليات المادية والمستحقات الواجبات في الأعمال وما يتعلق بالعمال من أجور وحقوق وحسومات ما يقتضيه العمل عند الإخلال به أو التقصير فيه. وهذا الجانب في واقع الحال ما عناه بالعنصر الإنساني الموجه في المجال



فاروق صالح باسلامة
- جـــدة -

الاقتصادي وأن عمليات النشاط الاقتصادي تتجسد في العمل والملكية لأن موقف الإسلام من العمل ومفهومه له واضحان من خلال أحكامه التنظيمية وقواعده التوجيهية. أما الملكية فهي ظاهرة اجتماعية على الرغم من معناها الاقتصادي.

وقد أوضح المؤلف مفهومها الإسلامي المتميز كما وضح عناصرها المكونة للاقتصاد وتشريع الاسلام لها وأنواعها وطرقها المشروعة وغير المشروعة لكسبها. رعاية من الدين الاسلامي للثروات المادية في هذه الحياة وتوجيه الناس وإرشادهم للتعاطي معها بعدالة وحق وإنصاف. فهي من جهة تشكل عصباً من عصبات الحياة الإنسانية والاجتماعية.

ومن جهة أخرى تنظر الشريعة إليها نظرها إلى أي مكاسب بشرية وإبداعات أهلها وإن ذلك من الله المانح الرزاق استودعها أهلها الممنوحين كي يرعوها حق الرعاية ويزكوها حق التزكية وينفقونها في الواجبات والمكاسب المباحة والاستثمار النزيه وما الى ذلك من المعاملات ومجالات الإنفاق.

وهذا في الواقع يبرز جانباً من جوانب الفكر الاقتصادي : «لأن التعامل الاقتصادي سابق للفكر الاقتصادي ولأن التبادل التجاري لجميع الحاجات الإنسانية، مقايضة أو بيعاً أو شراءاً، جاء متطوراً مع وجود الإنسان وتطوره، وأعقب ذلك التفكير في وضع قواعد وضوابط لهذا التعامل»[١].

فما هدف إليه مفكرنا الشيخ محمد المبارك في

اضاءه

الأستاذ والمفكر الاسلامي الشيخ محمد المبارك:

- ولد ونشأ في مدينة دمشق، وتعلم على يد والده الشيخ عبد القادر المبارك الذى اهتم بتربيته في التعليم العام حتى تخرج في كلية الحقوق بجامعة دمشق عام ١٩٣٥م.

- ابتعث الى جامعة باريز عام ١٩٣٨م .

- درس الفكر والثقافة الاسلامية على شيخ الشام المحدث محمد بدر الدين الحسني.

- عمل مفتشاً عاما للغة العربية والدين في وزارة المعارف ثم محاضراً، فأستاذا في كلية الشريعة الاسلامية بدمشق، فعميداً لها.

- عمل أستاذا بعد ذلك ورئيساً لقسم الدراسات الإسلامية في جامعة أم درمان الاسلامية/ السودان عام ١٩٦٦م.

- ثم عين في مكة المكرمة استاذاً ورئيساً لقسم الشريعة في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية عام ١٩٦٩م.

- كان عضواً في مجمع اللغة العربية (المجمع العلمي بدمشق).

- كما كان عضواً بالمجلس الأعلى الاستشاري بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.

- شارك الشيخ محمد المبارك في العمل السياسي بوطنه حيث عمل نائباً عن مدينة دمشق. ثم تولى الوزارة مرات عديدة.

- تاريخ الوفاه ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م - رحمه الله.

الشيخ المبارك عالم موسوعي حمل همّ المسلمين.

ما تحدث في كتابه عن الاقتصاد كنظام اسلامي إنما جاء الشاهد أعلاه دليلا عليه وحجة إليه الشيء الفكري الذي يدعم بعضه بعضاً، فالاقتصاد برؤية الإسلام جزء من كل، هو النظام الإسلامي وشريعته الغراء.

قال الحق تبارك وتعالى: {ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتَّبِعْها}[٢].

ويرى الأستاذ المبارك بتدخل الدولة لأنها ذات دور في المجالات الاقتصادية حيث من المنطقي مراقبتها للأعمال وحمايتها لها وتنفيذ الأحكام المتعلقة بها. حيث لها الحق - بل عليها كما يرى التشريع الديني - تأمين حياةالرعية وسد حاجتهم. وهذا أمر قائم في الحكومة الإسلامية متى وأيا كانت موجودة في المكان والزمان. وذلك بناء على أساس العدل والتكافل الاجتماعي العام وتكافؤ الفرص. وعلى التعاون والتوازن - وهما غير المساواة - بدلا من التنافس والصراع نتيجة لتطبيق الشريعة[٣].

هذه جوانب إسلامية في نظم الحياة وما يميزها، ان المبارك - رحمه الله - أطرّها تأطيراً عقدياً وأخلاقياً، فبدت ملامح نظام الإسلام في الاقتصاد متكاملة السمات الفكرية والقانونية والتشريعية في أسلوب ينم عن الوعي في فكر الرجل الإسلامي.

(٢) المجتمع الإسلامي والأمة :

لقد قدم أستاذنا المبارك سلسلة من الدراسات الاجتماعية، وهذا عنوانها المميز، أما موضوعاتها فتندرج في إطار الفكر الإسلامي في العصر الحديث، كذلك. لكن في إسهاب موضوعي عن المجتمع الإسلامي المعاصر الكبير الذي يشكل أمة متكاملة السمات والهوية الأصيلة التى معيارها الدين لا الحسب أو النسب، وإنما تكمن معاني هذه الهوية في العمل والتقوى والصلاح. وتميزها المشاركة في العقيدة والثقافة والتوجه نحو الوحدة المتكاتفة بأيدي المجتمع وأفراده الكثيرين! ومسيرتهم ترنو نحو التوحيد بالله والإيمان بما أمرهم به المولى عز وجل وبسنة خاتم النبيين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. ذلك هو الجانب العقدي لأمة الإسلام ومجتمعه الغفير العدد، تبياناً وتمهيداً لجعله مجتمعاً مسؤولا عن العمل في دنياهم والثواب أو العقاب في الآخرة!

ولكن ثمة سؤالا يتناوله طرح الأستاذ المبارك في صدد الأمة وكيفية الكينونة لها وما هي العوامل المكونة للأمة والعناصر التى تكونها؟

والجواب طويل النفس وشاق البيان، لكن مفكرنا يلتزم في الإجابة منهج كتابه بأتمه! لأنه يوضح منذ البداية تاريخية مصطلح «الأمة» وتطوره عبر العصور، بل إنه يشير إلى الأمة العربية في

جاهليتها! ذلك أنه ملتزم في إيضاح النقلة البنيوية المكونة - إن جاز التعبير - لكي تكون هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس.

علماً بأنه أخذ في بحثه - في هذا الصدد - بموضوعية الفكرة النوعية، وليس هذا فحسب بل فصل في كتابه العوامل الفكرية والاجتماعية والجوانب الدينية والنواحي الإنسانية والكونية لإيجاد أجيال تقتفي أثر الرسالة الإسلامية وتحيا في الحياة بصفة عامة حياة كريمة معززة لا تعيش الحياة كيفما اتفق!! وهذا الذي نقوله؛ فيه الفكر الإسلامي والدعوة الدينية والإيمان وبواعثه والعمل الصالح الذي يدعو إليه سائر الأنبياء.. أنبياء الله ورسله بوحي الله عز وجل وليس هذا القول بالذي نرميه على عواهنه بل إن الأستاذ المبارك يقول بالنص موضحاً وهو يقدم فكرته التطورية والتاريخية العامة:

«والغريب في الأمر أن الباحثين الغربيين بوجه عام - وقد قرأت لكثير من الفرنسيين منهم - لم يشيروا إلى هذا المفهوم التطوري للأمة»[٤]

وهو بذلك يشير الى الأمة البشرية والبرية العامة الذين أوجدهم الخالق تبارك وتعالى على مر العصور والدهور. وذلك جهلا من بعض الكتاب الغربيين بأصل الإنسان وبالتالي بالأمم التى بعث الله فيها الرسل والأنبياء والصالحين، وبالذات دارون القائل بأصل الإنسان وتطوره الحيواني. علماً بما يقال - في بعض الحالات - أن تلامذته هم الذين شرحوا ذلك!! ولم يقله صراحة!!

بل إن المبارك قال بعد الذي سقناه :

«إن هذا المفهوم التطوري للأمة وللعوامل المكونة لها لم يشيروا إليه في الكتب التقليدية الشائعة وأن كلمة Nation في الفرنسية والإنكليزية وسائر اللغات الأوربية تضيق عن حمل هذا المعنى التطوري الواسع كما يمكن أن تحمله كلمة (أمة) في اللغة العربية»[٥].

ومن ثم قال مباشرة:

«وقد ساعد ذلك اشتقاقها من مادة (أم م) بمعنى قصد».

ويستطرد : «فوحدة القصد والاتجاه هي العنصر الأساسي في (الأمة)» ثم يقول: «وهذا المعنى يمكن أن يتحقق في أهل قرية أو أفراد قبيلة، كما يمكن أن يتحقق في مجموعة شعوب أو أقوام. وذلك حين تنتظم القرية أو القبيلة أو مجموعة الشعوب، فكرة واحدة أو فلسفة واحدة في الحياة أو عقيدة واحدة شاملة»[٦].

قلت وأنا أتساءل لمَ ؟ والإجابة من كتاب المبارك وفي نفس المكان: «لتتوحد مفاهيمهم واتجاهاتهم وقيمهم بل عاداتهم وعواطفهم».

إذن اتضح مقصد

** بفكره وعلمه أسهم في ابراز الوجه الحضاري المتميز للاسلام والمسلمين.

الشـمـوليـة للناس والأمـة، سـواء الماضـون والحـالون. واتضح كذلك العمل الناهض المطلوب لإرسـاء مـفـهـوم رسـالة الله السـمـاوية من خلال الأمة.. أمة تلو أخرى لتعمل على العبادة المرجوة له الحق تبـاركت أسـمـاؤه وتعـالت آياته؛ إلى السـاعـة وهو القائل: {كذلك أرسلناك في أمـة قـد خلت من قبلهـا أمم، لتـتلو عليـهـم الذي أوحينا إليك}[٧].

وهو القـائل أيضـاً : {إنا أرسلناك بالحق بشيـراً ونذيراً وإن من أمـة إلا خـلا فيها نذير}[٨].

** (الاقتصاد - السياسة - المجتمع) من اكبر معالم توجهه الفكري والعملي.

٣) الفكر الإسـلامي العلمي والحديث :

من حسن وعي المبارك تفـهـمـه المبكر من سنيّ حياته، للعلوم عند المسلمين مـثل الرياضـيـات وعلم الطبـيـعـة والكون. وكـان السـبب في ذلك تفـوقـه في دروس الفـرائض وهو علم تقسيم التركة على الورثة، على يد مـحـدث الديار الشامية الشيخ محمد بدر الدين الحسني. حيث لاحظ عليه أثناء حل مسائل الفرائض مقدرته في الحساب ! فانتقل به بعد ذلك الى كتاب (خلاصة الحساب) لبهاء الدين العاملي وهو يحتوي على ثلاثة أقسام في الحساب والهندسة والجبر. ثم اقرأه قسماً من كتاب (أصول اقليدس) تحرير العلامة نصير الدين الطوسي. وهو في نظريات الهندسة المسطحة.. الخ.

هكذا بدأ المبارك في جمع فكره العملي وزاده الرياضي والمنطقي الدراسيين على الشيخ بدر الدين، وكـان درسـه على يد هذا الشـيخ، في أثناء دراسـة محمد المبارك الثانوية. وزاد على ذلك كله دراسته للفلسفة وكان أستاذه فيها الدكتور جميل صليبا. حيث أعد بحثاً في الرياضيات عند المسلمين قدمه للدكتور المذكور، ضمنه خلاصة ما قرأه على الشيخ الحسني؛ فأعجب به أستاذ الفلسفة بل عجب مما فيه من مادة غزيرة نادرة!!

وما كان من التلميذ المبارك إلا أن نقحه وبعث به إلى مجلة الرسالة التى كان يصدرها أحمد حسن الزيات (الأديب المعروف) بالقاهرة وذلك مع بحث آخر للمبارك عن البيروني الرياضي والعالم المشهور كانا في سنة ١٩٣٤م.

وفي سيرة المبارك يُذكر أنه تحول فجأة من الدراسة العلمية التى كان ينوي مواصلتها في إحدى كليات الهندسة، إلى الدراسة الأدبية والحقوقية وكانت له بها صلة بسبب بيئة والده الشيخ عبد القادر المبارك عضو المجمع العربي بدمشق سابقاً والأديب المعروف. لكن محمداً تابع بعد ذلك دراسته للرياضيات أثناء دراسته للحقوق على الرياضي الكبير جودة الهاشمي في مادتي الرياضيات العالية والهندسة في كتب فرنسية كان يقرأها عليه في داره

بدمشق. وتابع المبارك البحث فيما ترجم من كتب العلوم الرياضية والطبيعية من العربية الى اللاتينية، التى كان لها الأثر الكبير على علماء الغرب مثل جاليلو وبايكون. أثناء دراسته في الأدب والاجتماع في جامعة باريس. ثم نشر كتابه ذا الشأن المهم: «الإسلام والفكر العلمي» عن دار الفكر.

بعد هذا السرد الفكري لمحمد المبارك من الزاوية العلمية البحتة، نذكر عناية الرجل بدراسة القرآن الكريم وأثرها في تكوين فكره الإسلامي وخصائصه.

فقد قدم المبارك كتاباً آخر من تجاربه الفكرية وهو الموسوم بـ «الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية» ط دار الفكر سنة ١٩٧٠م /١٣٨٩هـ - بيروت - لبنان.

وهو يحكي في هذا الكتاب قصته وتجربته وتجربة جيله من المفكرين الإسلاميين الذين واجهوا في العصر الحديث التيارات الفكرية الشريرة من شرقية وغربية، من جوانبها الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية والليبرالية والصليبية. التى انتهزت فرصة ذهبية بالنسبة إليها هي أن تعاليم الإسلام كانت قد انحسرت خلال العصر السابق عن الساحة العامة وحالت بين مفاهيمه الاجتماعية الغالية ومعالمه الأساسية، وبين جمهور الناس حواجز كثيفة من الأمية والجهل عند الكثير وتشويه تلك المفاهيم وغرز الشوائب الغربية في أفكارهم.

يقول المبارك رحمه الله :

«توالت تلك التيارات الفكرية وتعاقبت ثم تداخلت في مجتمعنا الإسلامي... وعلى أساس هذه الفلسفات والمذاهب تكونت في البلاد العربية والإسلامية كثير من الهيئات والتيارات الفكرية.. وبينما يجري هذا كله في البيئات المثقفة والسياسية من المجتمع تبقى الجمهرة الكبرى من الناس مخلصة لتعاليم تأصلت فيها خلال قرون طويلة وهي تعاليم الإسلام» أ.هـ.

الهوامش :

(١) الأسس الفكرية والعملية للاقتصاد الإسلامي ص ١٠، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م ، من منشورات دار الرفاعي بالرياض.

(٢) من الآية ١٨ في سورة الجاثية.

(٣) نظام الإسلام في الاقتصاد ص ١٥٧ ، ١٥٨ (بتصرف).

(٤) الأمة والعوامل المكونة لها ص ٦ ، ط دار الفكر الثالثة ١٣٥٩هـ - ١٩٧٥م ، بيروت - لبنان.

(٥) محمد المبارك: الأمة والعوامل المكونة لها.

(٦) نفس المرجع.

(٧) من الآية ٣٠ في سورة الرعد.

(٨) الآية ٢٤ من سورة فاطر.

**** الكون رسالة مفتوحة على المسلم ان يحسن قراءتها.**



الفرق بين اللهو واللعب

يقول العلماء إن العطف يقتضي المغايرة..

ومن هنا لا يجوز أن نفسر كلمتين متعاطفتين بالأخرى؛ لأن الأولى هي بالتأكيد غير الثانية، لكننا نفعل ذلك لبيان أن هناك معنى مشتركا بينهما، فنفسر قوله تعالى: ﴿إنما الحياة الدنيا لهو ولعب﴾ بأن كلمتي لهو ولعب مترادفتان، وأن اللهو هو اللعب، ولكن فقهاء اللغة لا يرتضون هذا الكلام، ويجعلون بينهما فرقا، فما الفرق إذا بين الكلمتين؟!

نقول : أولا إن الله تعالى قد ذكر اللهو في كتابه الكريم بلفظ (لهو) وما تصرف عنه ست عشرة مرة، وذكر اللعب بلفظ (لعب) وما تصرف عن هذه الكلمة إحدى وعشرين مرة.

وجاءت كلمة (لهو) مقدمة على كلمة (لعب) في سورتي الأعراف والعنكبوت فقط، حيث قال الله تعالى في سورة الأعراف {**الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا**}[١]، وفي سورة العنكبوت قال الله تعالى: {**وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون**}[٢].

وما عدا ذلك فإن كلمة (لعب) مقدمة على كلمة (لهو) في كل القرآن الكريم.

وسنجد أن كل ذلك لحكمة أرادها الله تعالى، ومعان عميقة هي من خصائص هذا الكتاب الكريم، والآن فما الفرق بين الكلمتين؟.

قال الطرطوشي: وأصل اللهو: الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة[٣].

وقال أبو هلال العسكري: وإنما اللهو لعب لا يعقب نفعاً، وسمي لهواً؛ لأنه يشغل عما يعني، من قولهم: ألهاني الشيء: أي شغلني (أي عما ينفع) ومنه قوله {**ألهاكم التكاثر**}[٤].

وقال في تفسير القرطبي: {**ألهاكم التكاثر**} ألهاكم شغلكم.

أي شغلتكم المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة الله حتى متُّم، ودفنتم في المقابر.

وقيل ألهاكم: أنساكم التكاثر: أي من الأموال والأولاد، قاله ابن عباس والحسن.

وقال قتادة : أي التفاخر بالقبائل والعشائر[٥] وقيل غير ذلك.

(قلت) وكل ذلك انشغال فيما لا نفع فيه.

وأما اللعب فهو غير اللهو - وإن كانا يتفقان في المآل - إذ اللعب عمل للذة لا يراعى فيه داعي الحكمة، كعمل الصبي، لأنه لا يعرف الحكمة من الأشياء التى يعملها[٦].

وقد يكون لعب دون لهو كما في لعب الرجل مع زوجته[٧].

(قلت) أحسن ما قرأت - ولا أذكر أين قرأت ذلك - أن اللعب : أن يحدد الشيء المراد لعبه، مثل أن يقول لصاحبه: تعال نلعب الشطرنج، أو نلعب الكرة، وأما اللهو فهو تضييع للوقت دون تحديد بشيء، كمن يقول لصاحبه: تعال نخرج نلهو من غير تحديد الشيء



د. ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

الذي يلهون به، ثم يمكن أن يحدد بعد ذلك ما يلهون به فيكون لعباً.

وفي تفسير البغوي قال: لهو ولعب، اللهو: هو الاستمتاع بلذات الدنيا، واللعب: العبث سميت بهما الدنيا؛ لأنها فانية[٨].

(قلت) العبث: ما خلا عن الإرادات إلا إرادة حدوث الشيء[٩] كمن يفتح جهازاً كهربائيا لا يعرف عنه أي شيء، إلا العبث به فقط.

والآيات التى ذكرت اللهو واللعب كثيرة - كما بينا - فإذا أردنا معرفة الآيات التى قرنت اللهو باللعب، ولم قدم في آيات اللعب على اللهو، وفي آيتين قدم اللعب على اللهو، نقول كل ذلك لحكمة:

فأول الآيات التى تقدم فيها اللعب على اللهو كان في سورة الأنعام قال الله تعالى:

{**ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنَّة أن يفقهوه وفي آذانهم وَقراً وإن يروا كلَّ آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إنْ هذا إلا أساطيرُ الأولين * وهم يَنْهَوْنَ عنه ويَنْئَوْنَ عنه وإن يُهْلِكُون إلا أنْفُسَهُم وما يشعرون * ولو ترى إذ وُقِفُوا على النار فقالوا يا ليتنا نُرَدُّ ولا نكذبَ بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يُخْفُونَ من قبلُ ولو رُدُّوا لعادوا لما نُهُوا عنه وإنهم لكاذبون * وقالوا إنْ هي إلا حياتنَا الدنيا وما نحن بمبعوثين * ولو ترى إذ وُقِفُوا على ربهم قال أليس هذا بالحق؟ قالوا بلى وَرَبِّنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * قد خسر الذين كذَّبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يَزِرُون * وما الحياة الدنيا إلا لعبٌ ولهو ولَلدَّارُ الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون**} (الأنعام/ ٢٥ - ٣٢).

ففي تدبر الآيات الماضية نجد أن جميع ما قاموا به من الأعمال المشينة محدد:

فهم في الآية (٢٥) إن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، فعدم الإيمان محدد، وبعدها جدالهم وقولهم عن القرآن الكريم إنه أساطير الأولين، محدد،ثم في الآية بعدها وهم ينهون عنه، وينأون عنه أي يتباعدون عنه، محدد، ثم كفرهم بيوم القيامة (وما نحن بمبعوثين) فكل ذلك لعب لأنه فيما لا ينفع، لكنه محدد في أشياء واضحة، إلا قولهم (يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) فهذا لهو؛ لأنه تفريط لم تحدد معالمه، فلم يبينوا نوع هذا التفريط الذي كان منهم، فناسب هنا تقديم اللعب على اللهو.

وفي سورة العنكبوت قدم جل جلاله اللهو على اللعب، فقال تعالى:

{**ولئن سألتهم مَنْ خلق السماوات والأرضَ وسخَّر الشمسَ والقمرَ ليقُولُنَّ الله فأنَّى يؤفكُون * الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويَقْدرُ له إن الله بكل شيء عليم * ولئن سألتهم من نزَّل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقُولُنَّ الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون * وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الْحَيَوَانُ لو كانوا يعلمون**} (العنكبوت/ ٦١ - ٦٤).

وقبل ذلك قال تعالى: {**وقالوا لولا أُنْزِلَ عليه آياتٌ من ربه قل إنما الآياتُ عند الله وإنما أنا نذير مبين * أوَلَمْ يكفهم أنَّا أنزلنا عليك الكتاب يُتْلَى عليهم إنَّ في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون**} (العنكبوت/ ٥٠ - ٥١).

فهم هنا قد طلبوا آيات، ولم يطلبوا شيئا محدداً منها - بخلاف قوم صالح حيث طلبوا إخراج ناقة من صخرة - فطلب هؤلاء إذا كان لمجرد اللهو وضياع الوقت، بدليل قوله تعالى: {**ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجلٌ مسمى لجاءهم العذاب وَلَيَأتِيَنَّهُم بَغْتَةً وهم لا يشعرون * يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين**} (العنكبوت/ ٥٣ - ٥٤).

فاستعجالهم بالعذاب دليل على عدم رغبتهم في شيء غير اللهو، ثم قال تعالى:

{**ولئن سألتهم مَنْ خلق السماوات والأرض وسخَّر الشمس والقمر ليقُولُنَّ الله فأنَّى يُؤْفكون * الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده وَيَقْدرُ له إن الله بكل شيء عليم * ولئن سألتهم مَنْ نَزَّلَ من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقُولُنَّ الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون**} (العنكبوت/ ٦١ - ٦٣).

فبين هنا شيئا محدداً، وهو أنهم مع اعترافهم بأن الله تعالى هو الخالق إلا إنهم، قد أشركوا به من لا يخلق، ولذا تبين هنا أن اللهو ما كانوا عليه من طلب غير محدد للآيات، وطلب غير محدد لاستعجال العذاب، فهو لهو، ثم عملوا عملا محدداً وهو الشرك بالله ما لا يخلق، مع اعترافهم بأن الخالق هو الله تعالى وحده، ولذا قال تعالى: {**وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون**} (العنكبوت/ ٦٤) فقدم اللهو على اللعب.

وفي سورة محمد {صلى الله عليه وسلم} قال الله تعالى:

{**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ ولا تُبْطلُوا أعمالكم * إنَّ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم * فلا تَهِنُوا وتدعوا الى السَّلْم وأنتم الأعْلَوْنَ واللهُ معكم ولن يَتِرَكُمْ أعمالكم * إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يَسْألْكُم أموالكم * إن يَسْألْكُمُوها فيُحْفكُم تبخلوا ويُخْرِجْ أضغانكم**} (محمد/ ٣٣ - ٣٧).

فقد بين الله تعالى أشياء محددة، وهي أن الله تعالى لا يغفر للذين كفروا، ثم صدوا عن سبيل الله، ثم ماتوا وهم كفار، ثم نهانا أن ندعوا إلى السلم والحال نحن أعلى في القتال، خاصة وأن الله معنا، فإن هذا هو الضياع والعبث واللهو.

جاء في تفسير القرطبي[١٠] قال الله عز وجل: {**فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم**} فإذا كان المسلمون على عزة وقوة ومنعة وجماعة عديدة وشدة شديدة، فلا صلح، كما قال الشاعر:

فلا صلح حتى تطعن الخيل بالقنا
وتضرب بالبيض الرقاق الجماجمُ

وجاء في تفسير الطبري نحوه فقد قال[١١]: يقول تعالى لا تضعفوا عنهم وتدعوهم الى الصلح والمسالمة وأنتم القاهرون لهم.

الهوامش :

(١) الأعراف/ ٥١.
(٢) العنكبوت/ ٦٤.
(٣) المصباح المنير للفيومي ٢/٢٢٣ (لهو).
(٤) أول سورة التكاثر.
(٥) تفسير القرطبي ٢٠/١٦٨.
(٦) انظر الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٢١٠.
(٧) مجمع الزوائد ج: ٥ ص: ٢٦٩، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} كل شيء من لهو الدنيا باطل إلا ثلاث: (انتضالك بقوسك، وتأديبك فرسك، وملاعبتك اهلك، فإنهن من الحق) مسند الإمام أحمد ٤/١٤٦.
(٨) تفسير البغوي ٣/٤٧٤.
(٩) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٢١٠.
(١٠) ٨ / ٤٠.
(١١) ٢٦ / ٦٣ .

المنهل

مجلة العرب الأدبية الثقافية

الاصدارات السنوية الخاصة

اسم العدد	تاريخ صدوره
الفن	شعبان ورمضان ١٤٠٤هـ
الأمن والأمان	شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ
الهجرة، اللغة، التراث، الحضارة	ربيع الأول والثاني ١٤٠٦هـ
الثقافة العربية	شعبان ورمضان ١٤٠٦هـ
الدعوة والدعاة	ربيع الأول وربيع الثاني ١٤٠٧هـ
الأثر والآثار	رمضان وشوال ١٤٠٧هـ
المبادىء البناءة والدعاوى الهدامة	ربيع الأول وربيع الثاني ١٤٠٨هـ
العادات والتقاليد	رمضان وشوال ١٤٠٨هـ
مناهل الاشعاع الاسلامي	ربيع الثاني وجمادى الاولى ١٤٠٩هـ
الاستشراق والمستشرقون	رمضان وشوال ١٤٠٩هـ
مكة المكرمة .. المقام والارتحال	ربيع الأول والثاني ١٤١٠هـ
الابداع والمبدعون	شوال وذو القعدة ١٤١٠هـ
الحديث النبوي والقدسي .. رواية ودرايه	ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٤١١هـ
القرآن الكريم .. الهدى والاعجاز	ربيع الأول والثاني ١٤١٢هـ
الهجمة الفكرية والتصدي الحضاري	شوال وذو القعدة ١٤١٢هـ
المدينة المنورة .. دار الهجرة وَمَأْزِر الايمان	ربيع الأول والثاني ١٤١٣هـ
اللغة العربية .. آفاق مستقبلية	شوال وذو القعدة ١٤١٣هـ
القدس .. عروس المدائن	ربيع الاول والثاني ١٤١٤هـ
العمارة والمدينة الاسلامية .. عطاء ومدلول	جماد أول وجماد ثان ١٤١٥هـ
النقد ـ والنقاد	شوال والقعده ١٤١٦هـ
الجغرافية والجغرافيون	شوال والقعده ١٤١٧هـ
المملكة العربية السعودية في مرآة المنهل	شوال والقعدة ١٤١٩هـ
الاسرة والمجتمع	شوال والقعدة ١٤٢٠هـ
التراث المعماري في الحضارة الإسلامية	شوال والقعدة ١٤٢١هـ
الاعلام .. الواقع والمستقبل	شوال والقعدة ١٤٢٢هـ
البيئة .. توازن ام اختلال	شوال والقعدة ١٤٢٣هـ

« متوفرة لمن يرغب في اقتنائها » - الاتصال : ٦٤٣٢١٢٤ العلاقات العامة (جُدة)



كتاب (ثمار القلوب) للثعالبي

كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لابي منصور الثعالبي موسوعة حافلة تجمع بين الادب واللغة والتاريخ ، وهو يبحث عن الاضافة والنسبة الى الشيء فيما أثر عن العرب ، وقد قال عن كتابه (ما فيه الا ما يتعلق من المثل بسبب ، ويوفي من اللغة والشعر على طرف ، ويضرب في التشبيهات والاستعارات بسهم ، ويأخذ من الاخبار والانساب بقسم ، ويُجيلُ في خصائص البلدان والاماكن قدحا ، ويجري في أعاجيب الاحاديث شوطا)

وإذا كان الكتاب كذلك فهو بغية كل مثقف ، وحاجة كل دارس للأدب والتاريخ ، والثعالبي على جلالة فضله ، وقربه من الملوك والرؤساء ليس له ترجمة ضافية تتحدث عن منشأ حياته ، وما قام به من الوظائف والاعمال ، وكتبه الكثيرة وقد بلغت ثمانين كتابا دليل على فضله الجم وتضلعه الاصيل.

وننقل من صفحاته الكثيرة هذه الطرائف ..

(قميص يوسف)

قال الثعالبي: أجرى الله تعالى أمر يوسف عليه السلام من ابتداء أمره الى انتهاء حياته على ثلاثة أقمصة، أولها قميصه المضَّرج بدم كذب، والثاني قميصه الذى قُدَّ من دُبر، والثالث قميصه الذى ألقي على وجه أبيه فارتد بصيرا، ويُروى أن إخوة يوسف عليه السلام حين قالوا ليعقوب {إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب} قال لهم أرونى قميصه، فأروه إياه مضرجاً بالدم غير ممزق فقال: تالله ما رأيت ذئبا أحلم من هذا وأرفق، أكل ابنى ولم يُمزّق قميصه.

وهناك قميص لأبي الحارث جُميز، تدور حوله نادرة طريفة، وهى أنه رُئي ذات يوم في ثياب مُخرّقه، فقيل له: ألا يكسوك محمد بن يحي، فقال: لو كان له بيت مملوء إبراً وجاءه يعقوب ومعه الأنبياء شفعاء، والملائكة يطلبون منه إبرة ليخيط بها قميص يوسف الذى قُدّ من دُبر ما أعارهم الإبرة فكيف يكسوني؟

وقد أخذ هذا المعنى من قال:

لو أن دارك أنبتت لك واحتشت
إبراً يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك إبرة
ليخيط قَدَّ قميصه لم تفعل

هذا ما ذكره الثعالبي.

وأنا أعلق على قوله (إن أمر يوسف من أول شأنه الى نهاية حياته دار على القميص)، فأقول: قد يجوز لقائل أن يقول: إن أمر يوسف قد دار في أحواله على الرؤيا، فهو في نشأته الأولى قال لوالده، إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين، وحين دخل السجن ظهرت كرامته في تأويل الرؤيا حين قال له أحد السجينين *إني أرانى أعصر خمرا*، وقال الآخر إنى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين، ثم إن الملك قد رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع

د. أبـــو حســـــام
- المنصـــورة -

سنبلات خضر وأخر يابسات، فما حقق تفسير الرؤيا غير يوسف، وبسبب ذلك صار عزيز مصر، وملك خزائن الأرض.

(الخضر عليه السلام)

تحدث الثعالبي عن اختلاف الناس في أمر الخضر ما بين مصدق ومكذب، وإنما ينكره خواص متكلمي الإسلام، أما العوام والسواد الأعظم فمطبقون على إثبات عبد لله صالح حيّ على الدهر ممدود له في الأجل، جوال في الأرض، وربما ذهبوا فيه إلى أمور قريبة من المحالات، وهى أبعد ما تكون من العقول، كقطعه الأمكنة البعيدة في الأزمنة اليسيرة، ومثوله بحضرة كل من دعا باسمه، وان اختلفت بهم الأماكن، وتباعدت بينهم المسافات حتى إنه ليكون في أقصى الشرق ثم يكون في أقصى المغرب، فيطوى المسافة في مثل لمح البصر، وأكثر الرواة على أنه صاحب موسى الذى قال له (هل أتبعك على أن تعلمنى مما عُلِّمْتَ رُشدا).

وقد قيل - من باب المحالات - أن السبب في امتداد عمره وتأخر يومه، أنه كان على مقدمة جيش ذى القرنين، فاقتحم الظلمات، ورأى عين الحياة وهي بئر من جرع من مائها قطرة واحدة عاش مخلدا ولم يذق الموت أبدا، فشرب منها، وبذلك سيبقى أبد الدهر.

(زرقاء اليمامة)

يضرب بها المثل في جودة البصر، وحدّة النظر، ويقال إن اليمامة اسمها، وبها سُمّيت بلدها اليمامة، وهى امرأة من جديس كانت تبصر الشيء عن مسيرة ثلاثة أيام فلما قتلت جديس طسما، خرج رجل من طسم الى حسان بن تبع، فاستجاشه وحمسه، فخرج في جيش جرار، فلما كانوا من اليمامة على مسافة ثلاث أيام، صعدت الزرقاء الى السطح فنظرت الى الجيش، وقد أمروا أن يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليها، فقالت الزرقاء: يا قوم، قد أتتكم الشجر، أو أتتكم حمير، فلم يصدقوها، ولم يستعدوا، وكررت ذلك حتى صبحهم حسان فاجتاحهم، وأخذ الزرقاء فشق عينها، وإياها عني النابغة حين قال:

واحلم كحلم فتاة الحى إذ نظرت
إلى حمام شراع وارد الثَّمد
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا
إلى حمامتنا أو نصفه فقد

(برد العجوز)

نسمع كثيرا عن برد العجوز فما قصة هذا البرد المنسوب لهذه المرأة المسنة؟

يذكر الثعالبي أقوالا منها :

(١) أن عجوزا دهريه كانت تخبر قومها ببرد يقع في الشتاء فيسوء أثره على المواشى، فلم يكترثوا لقولها، وجزوا صوف أغنامهم، واثقين باقبال الربيع، فلم يلبثوا إلا أمداً قصيرا حتى وقع برد أهلك الحرث والنسل والزرع والضرع، فقالوا: هذا برد العجوز.

(٢) قيل إن عجوزاً في الجاهلية لها ثمانية بنين، فسألتهم أن يزوجوها وألحت عليهم، فتآمروا فيما بينهم، وقالوا إن قتلناها كان ذلك سَبة لنا، ولم نأمن عشيرتها، ولكن نكلفها البروز في الهواء ثمان ليال.

فجاءوا وقالوا لها إذا كنت شابة كما تزعمين، فابرزى للهواء ثمان ليال، ليحرس كل واحد منا مقامك ليلة، فإذا لم يؤثر فيك البرد زوجناك، فوعدت بذلك، وتعّرتْ ليلة واحدة والشتاء شديد قارس، فماتت بعد ثلاثة أيام.

(٣) زعم بعض المفسرين أن أيام العجوز هي التى أهلك الله فيها عاداً، فقال: وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقية.

(دار عاتكـة)

يضرب المثل بدار عاتكة للموضع الذى تعرض عنه بوجهك وتقبل عليه بقلبك، وهو من قول الأحوص :

يا دار عـاتكه التى أتغـزّل
حـذر العـدا وبهـا الفـؤاد مـوكل
إنى لأمْنَحُك الصـدود وإنني
قـسـماً إليك مع الصـدود لأمْيَل

ويحكى أن المنصور كان قد علم بحزن أبى بكر الهذلى على وفاة زوجته، فأراد أن يسليه فبعث إليه الربيع بن يونس يقول له: إن أمير المؤمنين قد أمر إليك بجارية نفيسة لها أدب وظرف، تسليك عن زوجتك، وتقوم بأمور منزلك، وأمر لك معها بفراش وكسوة وصلة، ومرت أيام ولم يف المنصور بوعده.. ثم إن الخليفة استدعى أبا بكر الهذلى ليطرف معه في المدينة المنورة بموسم الحج، وليخبره عن منازلها ودورها، فجعل المنصور إذا مرّ بمكان سأل عنه، فيجيب الهذلى، ثم مرا بدار عاتكه ولم يسأله المنصور عنها، فقال الهذلى مبتدئا، هذه يا أمير المؤمنين دار عاتكه التى يقول فيها الأحوص:

يا دار عـاتكه التى أتغـزّل
حـذر العـدا وبهـا الفـؤاد مـوكل

فأنكر المنصور أن يبتدىء الهذلى بذكر دار عاتكه دون أن يسأله، فلما رجع إلى مقره، طلب القصيدة، وأخذ يقرؤها حتى بلغ قول الأحوص :

وأراك تفـعل مـا تقـول وبعضـهم
مـذق اللسـان يقـول مـالا يفـعل

فعلم أن الهذلى يذكّره بوعده، فحمل إليه كل ما وعد به واعتذر له.

(زيت الشـام)

يضرب به المثل في الجودة والنظافة، وقد روى الأصمعى أن قتيبة بن مسلم القائد الشهير أرسله والده إلى هزّاز بن القعقاع، ليطلب المعونة في حمل دية كبيرة، فلما حضر قتيبة رآه يقول للجارية هات الغذاء، فجاءت بأربعة أرغفة خشن، فجعلهن ثريداً وصب عليهن الماء، مع بعض التمر والزيت، وعرض على قتيبة أن يأكل معه، فتذكر طعامه في منزله وما به من لحم وفاكهة وسمن، فقال: مالي حاجة بطعامك، قال قتيبة: وصغر في عيني، وقلت كيف يتحمل هذا دية القوم وإنها لفادحة، ثم قال يا جارية، هات الماء، فناولته الماء من كوز متواضع لا قيمة له، فشرب ومسح وجهه، وقال الحمد لله، حنطة الأهواز، وماء الفرات، وزيت هجر، وتمر الشام، متى نؤدى شكر هذه النعم.

ثم قال: عليَّ بردائي ونعلى، وأتى المسجد فصلى ركعتين، ثم احتبى، فما بقى في المسجد إنسان إلا خف لمجلسه، واستمع إلى الخصوم، حتى هدءوا، فتحمل جميع الديات وانصرف ، وأخذ قتيبة يعجب لهذا السيد الزاهد الجواد.

(من البدائه الذكية)

١ ـ قال المنصور لأبي بكر بن عباس، من بركتنا عليكم أن رفع الله عنكم الطاعون فقال أبو بكر على البديهة: الله أرأف بنا من أن يجمعكم علينا مع الطاعون.

٢ ـ كان الناس يقولون عن عبد الله بن هلال إنه شبيه بإبليس، فاستدعاه الحجاج، وقال كيف يقولون عنك إنك تشبه إبليس، فقال له على البديهة ، وماذا في هذا؟ لماذا لا يُشبّه سيد الإنس بسيد الجن. فتعجب الحجاج من سرعة بديهته.

٣ ـ قال عبد الله بن حازم يستهزىء بقهرمانه على ملإ من الناس؟ أين تمضى يا هامان؟ فرد بديهة: أبنى لك صرحاً، فعجب الناس من سرعة جوابه وإفحامه لمخاطبه إذ لو كان القهرمان هامان فمحدثه فرعون.

٤ ـ عرض الذباب لأبى جعفر المنصور وهو يخطب، فجعل يزيحه بيده، فيرجع، حتى ضجر، فلما انتهى من الخطبة، نادى عمرو بن عبيد، وسأله، لم خلق الله الذباب؟ فقال على البديهة ليُذلّ به الجبابرة.





أسطر في الفن والابداع والكلمة المنتقاه.. نستخرجها من صفحات (المنهل) عبر عقوده الماضية.. نعيد قراءتها معاً.. نستعيد بها إبداع السالفين ممن مضوا.. والباقين ممن احتضنت المنهل أقلامهم.. ما أروع وأبدع وأجمل أن يقلب المرء صفحات ظنها طويت، وكم تكون القراءة الثانية أعمق دهشة من الأولى.

الكتب والصحف التى انصح للناشئة بمطالعتها

فرض الاستاذ عبد القدوس الأنصاري، عليَّ الكتابة في هذا الموضوع فرضاً ، وبالرغم من المحاولات الكثيرة في البعد عن هذه الفروضات فقد أبى وأصر والذى أخشى أن يتخذ الاستاذ هذه القاعدة عادة فيتحكم في الكتاب الحجازيين كما تتحكم الهلال اليوم في الكتاب المصريين، فهي تفرض مواضيعها عليهم فرضا، وهم لا يستطيعون التمرد عليها، فيكتبون مرغمين، واذا استمر الاستاذ على خطته فسوف لا نستطيع التمرد عليه اذا ما أردنا.

أما الكتب والصحف التى يطلب الاستاذ النصح للناشئة بمطالعتها؛ فأظن أن الاستاذ يقصد بالناشئة المعنى اللغوى الذى تدل عليه؛ وهم النشء الجديد ويدخل في ذلك الشباب الذين بدأوا يجاهدون في الحياة؛ والطلبة الذين جاوزوا سن الطفولة. وأرى أن انهماك الطلبة في قراءة الجرائد مهما كان اتجاهها ومبادؤها غير مفيد. بل أميل الى أن الضرر يغلب على غيره؛ إذ يجب أن يكرس الطالب كل مطالعاته وأوقاته حول المواد الدراسية التى يتلقاها، ثم الجرائد اليوم لا تفيد الطالب الفائدة التى نطلبها له، ولا التى يطلبها الطالب لنفسه، إذ هى تخدم أغراضاً وتدافع عن نزعات ومبادىء حزبية، لا تمت الى جوهم المدرسي بقليل ولا كثير ونظرية التعليم الحديثة تحرم على الطلبة قراءة الجرائد، فمن باب أولى تحريمها على طلابنا لسببين:

الأول : عدم مساس المبادىء التى تتقاتل عليها الصحافة الاجنبية بحياتنا من جميع نواحيها.

الثاني: عدم وجود صحافة في بلادنا تفيد الطالب الفائدة التامة من الناحية الثقافية أو الاجتماعية.

صحافتنا لا تزال في بدايات خطوها..

والحقيقة اننا عالة على العالم العربي في الصحافة وبالاخص على مصر. أما المجلات فلا أرى مانعاً من السماح للطلبة بمطالعة بعضها وبصورة لا تعيق الاعمال الدراسية التى يقومون بها، وخير المجلات العربية التى يمكن الاستفادة منها مجلة: الهلال، العرفان، المكشوف؛ نور الاسلام؛ الاخوان المسلمون، الاسلام، الرسالة، والرواية، المصور، اللطائف المصورة، والثلاث المجلات الاخيرة لاعتنائها بالناحية الفنية. أما الكتب التى أختارها للطلبة فهي نفسها التى سيأتى ذكرها في قسم الشباب.

أما الجرائد والشباب ـ واقصد بالشباب هنا الطبقة المثقفة التى بدأت تجاهد في الحياة ـ فجرائدنا وان كانت تتخبط في دياجير مظلمة، وان كانت لا تزال في بدء التكوين فقراءتها لازمة لا للشباب فقط بل لكل من يقرأ، وهذا للتعضيد من جهة وللاحاطة بآراء كتابنا من جهة أخرى. أما الجرائد العربية فلا تزال حتى الآن تخدم غايات حزبية صرفه، فقراءة جميع أبوابها لا تفيد الشباب، والابواب التى أرى فيها الفائدة هي:

ـ الأنباء البرقية، الأدب؛ الاجتماع، التاريخ، الاقتصاد.

والجرائد العربية التى أعرف انها تعتنى بهذه المواضيع هي:

ـ الاهرام، المقطم، البلاغ، الشباب، كوكب الشرق، الجهاد، المصرى، النهار؛ صوت الاحرار.

أما المجلات التى تفيد الشباب فهي نفسها التى

جاءت في قسم الطلبة مضافاً اليها: المقتطف، المجمع اللغوي، الصباح. اذ بحوث هذه المجلات وبالاخص المقتطف بحوث علمية دقيقة لا تتسع لها ذهنية الطالب؛ ومن الخطأ أن يتاح للطالب مطالعة مالا تحيطه ذهنيته.

أما الكتب التى أرى فائدتها للناشئة ـ الطلبة والشباب ـ فمن الناحية الشعرية: أرى أن خير ما يقرأ هو: المتنبي، المعرى، جرير، بشار بن برد؛ الخنساء، الشوقيات، الكاظمي؛ ايليا ابو ماضي؛ بشارة الخوري، حافظ ابراهيم، البارودي، ابراهيم طوقان، جبران خليل جبران الملاط، الرصافي.

أما الناحية النثرية فأرى: صحيح البخارى تفسير ابن كثير والبغوى، تآليف ابن خلدون، الاغاني، المبرد، تآليف ياقوت الحموى، حياة الحيوان؛ علم الدلالة، علم الاجتماع طبقات ابن سعد، مقدرات العراق، المعاهدات العربية الحديثة، حاضر العالم الاسلامي، الامير، مباديء الفلسفة، تآليف: المنفلوطي؛ هيكل، طه حسين، العقاد، المازني، ميخائيل نعيمه؛ الريحاني، العمروسي، عنان، احمد أمين، توفيق الحكيم، رفائيل بطي، مؤلفات جرجي زيدان غير التاريخية، الرافعي، سلسلة العلوم الشرقية التى تنشرها الجامعة الاميركية في بيروت ، مؤلفات لويس شيخو اليسوعي، مؤلفات لجنة التأليف والترجمة والنشر في مصر، جميع الكتب التى تبحث عن الحجاز سواء كان من الناحية السياسية أو التاريخية أو الاجتماعية وبعد هذا أرى أن حصر الكتب والمجلات التى يحسن للناشئة مطالعتها أمر غير ممكن؛ ما دام التعليم موجوداً.

(محمد سعيد خوجه)

مكة المكرمة - المنهل/ صفر ١٣٥٧هـ

اخفاق الاديب



يحسب الناس وفي مقدمتهم الاديب أن تبعة الانهزام والاخفاق يجب أن تلقي على الحياة التى لم تولهِ سوى الحظ العاثر والخطط المعاكسة، وهو ـ في نظرنا حسبان ضال ووهم خطأ تغذيه العاطفة المتبرمة والوجدان الثائر اكثر مما يغذيه العقل والتفكير بروية وتبصر، والا فهل من الحق أن نعنف على الحياه ونشن الغارة عليها باللوم في حق الاديب مع انها لم تتعرف الى مطالب خياله الجامح لتوليه من العطف والبر ما يكفل له الوصول اليها بدون عناء ومشقة؟؟

وهل من المنطق أن ندع ذلك الخيال وطموح نفس الاديب جانبا من البراءة والنزاهة لنقول للحياة انك انت وحدك الملومة والمؤاخذة فيما لاقاه الاديب من سقوط واخفاق؟.

ان التبعة ـ في نظرى ـ يجب أن تلقى على نفس الاديب التى اوحت الى خياله الاسترسال في أودية لا يعلم مصيرها ولا نهايتها تلبية لنداء السمو الروحاني المنبعث في اعماق تلك النفس والجارى في شرايينها ولقد كان في وسعها ان تجنح الى الهدوء والسكينة

ومماشاة الحياة ونظام الطبيعة؛ وكان في وسع الحياة اذ ذاك أن تغدق عليها من النعم الخضرة الحلوة، وما يكفل لها عيشة السعداء الآمنين، وكنا والحالة كذلك هدوء وطمأنينة - نستطيع أن نواجه الحياة بشيء من اللوم والتعنيف لو كان حظ الاديب هو الاخفاق والاضطراب بعينه، ولكن شيئا من ذلك لم يكن وانما كان الغلو في الخيال والسمو في الروح وكان من وراء ذلك الاضطراب والتهافت والشقاء، اذن فالذنب هو ذنب الخيال والسمو لا ذنب الحياة التى لا تصانع ولا تحابى الا من يفعل معها كذلك ويظاهرها على ما هى عليه من انظمة وقوانين، والآن بعد هذا كله أفلا نستطيع أن نستخلص نتيجة في موضوع الاخفاق نقرر فيها أن من ضروريات الأدب وتذوقه بمعناه الصحيح أن هذا الاخفاق يلازم الأديب في أول دور من ادوار حياته ثم يختلف الأدباء من هذه النقطة ويفترقون فأديب يشعر بهذا الاخفاق ويدرك أنه لا محالة يلازمه في جميع أدواره إن هو أصر على متابعة السير وراء خياله الجامح الى غير غاية، فما يسعه حينئذ الا أن يقلع عن جميع احلامه وتصوراته ويضطر الى أن يجارى الحياة ويصانعها كل المصانعة ثم هى لا تدخر وسعا في سبيل ارضائه واشباع نهمة السعادة فيه.

واكثر ادباء العربية لو اردنا استعراض تاريخ حياتهم، من هذا القبيل، فمن الصاحب بن عباد الى ابن العميد الى ابى نواس الى ابن ابى ربيعة الى امثال هؤلاء الذين انهزموا لأول صدمة من صدمات الخيال، فاستسلموا للتيار صاغرين يندفع بهم كيف شاء وأنّى شاء.

وكانت حياتهم كلها حياة لهو ومنادمة ومتعة وتسلية، والقليل منهم - رغم شعوره بالاخفاق - يأبى عليه تكبره وإباؤه العاطفي ان يرضخ للحياة ويسلمها زمامه تقوده كما قادت تلك الكثرة الى حيث السعادة الجوفاء، فاعلن التمرد والسخط وارسل صوته يزمجر كالرعد؛ يقصف به هذه التعاريج والالتواءات في الطبيعة ويصور فيه ثورته والتهاب ضميره وكبرياء نفسه ومن من الأدباء الاقدمين اجدر بتمثيل هذا القليل من الحكيم الشاعر ابي الطيب وفيلسوف المعرة لابي العلاء.

لقد استرسل الأول وراء احلامه المعسولة، فظل يتنقل من مصر الى مصر ويصب من حين الي حين نقمته على الدهر وثورته على الحياة وغرور الناس وانخداعهم لها ولاباطيلها المنمقة وتزويقها الاجوف.

وانصرف الثاني الى العزلة بين الجدر والكتب واكتفى بما يسد رمقه من النبات والاشربة، وظل يقذف قنابله الشعرية على الحياة وتعلاتها وزخارفها، ويصور سخطه عليها وتهافت الناس حولها ابدع تصوير.

وهكذا قضى الفريقان حياتهما، وذهبا الى حيث يذهب الموتى فريق سعد وتنعم بلذائذ الحياة، وفريق شقى وتبرم وسخط، ولم يشأ له كبرياؤه أن يندفع كما اندفع ذلك الفريق، ويسعد كما سعد في حين أن كلا الفريقين اخفق واضطرب، ولكنما افترقا منذ الصدمة الأولى، ذلك الى السعادة وهذا الى الشقاء، فأي الحياتين خير؟!.

محمد عمر توفيق

مكة المكرمة - المنهل/ - ربيع الاول ١٣٥٧هـ

معجم منازل الوحي .. ذو طـوى

قال ياقوت: ذو طُوَى بالضم موضع عند مكة؛ وقيل هو طَوَى بالفتح. قال الشاعر:

اذا جــــئت اعلى ذى طوى قف ونادها
عليك ســـلام الله يا ربة الخـــدر
هل العـين ريـا مـنـك ام انـا راجـع
بهم مـقـيـم لا يريم عن الصـدر

وقال البكري: ذو طَوىً بفتح اوله مقصور منون على وزن فعل واد بمكة، قال ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبى بكر ان النبي [صلى الله عليـه وسلم] لما انتهى الى ذى طوى عـام الفـتح وقف على راحلتـه معتجراً بشقة برد حبرة حمراء وانه ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى أن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل (ص ٤٥٧).

وقال الازرقي: بطن ذى طوى: ما بين مهبط ثنية المقبرة التى بالمعلاة الى الثنية القصوى التى يقال لها الخضراء تهبط على قبور المهاجرين دون فخ (ص٥٠٠).

وقال أيضاً: مسجد بذى طوى بين ثنية المدنيين المشرفة على مقبرة مكة وبين الثنية التي تهبط على الحصحاص وذلك المسجد بنته زبيدة بأزج، حدثنا ابو الوليد قال حدثني جدي أخبرنا الزنجي عن ابن جريج عن موسى بن عقبة ان نافعاً حدثه ان عبد الله بن عمر أخبره أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] كان ينزل بذى طوى حين يعتمر وفي حجته حين حج تحت سمرة في موضع المسجد، حدثنا ابو الوليد قال وحدثني جدى اخبرنا مسلم عن ابن جريج قال وحدثنى نافع أن ابن عمر حدثه أن رسول الله [صلى الله عليه وسلم] كان ينزل بذى طوى فيبيت به حتى يصلى الصبح حين يقدم مكة، ومصلى رسول الله [صلى الله عليه وسلم] ذلك على اكمة غليظة ليس بالمسجد الذى بنى ثم؛ ولكنه أسفل من الجبل الطويل الذى قبل الكعبة يجعل المسجد الذى بنى بيسار المسجد بطرف الاكمة ومصلى رسول الله [صلى الله عليه وسلم] أسفل منه على الأكمة السوداء تدع من الاكمة عشرة أذرع أو نحوها بيمين ثم يصلى مستقبل الفرضين من الجبل الطويل الذى بينه وبين الكعبة (ص ٤٢٦).

وقال الفاسي: ذى طوى الموضع الذى يستحب فيه الاغتسال للمحرم هو مقتضى ما ذكره الازرقي في الموضع الذى يقال له بين الحجونين لأنه قال بطن ذى طوى ما بين مهبط ثنية المقبرة التى بالمعلاة الى الثنية القصوى التى يقال لها الخضراء تهبط على قبور المهاجرين وفي صحيح البخارى ما يؤيد هذا، وقال النهروي انه موضع بأسفل مكة في طريق العمرة المعتادة ويعرف اليوم بآبار الزاهر (شفاء الغرام).

وقال ابن حجر: ذو طوى بضم الطاء وبفتحها وقيدها الاصيلي بكسرها، واد معروف بقرب مكة ويعرف اليوم ببئر الزاهر وهو مقصور منون وقد لا ينون (فتح الباري ج٣ ص ٣٢٨)، وقال ملا على القارى: قال ابن جماعة أن ذا طوي ما بين الثنية التى يصعد اليها من الوادي المعروف بالزاهر وبين الثنية التى ينحدر منها الى الابطح والمقابر (شرح المناسك ص ٥٤).

وقال الزبيدى: ذو طوى مثلثة الطاء وينون، قرب مكة يعرف الآن بالزاهر (التاج).

قلت: (ذو طوى) بضم أوله وهو المشهور، واد يعرف بهذا الاسم واقع في محلة جرول، وفي الجهة الغربية الجنوبية من مكة، وهو يمتد من الحجون المتصلة بمقبرة المعلاة الى ريع الكحل المسمي قديما بالثنية الخضراء، وهذا الريع يهبط على قبور المهاجرين المعروفة اليوم بالمختلع. ويتصل وادي ذى طوى عند

ريع الكحل بوادي جرول، أما الوادي الأخير - أي وادى جرول - فيمتد الى ما وراء القشلاق - العسكرية ومنها يسير باعوجاج الى جهة اليمين فيتصل في طريق المسفلة بوادى ابراهيم، ويتصل من غربيه بوادى الزاهر المعروف اليوم بالشهداء ووادى طوي يسمي اليوم (ببير الهندى) ويعرف ايضا بوادى (الضبع) وهذا الاسم قديم ذكره ياقوت فقال:

(الضبع) بضم اوله واد قرب مكة أحسبه بينها وبين المدينة (ج٦ ص ٤٢٤) وذكره الزبيدى في تاج العروس ولم يحدداه، بيد انى اطلعت على حجة شرعية كتبت في القرن الماضى حددته تحديداً شافياً فقد جاء فيها: (خريق العتيبية من وادى ضبع على يسار الذاهب من ريع الكحل الى شعب الحجون من محلة جرول) وجاء في موضع آخر منها (ثم الحجون ثم وادي ضبع الذى فيه بئر طوى).

وقد وهم بعض المؤلفين فأطلقوا على بطن ذى طوى اسم (وادي الزاهر)، ولعل هذا الالتباس نشأ من رواية الناس عن وادي الزاهر في (بحث الآبار التى بأسفل مكة في جهة التنعيم) فقد قال في شفاء الغرام: (ومنها الآبار المعروفة بآبار الزاهر الكبير وبقرب الشبيكة آبار أخر يقال لها الزاهر الصغير؛ وبقرب هذه الآبار بير ببطن ذى طوي على مقتضى ما ذكر الازرقى في تعريف ذى طوى) انتهى ما ذكره الفاسي، وهذا يدل على أن ذا طوى ليس من أحدهما، ولكنهما يصاقبانه، ومن هذا نشأ الالتباس فظن الرواة أنه من إحدى هذين الواديين، ورواية ملا على القارى تؤيد رأينا حيث يقول: (ان ذا طوى ما بين الثنية التى يصعد اليها من الوادى المعروف بالزاهر).

وفي وادي طوى آبار منها بئر تسمى (بير طوى) يقال انها بئر جاهلية والله أعلم

رشدى الصالح ملحس

مكة المكرمة - المنهل / ربيع الاول ١٣٥٧هـ

الحرب عملية لازمة لتطور البشر والحضارة ولتصحيح الأقيسة والموازين

كل عمل يصدر عن الانسان يشترك في تكوينه عوامل ثلاثة: الغريزة والعاطفة والعقل.. وتختلف أهمية الادوار التى يقوم بها كل منها باختلاف المراحل التى تقطعها البشرية في سيرها التطوري.

فالانسان الأول - في دوره الهمجي - كانت غريزته هي التى تقوده - غالبا - الى ما يأتيه. فهو يصطاد ليأكل أو بالتالى ليدفع عنه غوائل الجوع. وهو يسكن - أو على الاصح يختبيء - ليتوارى عن الموت الماثل له بكل مرصد من اخيه الانسان، ومن الوحش، ومن عناصر الطبيعة المختلفة. وهو يكتسى بما يتيسر له من جلود الحيوانات أو من أوراق الشجر - ليتقي وهج الشمس وزمهرير الشتاء. وهكذا تقوم الغريزة في هذا الدور الانسانى بأهم الأدوار في أكثر تصرفات الانسان.

فاذا ترقى الانسان قليلا شاركت عواطفه غريزته. فهو يتجمل - نسبيا - في ملابسه ليفوق جماعته أو على الاقل ليظهر بمثل مظهرهم. أو لكي يرضى صاحبته ويغريها وهو يتلمس الزخرف في سكنه والدسم في طعامه لنفس هاته الاغراض أو لاغراض قريبة منها لا تعدو هذا النطاق الضيق.

أما الانسان المتحضر فان عقله - في الغالب - هو الذي يوجه غريزته وعاطفته الى اهداف مرسومة وبخطط معينة ومحكمة.. فاذا أفلت العقل زمام الغريزة أو العاطفة عاد الانسان الى حالته الأولى وتكشف عن الحيوانية الكامنة في اطواء نفسه ومغاراتها وكذلك العقل الذي يغفل الغريزة والعاطفة لا يمكن أن يهتدى الى الخير والصواب دائما.

ترى هل يمكن لباحث نفسيّ ان يقول ان العقل هو غريزة مهذبة، وانه هو في نفس الوقت المتوحش ونصف المتحضر، والمتحضر، الا انه - بفعل النشوء والتطور - استحال وتركز من غرائز الى عواطف الى عقل مكين..

النظرة الانسانية الى الاشياء هى نظرة تدل على رحابة التفكير ونبالة الهدف ولطافة الحس وتكشف عن نزعة تحريرية ترمى الى التحلل من قيود العصبيات

الفردية والجنسية والاقليمية، والى اعتبار البشر كلهم اخوانا يحدب قويهم على ضعيفهم ويثقف عالمهم جاهلهم، ويعيشون في مدن فاضلة - كالمدينة التى كان يحلم بها افلاطون - عيشة يسودها الرفاه وتسوسها العدالة ويشدها العلم وتباركها الفضيلة.

ولكن هل هذا يتلاءم وطبائع البشر؟ سؤال لا يجيب عنه إلا الواقع الملموس.. الغربيون هم الذين يحملون مشاعل المدنية الحاضرة، وهم رسل الاداب الرفيعة والفلسفات المتعمقة وبالتالى هم اصحاب النظرات السديدة في الحضارة والمدنية والاجتماع.. فلماذا يحرص الانكليز هذا الحرص العظيم على امبراطوريتهم الواسعة؟ ولماذا يتغنى الافرنسيون بوطنيتهم الرائعة، ويقولون ان فرنسا - ولا سواها - هي أم النور والعرفان؟! ولماذا يطرب الالمان لنشيد (هو فمان) المانيا فوق الجميع، ويقدسون العنصر الآري تقديسا يضعه فوق بنى الانسان كلهم؟! ولماذا تحرص الدويلات الصغيرة على كيانها واستقلالها وتخشى ليل نهار أن تباغتها القوة الغشوم فهي لذلك في قلق مستمر وحذر ممتد واستعداد دائم؟! ولماذا؟! ولماذا؟؟.

الفردية - العنصرية - الوطنية، تحدوها جميعا المصلحة - والمصلحة وحدها هي الفكرات المهيمنة على هذا العالم المادى الجاحد.. ومن الآن الى أن تسمو النفوس البشرية كلها سمواً روحيا يؤهلها للنظر الى بعضها بعضا بتلك النظرة الانسانية الرحيمة.

(ستبقى النظرية الانسانية (فكرة في رأس فيلسوف...)

قال لي صديق: لو تكاشف الناس لاستقامت شؤون الكون، فقلت له لو تكاشفوا لتناحروا ولاختلت موازين الحياة واصبح الوجود جحيما ما يطاق.

أفليس هذا عجيبا؟! بلى، ولكنه الحق، فهذا الحجاب الصفيق الذي يغشي بصائر الناس ويغطى على حقائقهم، هذا الحجاب المنسوج من الكذب والرياء والمخادعة لابد من اسباله على حقائق النفوس.. لابد ان يتساتر الناس؟!

الأنانية بارزة في كل عمل يأتيه الناس، فالمنفعة - مادية أو روحية - هي رائدهم الأول، والايثار.. أخشى أن اقول ان هذه الفضيلة ثوب خلاب يغطي الانانية التى يقوم عليها نظام دنيا الواقع.. كم هو الفرق بين دنيا الواقع ودنيا الخيال..

يجتمع الناس على حب الجمال، ولكنهم يختلفون اختلافا مبينا في تحديد هذا الحب ولسنا نجد مظهرا من مظاهر الطبيعة تصطرع أمامه الصوفية والبهيمية والطهر والدعارة، كمظهر الجمال، انه ميزان دقيق لحظوظ الناس من قوة النفوس وضعفها.

الا سقيا لأولئك الذين يسيطرون على مشاعرهم ويقهرون احقر ما في النفس من نزوات.

اذا ضاق العقل ذرعا بألغاز الحياة اطمأن القلب اليها بأحلامه: وتلك هي احدي عجائب النفس البشرية التى تمزج بين المنطق والاحلام.

في الحياة حقائق كثيرة ولكن فيها حقيقة أغرب من الخيال، وهي عدم وجود حقيقة واحدة بالمعنى الشامل.

ما قامت حرب في العالم الا وكان الباعث اليها عقيدة أو طمع أو حزازة، تلك هي أسباب الحرب الوحيدة بين الامم والجماعات والافراد.

والعقل الحصيف لا يمكن أن يجزم على شيء بأنه خير مطلق أو شر مطلق فإن مثل هذا الاطلاق أقل ما يوصف به أنه سخف وغباء لا يستحق عناء مناقشته وتحطيمه.

فالحرب نكبة.. اليست هي ثكلا وتأييما وجراحات تسيل وأرواحا تتناثر؟ اليست هي تدميرا وخرابا وذعراً وقلقاً؟ ثم اليست هي وحشية تنم عن غلظة وأثرة وتدلل على ان حضارة الناس قشرة تغطي حيوانيتهم ولكنها لا تبيدها (الحرب نكبة).

والحرب نعمة.. اليست هي التى تدفع المظالم وتشدد العزائم؟

اليست هي التى تهب الحرية والمجد والسيطرة؟

اليست هي التى تفثأ الاحقاد المتأججة في نفوس المقهورين القاهرين.

اليست هي التى تئد حضارة لتتمخض عن حضارة أزهى وارفع؟ (الحرب نعمة) الحرب خير لابد منه، وشر لا محيص عنه، هي عملية لازمة لتطور البشر والحضارات ولتصحيح الاقيسة والموازين.. عملية جراحية ان اضطرت الى بتر عضو فلكيْ تهب الحياة والقوة لبقية الاعضاء.

بوركت الحرب من مهماز رهيب..

محمد حسن فقي

المنهل/ ربيع الثاني ١٣٥٩هـ

الرأي قبل الشجاعة



وداد سكاكيني
- رحمها الله -

فضَّل العرب الرأي على الشجاعة، فإن المرء إذا ارتأى أمراً واعتقده صواباً بعد التفكير والتدبير، كان خيراً له من شجاعة دون رأي، وحقاً فإن الخالق أودع الإنسان المعجز من بدائع سره فوهب له الرأي كما أعطاه الشجاعة، ولا حساب في هذا القول لذوي السخف والخوف، إذ أن الرأي نتاج عقلي ووجداني فيمن اختصوا بهذه الموهبة وتمرسوا بما يجعلها ناضجة سديدة، وقد يجيء الرأي على البديهة أو بعد روية وشعور بالحاجة، ولا عجب إذا عُد الرأى المسدد من المواهب والمزايا في الرجال والنساء، وعليه يعتمد الفرد والجماعة، وبه يتقى الانسان في حياته وكفاحه مزالق الخطر والتهور، وأصحاب الرأي هم غالبا من أصحاب القياس لأنهم يقولون بآرائهم فيما لا يجدون حديثاً أو خبراً، وكأنهم في اصطلاح العصر ذوي مذهب اختاروه وآثروه بعد تمحيص ومراس، فإذا أوتيت الشجاعة نفس حرة مع الرأي الصائب بلغت المكانة الرفيعة كما قال أبو الطيب.

والغريب في أمر هذا الشاعر أنه المستشار في كل شأن وحديث ، وكم من طائش أرعن ملك العزم والشجاعة وفاته الرأي والاعتقاد فلم يفد من جرأته شيئا ولقد كان العرب يعدون الرأي قوام الحياة والمجتمع، فيحتكمون إلى سديد القول والرأي في شؤونهم الداخلية والخارجية، ولم تكن المرأة بمعزل عن الشورى والتدبير، ولكن بحسب الوعي والظروف الفكرية والاجتماعية، ولكم ظهرت ذوات الرأي والعقيدة والمثل بما يعدل أحسن آراء الرجال وأمثالهم، أفلم تبغت الحجاج على جبروته بالرأي والحجة زوجة الوليد بن عبد الملك حين بلغها أنه قال للخليفة:

دع عنك مشارة النساء فإنهن لسن ذوات رأي وتفكير؟.

وغيرها كثيرات لا يحصى لهن عد، كن يدلين بأحسن الآراء في مختلف الأمور محدثات أو راويات، وكتاب الأغاني للأصفهاني يغنينا عن كل دليل ومرجع في هذا الموضوع.

وإذا طالعتنا مظاهر العصر والحضارة في أمتنا المتحفزة وجدنا للمرأة الواعية والتى زادتها الدراسة والتجارب ثقافة وحصافة آراء في كل مجال كان وقفاً على الرجال، وقد دلت فيه المرأة على سداد الرأي ولم تفقد اللباقة والشجاعة في شخصيتها الجديدة ونهضتها الراهنة .

(*) من كتاباتها التى لم تنشر.



شروط المسابقة:

- الاجابة عن جميع الاسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل الا الاجابات المدونة على القسيمة المرفقة
- يحق للمشارك الاشتراك باكثر من قسيمة لزيادة فرص الفوز.
- لا ينظر الى القسائم المصورة.
- ارسال الاجابات خلال ٦٠ يوماً من صدور العدد.
- يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملين داخل القسيمة ويكتب على الظرف البريدي «مسابقة المنهل الثقافية»

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التى ترد من المشاركين.
- يتم استبعاد القسائم ناقصة الاجابة.
- تجمع القسائم الصحيحة الاجابات ويعمل لها قرعة لاختيار الفائز الاول والثاني والثالث وهكذا الى الثامن .
- ترسل الجوائز الى اصحابها فور الوصول الى النتيجة وتدفع بالريال السعودي او ما يعادله.

جوائز المسابقة

الجائزة الاولى : ١٠٠٠ ريال
الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال
الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال
الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال
الجائزة الخامسة: ٣٥٠ ريال
الجائزة السادسة: ٣٠٠ ريال
الجائزة السابعة: ٢٥٠ ريال
الجائزة الثامنة: ٢٠٠ ريال
الجائزة التاسعة: ٢٠٠ ريال
الجائزة العاشرة: ١٥٠ ريال

الاسم : .... السن: ....
العنوان : ....

نتيجة سحب جوائز مسابقة المنهل الثقافية العدد (٥٨٩)

الفائــزون :

١ـ **ايناس محمد عبد الواسع خوجه** ـ المدينة المنورة

٢ـ **نورة غرمول** – مدنين ـ تونس

٣ـ **رائده أحمد موسى** ـ الزرقاء ـ الاردن

٤ـ **فؤاد البكري** – تمارة ـ المغرب

٥ـ **هشام احمد كيفي** ـ مكة المكرمة – السعودية

٦ـ **حسن عبد الله آل حمادة** ـ الدمام – السعودية

٧ـ **رضا بن سلامة** – سوسة ـ تونس

٨ـ **جمال على محمود على** ـ سوهاج ـ مصر

ترسل الاجابات خلال ٦٠ يوماً من صدور العدد

ستنشر نتائج مسابقة المنهل الثقافية للعدد (٥٩٠) في العدد (٥٩٢) .. وذلك لاتاحة اكبر فرصة للمشاركين.

قسيمة مسابقة العدد (٥٩١)

ضع علامة ✓ امام الاجابات الصحيحة..

١ـ بدأ اهتمام السودان بحماية الغابات في :

□ منتصف العشرينيات من القرن العشرين □ بداية القرن الحادي والعشرين

٢ـ ينصرف مفهوم كفاءة التنبؤ الى :

□ تحقيق الهدف من التنبؤ بأقصر وقت ممكن وأقل تكلفة وأعلى دقة.

□ تحقيق الهدف من التنبؤ بأطول وقت ممكن وأكثر تكلفة وأدنى دقة.

٣ـ انتقل المغفور له الاستاذ/ نبيه الانصاري ـ صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل الى جوار ربه في :

□ صفر ١٤٢٤هـ □ ربيع الأول ١٤٢٤هـ

ابحث عن الإجابات داخل هذا العدد..

للقديم روعته

مجلة المنهل منذ صدور أول عدد منها في عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م ضمت صفحاتها عدداً كبيرا من الاقلام، ممن شاركوا المنهل مسيرتها الثقافية والعلمية والفكرية والمعرفية..

ولما كان لتلك الأقلام قيمتها العلمية والثقافية، كان المنهل قد رأى أن يستحدث باباً بعنوان (للقديم روعته) نستنطق فيه ذاكرة القديم.. وهو صفحات مستلة من بعض كتابات رواد المنهل آنذاك.

نأمل ان ينال هذا الباب (للقديم روعته) اعجاب القراء الأكارم..

تواصل علمي جديد

الأستاذ الدكتور احمد عمر هاشم رئيس جامعة الازهر - سابقا - وعضو مجمع البحوث الاسلامية وأستاذ الحديث النبوي يجدد تواصله القلمي مع مجلته المنهل، ويسعد المنهل وقراءها بموضوع متجدد بعنوان (من أئمة الحديث النبوي الشريف)..

فأهلا ومرحبا به على صفحات المنهل..

●●●

وأحباء المنهل يديمون إيثار منهلهم بنثار أقلامهم.. وها هو الاستاذ الدكتور مصطفى عبد الواحد يصل المنهل وقراءه بجديد علمه وفكره وأدبه..

سلسلة بحثية بعنوان (خطر التبعية في مجال النقد) تنشر على صفحات المنهل تباعاً.. ابتداء من العدد القادم باذن الله تعالى..

للأستاذ الدكتور مصطفى عبد الواحد خالص الشكر والتقدير..

شكر وتقدير

الأستاذ الدكتور عبد الباسط احمد على حمودة أستاذ الأدب العربي في جامعة الأزهر بالزقازيق، صحب المنهل وصحبته المنهل وقراؤها عدد سنين كان فيها نعم الصاحب والصحبة..

نشر في صفحاتها من علمه وفضله ما أفدنا منه جميعا.. وبابه الشهير (في القصص النبوي) الذي امتد على صفحات المنهل على مدى (٨٢) حلقة متتالية كان ولا يزال مكان نظر كثير من العلماء والباحثين والقراء بعامة.

ولما كانت الحلقة المنشورة في عدد المنهل الفائت الصادر في شهر المحرم ١٤٢٥هـ، هي الحلقة الأخيرة من هذا البحث الشيّق، فإنا نتقدم لاستاذنا الدكتور عبد الباسط حمودة بكل معاني الوفاء والشكر والتقدير لايثاره مجلته المنهل بهذا الجهد العلمي، ولتواصله القلمي والوجداني معها.. وفي ذات الوقت ننتظر تواصله الكريم مع منهله وقرائها في موضوعات أخرى..

ونكرر الشكر والتقدير والوفاء...

تنويه: جوائز

نظرا للاقبال الكبير على مسابقة المنهل وقيام المشاركين في حل مسابقاتها ونزولا عند رغبتهم فإن المنهل ابتداء من مسابقة هذا العدد سترفع جوائزها من (ستة) جوائز الى (عشرة) جوائز مالية.. وحظا سعيداً للجميع.